طبعة جديدة مصححة ومزيدة



إنه الله

مَعْرِفَةٌ مُلْزِمَةٌ وعُبُودِيَّةٌ مُحتَّمَةٌ

(دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى)

دكتور

شريف فوزي سلطان

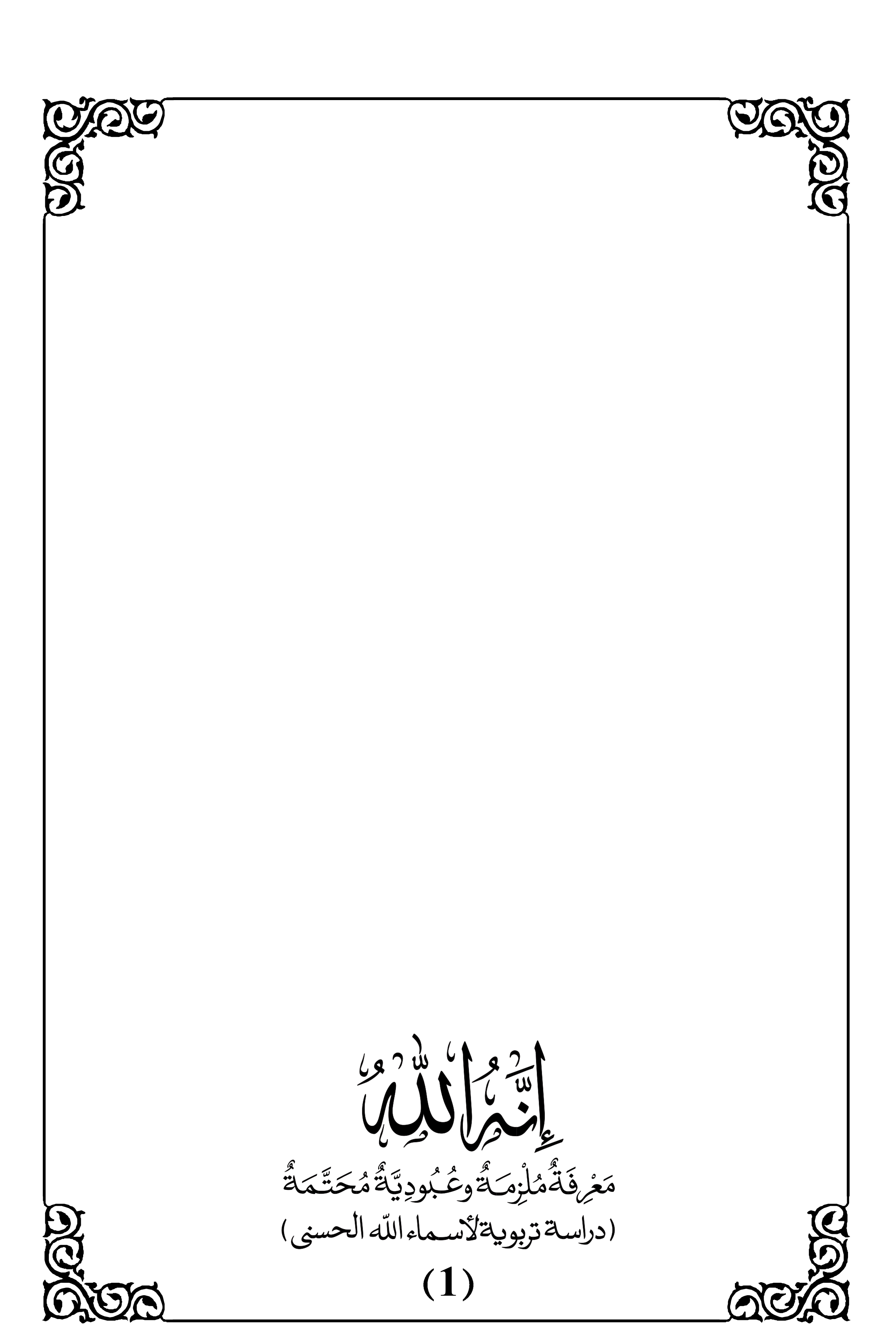
قدم له

دكتور سيد حسين العفانى

دكتور عبد المنعم إبراهيم

المجلد الأول



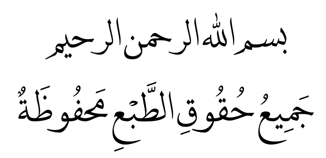


إِنَّهُ اللهُ

مَعْرِفَةٌ مُلْزِمَةٌ وعُبُودِيَّةٌ مُحَتَّمَةٌ

(دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى)

(1)



جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إليكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك دون حصول على إذن خطي من المؤلف والناشر

الطبعة الثانية: 1442/2021

رقم الإيداع: 2020/22127

الترقيم الدولي: 978-977-6838-75-8








@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر: شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر

01050144505 – 0225117747

المنصورة: عزبة عقل – بجوار جامعة الأزهر

01007868983 - 0502357979

إنه الله

مَعْرِفَةٌ مُلْزِمَةٌ وعُبُودِيَّةٌ مُحتَّمَةٌ

(دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى)

دكتور

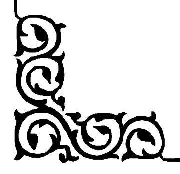
شريف فوزي سلطان

قدم له

دكتور سيد حسين العفانى

دكتور عبد المنعم إبراهيم

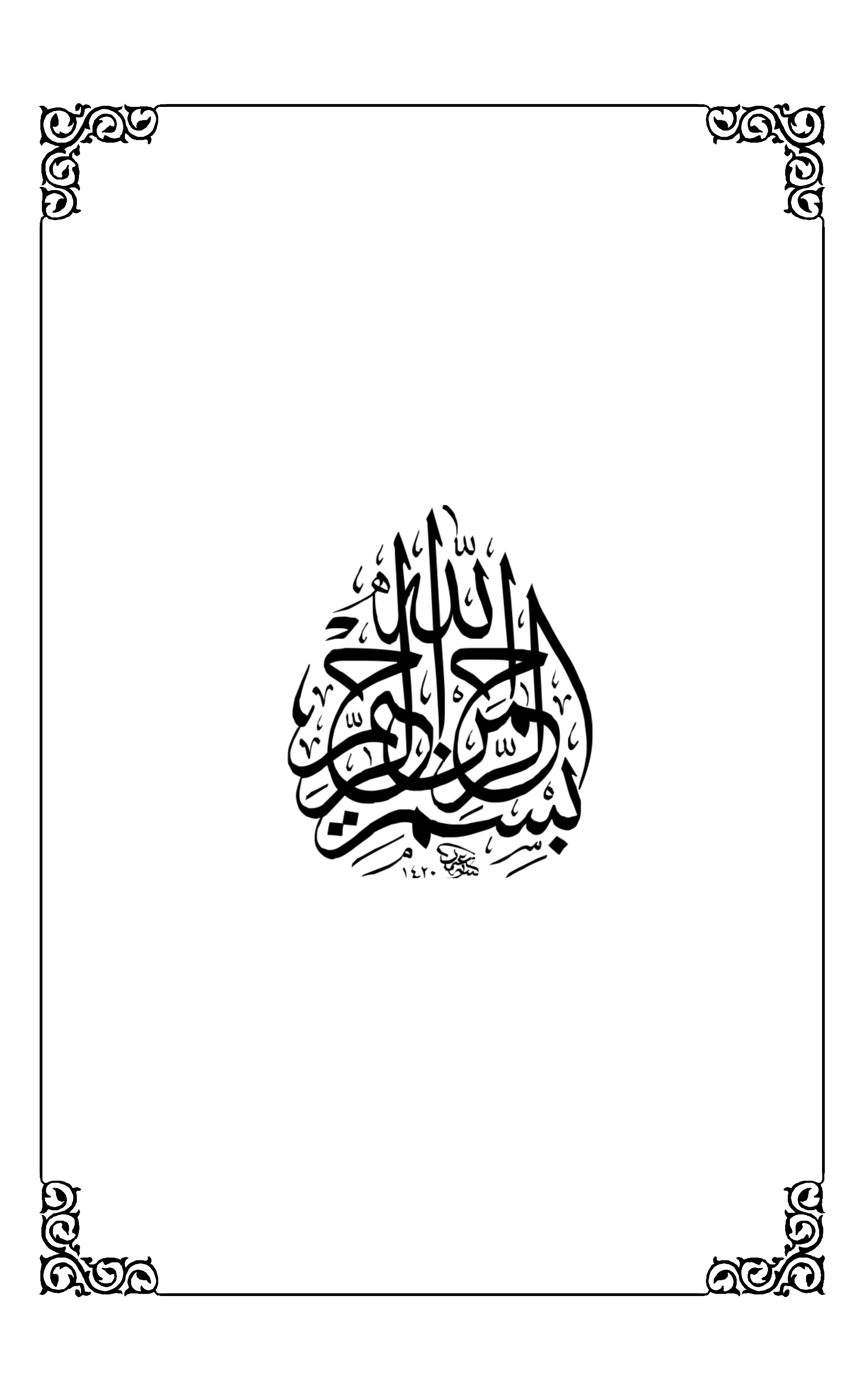
الجزء الأول

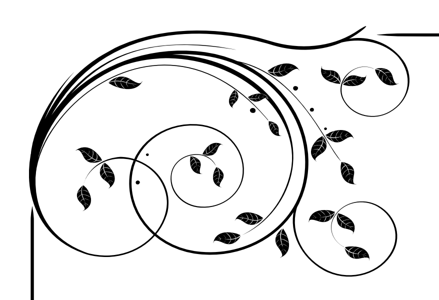


دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر





إهداء

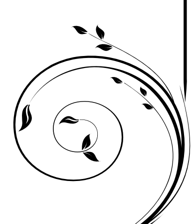
إلى والدي رحمه الله

إلى والدتي حفظها الله وغفر لها

إلى شقيقة الروح أم المقدام، رفع الله درجتها في عليين

إلى صديقي الصدوق وصاحبي الأوفى

الشيخ نافع الأودن



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدكتور سيد حسين العفاني
حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعد...

ففي وسط هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن والرياح العاتية من الظُّلْم والظلام الدامس من كثرة الشهوات والشبهات، كان لزامًا وواجبًا على الصادقين أن يهبوا واقفين لنجدة هذه الأمة من ورطتها وإيقاظها من غفلتها وإعادتها إلى سابق عهدها من العزة والقوة والسيادة والريادة، لأنها الأمة الوحيدة المؤهلة لصناعة الحضارة الحقيقية التي تتقدم بها البشرية وهي حضارة العقيدة والأخلاق والقيم والمبادئ والمثل العليا وليست الحضارة المادية الرخيصة التي مهما علت فإنها بلا شك إلى زوال.

أمَّا حضارة أمتنا فباقية بقاء الدهر لأنها الحضارة التي أرادها الله لإعمار الأرض وكان لا بد من هذه الكلمة التي تهز الوجدان وتزلزل الكيان (إِنَّهُ الله).

ليفيء الناس إليه ويتعرفوا عليه فإنه أشرف المعلومات بإطلاق فإنه لم يعرف شيئًا من لا يعرف الله.

ولو جمع كل العلوم فأجهل الناس علماء المادة الذين علمهم الله ثم هم لم يتعرفوا عليه، وأعلم الناس من عرف الله ولو كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وخير شاهدٍ على ذلك هو شخص النبي محمد ﷺ الذي علم البشرية طريق الهداية لأنه أعلم خلق الله بالله.

ولذا فمن أوجب الواجبات معرفة الله بأسمائه وصفاته والتعبد لله بآثار هذه الأسماء والصفات المشاهدة في الكون ولا يكون ذلك إلا بطريق السلف فهي أعلم وأحكم وأسلم، ومنهج السلف هو الصالح لإدارة البشرية في كل زمان ومكان وفي كل عصر ومصر بلا جمود ولا تحجر.

ولذا كانت هذه الأطروحة السلفية في شرح أسماء رب البرية قام بها ابن من أبناء هذه الدعوة السلفية المباركة وأحد دعاتها المجتهدين وهو ابننا الدكتور/ شريف فوزي – نفع الله به الإسلام والمسلمين ورزقنا وإياه الإخلاص في القول والعمل – فأشدد على هذا السفر يدك، فإنه حادٍ بك إلى جنة فيحاء من لم يدخلها لم يدخل جنة الأخرة ألا وهي جنة معرفة الله.

كتبه حامدًا ومصليًا

الراجي عفو ربه وغفرانه/

سيد حسين العفاني

الثلاثاء ١٥ من ربيع أول ١٤٢١هـ

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور عبد المنعم إبراهيم عامر حفظه الله

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فمعرفة أسماء الله الحسنى وإحصاؤها وفهم معانيها، ودعاء الله بها، سواء دعاء الثناء أو دعاء العبادة، ليس فقط من أعظم أسباب تقوية الإيمان ودخول الجنان، ولكن من أعظم أسباب الاستقامة على دين الله، وتقويم السلوك وتقويم مقامات الإيمان، لا سيما أعلاها وهو مقام الإحسان، وفي الحقيقة أن المباحث حول توحيد الأسماء والصفات من التقعيد والتنظير وإثباتها كما جاءت، بلا تكييف وتنزيهًا بلا تحريف، أطال العلماء والباحثون فيها النفَس، حتى نضجت إن لم تكن احترقت، لكن العَوَذ البحثي مازال موجودًا في جانب ثمرات هذا الباب العظيم من أبواب الإيمان وأثره على أخلاق وسلوك الإنسان، وهذا هو ما أراده باحثنا الدكتور شريف فوزي، حيث شرفه الله بخدمة العلم وطلبته، والوقوف على البحث والدراسة في مجالات العوم المختلفة، وهاهو يفرِّغ الوسع ويبذل الجهد في هذا الباب الذي يحتاج إلى كثير من البحث والجهد، وقد عرض عليَّ مقتطفاتٍ من بحثه وقرأت أنا بنفسي مقتطفاتٍ أخرى، فألفيته طيبًا شهيًا مفيدًا في بابه نافعًا لطلابه.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال.

أملاه

أبو عائش عبد المنعم إبراهيم

القاهرة ١٧ – ١٢ – ٢٠١٩

٢٠ – ربيع الآخر – ١٤٤١

مقدمة

لذة معرفة الله

في مثل هذه الظروف الراهنة والفتن المدلهمة، حيث تداعت الأمم على هذه الأمة كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، وتكاثرت الجراح فلا يكاد جرح يلتئم إلا وآخر يندمل، ناهيك عن انتشار الحرام بصورة ملفتة للأنظار؛ من ربًا وزنًى ورشوةٍ وأكلٍ للحرام وتفريطٍ في الصلوات واتباعٍ للشهوات وإغراقٍ في الفتن، وهنا ترتفع أصواتُ الغيورين المحبين، داعين إلى ضرورة التربية الصادقة، وإنشاء اللبنة وبناء الجيل الذي يمكن أن يقاوم الفتن بنفس راضية وعقل مُفكر، وتختلف أساليب هؤلاء الغيورين، إلا أنها تلتقي عند هدف واحدٍ تسعى إلى تحقيقه، مع أن كثيرًا منها هو اهتمام بجزئيات الحلول.

ألا وإن من تلك الحلول الكلية التي عليها مدار كل الحلول: معرفة الله تعالى عن طريق أسمائه الحسنى وصفاته العلا، والتعبد له عن طريق ذلك؛ فأول الفتوح معرفة الله.

وترسيخ هذه المعرفة في قلوب الناس هو وضع حجر الأساس الذي لا تعصف به الحوادث ولا تؤثر فيه المتغيرات، وتربية المجتمع بهذه الطريقة هو الحل لمعضلاتنا والدواء لمشكلاتنا، وهو مصدر قوتنا وطريق عزنا.

وهل عمارة القلوب إلا بمعرفة الله بأسمائه وصفاته؟

وهل عمارة المجتمعات إلا بعمارة القلوب؟

وهل ينصرنا الله إلا إذا عرفناه وعبدناه وشكرناه؟

➢ **واقع مخجل:**

• واقع مخجل أن تجد كثيرًا من الناس يعرفون عن كل شيءٍ شيئًا، فإذا تعلق الأمر بالله ومعرفته فوجئتَ أنهم لا يعرفون شيئًا!

• واقع مخجل أن تجد الرجل يتحدث عدة لغات أجنبية بطلاقة، فإذا جاء إلى تلاوة آية من كتاب الله فكأنه أجنبي!

• واقع مخجل أن ترى الرجل عند الحديث عن السياسة محللًا بارعًا، وعند الحديث عن الكرة أو سوق العمل أو الموضة أو غيرها تراه عالمًا بالآراء مُفنِّدًا لها!

لكن لو طلبت منه أن يتكلم عن الله عدة دقائق فلربما لا يستطيع، ولقد جرَّبتُ ذلك كثيرًا وسألت كثيرًا منهم: ماذا تعرف عن اسم الله الصمد؟ أو القدوس؟ أو المُقيت؟ أو المجيد؟ أو الحَكَم؟

➲ **فالجواب**: لا جواب!

إذن، كيف تعبد الله وأنت لا تعرفه؟! فأول الفتوح معرفة الله.

إن الحديث عن سير العظماء والأكابر والمصلحين من أئمة التاريخ والإسلام والعلم والحضارة شيء جميل، وأجمل منه إذا كان الحديث عن سير النبيين والمرسلين، وعن إمامهم وقائدهم محمد ﷺ، وأجمل من ذلك كله إذا كان الحديث عن الله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

➢ **لمن هذا الطرح؟**

أمنية قديمة كم رجوت الله تعالى أن يمنحني شرفها وأرجوه تعالى أن يمنحني إتمامها، أن يوفقني الله تعالى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، مبينًا معانيها وآثارها في الشرع والكون وصفة التعبد لله بها، وقد جهرتُ بذلك مرارًا؛ لأن كل إنسان على وجه الأرض بحاجة ماسة إلى معرفة الله أعظمَ من حاجته إلى طعامه وشرابه.

فالعالِم بحاجة إلى معرفة ربه عن طريق أسمائه وصفاته؛ ليهذب نفسه ويزكو بروحه ويسترشد بذلك على الأحكام الشرعية والمقاصد الربانية.

وطالب العلم بحاجة إلى ذلك؛ ليهذب أخلاقه ويربي نفسه على نهج العُبَّاد العارفين.

والعاميُّ بحاجة إلى ذلك؛ ليوقن بخالقه وليعرف حكمته في الشرع والكون، ويستعين بذلك على التعبُّد.

إن من فقه الدعوة أن يتوجه الداعية والعالم إلى تعريف الناس بربهم ولا يستطيل الزمان في ذلك، فلو قضى عمره كله في تعريف الناس بالله لكفى؛ فإن رسول الله ﷺ ظل ثلاث عشرة عامًا كاملًا يُعرِّف الناس بالله، فإن الناس إذا عرفوا ربهم عبدوه وبذلوا في سبيل مرضاته مُهَجَهم وأرواحهم، وقدَّموا محابَّه على محابِّهم ورضاه على شهواتهم ورغباتهم، وهذا هو بيت القصيد وعنوان العبودية.

➢ حاجتنا إلى معرفة الله:

لا نستطيع أن نعبد الله إلا إذا عرفناه.

خُذ دليلًا على ذلك: عندما يتعرف الواحد منا على شخص ما معرفة عامة، فإن نظرته إليه ستكون نظرة عامة، وتعامله معه سيكون تعاملًا عابرًا، لكن إذا اقترب منه وازدادت معلوماته عنه وعرف قدراته وشهاداته وخبراته، فإن هذا من شأنه أن يزيده احترامًا وهيبة وتقديرًا لهذا الشخص، مما ينعكس على طريقة تعامله معه.

ولله المثل الأعلى: نحن بحاجة إلى معرفة الله معرفة حقيقية؛ لتحصل خشيتنا له وخوفنا منه ورجاؤنا فيه وتوكلنا عليه، وقيامنا بحقوقه وتعظيمنا لشعائره ووقوفنا عند حدوده.

سأل موسى ربه: أيْ ربِّ، أيُّ عبادك أخشى لك؟ قال: أعلمُهم بي(١).

وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]؛ أي العلماء به.

قال الأصفهاني: «قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه؛ قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيَّ شيءٍ عرف من لم يعرف الله؟! وأيَّ حقيقة أدرك من فاته هذه الحقيقة؟! وأيَّ علم أو عمل حصَّل من فاته العلم بالله والعمل بمرضاته ومعرفة الطريق الموصلة إليه؟!»(٣).

معرفة الله حياة الروح ونعيمها ولذتها وسرورها، والعبد كمالُه في أن يعرف الله فيحبَّه، ثم في الآخرة يراه ويتلذذ بالنظر إليه.

قال مالك بن دينار: «مساكين أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: معرفة الله ومحبته»(٤).

➢ فهل عرفنا الله حق معرفته؟

الله يجيب:

قال الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، أي: ما عظَّم الناس ربهم حق تعظيمه، وما عرفوه حق معرفته، وما وحدوه حق توحيده، وما عبدوه حق عبادته.

فمن عرفه خافه وأحبه ورجا ثوابه، وعظَّمه وفَرّ منه إليه وأناب إليه وتوكل عليه.

---

(١) الزهد لابن المبارك.

(٢) الحجة في بيان المحجة.

(٣) هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصاري.

(٤) مدارج السالكين.

هل قدر الله حق قدره من زعم أن غير الله يملك النفع والضر والإماتة والإحياء والرزق والحكم والتدبير؟!

سبحانه، له كل العظمة وله كل الجلال وله كل الكمال، وله كل الحمد والثناء، لا ند له ولا شريك له ولا شبيه له ولا مثيل له، ولا كفء له ولا ولد له ولا والد له: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ [الإخلاص: ١-٤].

من الذي يستحق أن يُعبَدَ إلا الله؟ من الذي يستحق أن نتوكل عليه إلا الله؟

من الذي يستحق أن نخافه كل الخوف إلا العزيز الجبار؟

من الذي يستحق أن نحبه كل الحب إلا الرحيم الودود؟

من الذي يستحق أن يُعظم كل التعظيم إلا الملك العظيم؟

هل قدر الله حق قدره وعرفه حق معرفته من عصى أمره وارتكب نهيه وضيع حقه وأهمل ذكره وكان هواه آثرَ عنده من طلب رضاه؟

هل عرف الله حق معرفته وقدَّره حق قدره من استخفَّ بنظر الله إليه واطلاعه عليه وهو في قبضته وناصيته بيده؟

هل عرف الله حق معرفته وقدَّره حق قدره من يستحيي من الناس ولا يستحيي من الله؟ من يخشى الناس ولا يخشى الله؟! من يعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه وإن عامل الله جعله أهون الناظرين إليه؟ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧][1].

روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات مرة على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ⑥⑦﴾،

(١) معرفة الله: سيد عطوة. بتصرف شديد.

ورسول الله قائل بيده يحركها يُقبل بهما ويدبر: «يمجد الرب تعالى نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم»، فرجف المنبر برسول الله ﷺ حتى قلنا: ليَخِرَّنَّ به».

وفي رواية له: «حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: ساقطٌ هو برسول الله ﷺ؟».

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك! أنا الملك! فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله قول الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾.

وإن العقل ليندهش ويسقط إجلالًا لله تعالى لقول النبي ﷺ: «أُذن لي أن أُحدث عن ملَك من حملة العرش[1]، رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعاتقه خَفَقان الطير سبعمائة عام[2]، يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت»[3].

وقال ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضعٌ إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة»، كما في سورة الصافات: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[4].

---

(١) الذي هو أعظم المخلوقات على الإطلاق.

(٢) أي بالفرس الجواد، كما في خبر آخر، فما ظنك بطوله وعظم جثته !!

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) السلسلة الصحيحة رقم (١٠٥٩).

أهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا

أسماء الله الحسنى وصفاته العلا لها فوائدها العظيمة ومنافعها الكريمة التي لا يستطيع أحدٌ إحصاءها، وحسبك أن النبي ﷺ كان يقول: «**لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[(١)]، وفي هذه الفقرة نذكر أشهر فوائد معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا؛ حتى إذا دخلت هذه الجنة -جنة العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا- قلتَ: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

١- معرفة أسماء الله الحسنى من أعظم أسباب دخول الجنة:

فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مئةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة».

ومعنى إحصائها كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مراتب إحصاء أسماء الله ثلاث:

الأولى: إحصاء ألفاظها ومدلولها، والثانية: فهم معانيها ومدلولها، الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠][(٢)].

فالجنة سلعة الله الغالية، لمن حفظ أسماء الله الحسنى وعرف معناها وعمل بمقتضاها وتعبد لله تعالى بها.

٢- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، هي الطريق إلى معرفة الله:

معرفة الله تعالى نوعان:

معرفة عامة: وهي معرفة الإقرار التي يشترك فيها كل الناس: البر والفاجر، والمطيع والعاصي.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) بدائع الفوائد.

ومعرفة خاصة: توجب رقابته والحياء منه ومحبته وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه.

هذه المعرفة الخاصة لا تتأتى إلا بمعرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

قال ابن القيم -عليه رحمة الله-: «وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم، كان بالله أعرف وله أطلب وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر، كان بالله أجهل وإليه أكرَه ومنه أبعَد، والله يُنزل العبد من نفسه حيث يُنزله العبد من نفسه.

فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنُه عَجب وفتحه عجب، صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلقٍ على فراشه غَيرَ تَعِب»[(١)].

فلا يستطيع العباد إدراك حقيقة العبودية وتحقيقها قولًا وفعلًا إذا لم يعرفوا صفات الباري ﷻ، «فلو أراد أحد أن يتزوج ابنة رجل أو أن يزوِّجه أو يعامله، طلب أن يعرف اسمه وكنيته واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره.

فالله الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه - أولى أن نعرف أسماءه وصفاته ونعرف تفسيرها»[(٢)].

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: «**يا محمد، انسب لنا ربك**»، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[(٣)].

---

(١) طريق الهجرتين.

(٢) الحجة في بيان المحجة، الأصفهاني.

(٣) رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني.

٣- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا أصل كل عبادة:

نعم، معرفة الله تعالى أصل امتثال الأوامر واجتناب النواهي، فلا يجتنب ما يُغضب الله ولا يمتثل ما يحبه الله إلا من عرف الله.

ولذلك جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة تُؤخَذ من أغنيائهم وتُرد على فقرائهم...».

٤- معرفة أسماء الله الحسنى من أعظم الأسباب لإجابة الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، يأمرنا الله تعالى أن ندعوه بأسمائه الحسنى، ووعدنا أن يستجيب لنا حيث قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

ففارق كبير بين أن تدعو وتقول: اللهم اغفر لي، وبين أن تقول: اللهم يا غفار اغفر لي، وبين أن تقول: اللهم ارحمني، وبين أن تقول: يا رحيم ارحمني، وبين أن تقول: اللهم ارزقني، وبين أن تقول: يا رزاق ارزقني.

فقد كان النبي ﷺ إذا دعا دعاه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، فكان يقول: **«اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»**[1].

فبدأ ﷺ في دعائه بالأسماء والصفات المناسبة لدعائه.

بل كان ﷺ إذا أراد أن يُلح على ربه بشيء، دعاه بأسمائه الحسنى كلها.

---

(١) رواه أحمد والدارقطني وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فكان يقول: «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي وغمي...»[١].

وأخذ العلماء من ذلك كذلك: أن دعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى من أعظم أسباب تفريج الكروب وزوال الهموم والغموم.

وعلَّم النبي ﷺ أبا بكرٍ أن يقول: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[٢].

٥- الله تعالى يحب من أحب أسماءه الحسنى وصفاته العلا:

«**فمن أعجب الأشياء:** أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته...»[٣].

عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سلوه لأي شئ يصنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[٤].

وفي رواية: «حبك إياها أدخلك الجنة»[٥].

---

(١) رواه أحمد والترمذي والدارقطني والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد والنسائي والترمذي والدارقطني وابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) الفوائد لابن القيم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخاري معلقًا ووصله الترمذي.

وإذا أحببتَه تفانيتَ في طاعته واشتقتَ إلى رؤيته، فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سمع كلام ربه -وكلام الله صفة من صفاته- أحبه واشتاق إلى لقائه ورؤيته وطلب ذلك منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أرأيتَ إذا سمعتَ عن مخلوق له من صفات الجمال، فإنك تشتاق إلى رؤيته ولقائه، فكيف إذا علمت عن الخالق -جل وعلا- أسماءه وصفاته؟

٦- من عرف أسماء الله الحسنى وصفاته العلا كما ينبغي فقد عرف كل شيء:

من عرف أن الله تعالى هو الخالق، عرف أن كل ما دونه مخلوق؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

• من عرف أن الله هو الرزاق، علم أن كل ما دونه مرزوق؛ قال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وكذلك علم أنه لا يملك الرزق سواه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النمل: ٦٤].

• من عرف أن الله تعالى هو الملك، عرف أن كل ما دونه مملوك؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ١٧].

• ومن عرف ربه بالغنى، عرف نفسه بالفقر؛ قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

• ومن عرف ربه بالعلم، عرف نفسه بالجهل؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

• ومن عرف ربه بالبقاء، عرف نفسه بالفناء؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

ولهذا قيل: «من عرف ربه عرف نفسه».

فمن عرف الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، علم أنه بالكمال موصوف وبالإحسان والجمال والجلال معروف، وعرف أيضًا نفسه بكل نقص وعيب، إلا أن يرزقه الله كمال الإيمان والعمل الصالح والعبودية الصادقة، فيَذِلَّ لعزته ويخضعَ لقوته[١].

٧- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا تورث خشية الله:

وكفى بها ثمرة لمن كان يرجو الله والدار الآخرة، فتلك هي حقيقة العلم.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا»[٢].

فمن كان بالله أعرفَ، كان منه أخوفَ، ومن كان به أعلمَ، كان بشريعته أقومَ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي العلماء به.

وكان النبي ﷺ أشد خشية لله؛ لأنه كان أعلمَ الناس بالله، كان يقول: «**أنا أعلمُكم بالله وأشدُّكم له خشيةً**»[٣]، والمعنى: أنا أعلمكم بالله، ولذلك فأنا أشدُّكم له خشيةً...

٨- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا سبيل إلى النجاة من الذنوب والمعاصي والإقبال على الطاعات:

من عرف أن رئيسه في العمل حازمٌ وقويٌّ، حرَص على رضاه وإتقان العمل بين يديه.

---

(١) المعاني الإيمانية في شرح الأسماء الحسنى الربانية، بتصرف وحيد بالي.

(٢) مفتاح دار السعادة: ابن القيم.

(٣) متفق عليه.

ومن عرف رجلًا كريمًا، سعى للوقوف ببابه والتعرض له في طريقه، وطلب منه حاجاتِه.

ومن عرف شرطيًّا باطشًا، فإنه يخافه أشدَّ الخوف، وإذا ذُكر أمامه ارتعدت فرائصه. ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض: من عرف الجبار القوي القادر العزيز شديد العقاب سريع الحساب، أقبَل على طاعته وما أسرف على نفسه في المعاصي.

قال الحسين بن أحمد الصَّفار: «سئل الشِّبلي وأنا حاضر: أي شئ أعجب؟ قال: «قلب عرف ربه ثم عصاه»[1].

فما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي وبارزَ ربه بها وانتهك الحرمات في الخلوات إلا بجهله بأسماء الله وصفاته..

٩- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا سبيل إلى الإتصاف بها:

فالله الملك الحق الرحمن الرحيم العزيز الجبار المتكبر، يحب من عباده أن يتصفوا بصفاته ويتحلوا بها على وجهٍ يليق بهم، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رحيم يحب الراحمين، شكور يحب الشاكرين، كريم يحب المتصدقين، محسن يحب المحسنين، عفو يحب العافين، تواب يحب التوابين، طيب يحب الطيبين، جميل يحب الجمال وأهله، عليم يحب العلم وأهله، حييٌّ ستير يحب أهل الحياء والستر، رفيق يحب الرفق وأهله، فأحباب الله هم الذين اتصفوا بصفاته وتخلقوا بها.

١٠- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا هي الطريق إلى إصلاح القلوب وتزكية النفوس:

إن مما ينبغي أن يعتني به كل إنسان، لا سيما في خِضَمِّ هذه الفتن المتلاحقة والملهيات المتتابعة، أن يزكي نفسه ويجلو صدأ قلبه، وقد أمر الله تعالى بذلك، بل

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي.

وربط الفلاح بذلك، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤].

وتزكية النفس هي دعوة الأنبياء والمرسلين، ولذلك لما دعا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فرعون قال له: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات: ١٨]، قال تعالى عن دعوة النبي ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

وقد بيَّن النبي ﷺ معنى التزكية بكلمة جامعة مانعة، لها علاقة ساطعة بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، حين سأل رجل النبي ﷺ: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ فقال: «**يعلم أن الله معه حيث كان**»[1]. وهذه الكلمة هي جماع الإحسان، وهي تعبدٌ بأسماء الله العليم الرقيب الحسيب الشهيد السميع البصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[2].

تلك عشرة كاملة، اقرأها مرةً أخرى وعِها وارعَها وخذها بقوة، تفز بالسعادة الكاملة.

(١) رواه البيهقي وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) التعبد بالأسماء والصفات: وليد الودعان.

آثار التعبد بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى

معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والتعبد له بها له أثرُه الكبير على قول العبد وعمله وحاله وقلبه.

قال العز بن عبد السلام: «اعلم أن معرفة الذات والصفات مثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات تُثمر حالا علِيَّةً، وأقوالًا سَنيَّةً، وأفعالًا رضِيَّةً، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية...»[١].

وإليك بعضَ هذه الآثار:

١- محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٢]:

وكما يقولون: من عرف الله أحبَّه، ومن أحب الله أحبهُ الله، وذلك – واللهِ – الفوزُ العظيمُ، والجنة والسرور والنعيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من عرف الله أحبه وأخلص العبادة له ولابد، ولم يؤْثِر عليه شيئًا من المحبوبات»[٣].

قال ابن الجوزي: «فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالأدلة، ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة، لعل ذلك يورث المحبة، وذلك الغِنى الأكبر، وواَفَقْراه!»[٤].

---

(١) شجرة المعارف والأحوال.

(٢) راجع: محبة العبد لربه، ومحبة الرب لعبده، وآثار ذلك، وسبل الوصول إليه، في اسم الله «الودود».

(٣) إغاثة اللهفان.

(٤) صيد الخاطر.

وقال صدّيق حسن خان: «محبة الله إذا استغرق بها القلب واستوْلَتْ عليه لم تُبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرّبّ، وصارت النفسُ حينئذٍ مطمئنةً بإرادة مولاها عن مرادها وهواها، يا هذا، اعبُد اللهَ لمراده منك، لا لمرادك منه».

وقال: «من امتلأ قلبه من محبة الله؛ لم يكن فيه فراغٌ لشيء من إرادة النفس والهوى»(١).

ومحبة الله تعالى هي المنزلة «الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ. وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ، وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ، وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ. فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ، وَهِيَ رُوح الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيه»(٢).

٢- الذل والتعظيم:

من تحقق بمعاني الأسماء والصفات؛ شهِد قلبُه عظمة الله تعالى؛ فأفاض على قلبه الذلَّ والانكسارَ بين يدي العزيز الجبار.

وتمام العبودية لا يتم إلا بتمام الذل والانقياد لله سبحانه، وأكمل الخلق عبوديَّةً أكملُهم ذُلًّا وافتقارًا وخضوعًا.

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: «أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي، وليست معرفته الإقرارَ به، ولكن المعرفة، إذا عرفته استحييتُ منه»(٣).

---

(١) الدين الخالص.

(٢) مدارج السالكين.

(٣)) جامع العلوم والحكم.

حُكِيَ عن بعض العارفين أنه قال: «دَخَلْتُ عَلَى اللهِ مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، فَمَا دَخَلْتُ مِنْ بَابٍ إِلَّا رَأَيْتُ عَلَيْهِ الزِّحَامَ، فَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ الدُّخُولِ، حَتَّى جِئْتُ بَابَ الذُّلِّ وَالِافْتِقَارِ، فَإِذَا هُوَ أَقْرَبُ بَابٍ إِلَيْهِ وَأَوْسَعُهُ، وَلَا مُزَاحِمَ فِيهِ وَلَا مُعَوِّقَ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَضَعْتُ قَدَمِي فِي عَتَبَتِهِ، فَإِذَا هُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي عَلَيْه»(١).

٣- الخوف والخشية:

فمن كان بالله أعرفَ؛ كان منه أخوفَ، وله أخشى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] أي العلماء به، وقال النبي ﷺ: «**أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية**»(٢).

وكان يقول: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**»(٣).

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **في الآية المتقدمة:** «إنما يخافني من خَلْقي مَن علِم جبروتي وعِزَّتي وسلطاني»(٤).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله، إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها»(٥).

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) روضة المحبين.

(٣)) رواه البخاري.

(٤) زاد المسير.

(٥)) تفسير السعدي.

٤- الطمأنينة واليقين:

مَن عَرَف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، مَن عرَف الرازقَ، الوهاب، المعطي، المقيت، مَن عرف القادر القدير المقتدر، القهار، المتكبر، الرفيق، الرؤوف، الرحيم، مَن عرَف اللهَ العليمَ، الخبير، من عرف الله الحكيم، عظُم يقينه بالله، فاطمأن قلبه، وسكنت جوارحه.

٥- الرضا:

مَن عرَف الله بعدْله وحكْمته ولُطفه ورحْمته؛ امتلأ قلبُه رضًا بأحكام الله، وأقدار الله؛ فلا يعترض على أمر الله أو نهيه، ولا على قضائه أو قدَره؛ لأنه يعلم أن تدبير الله خير من تدبيره لنفسه، وأنه تعالى أعلم بمصلحته من نفسه، وأرحم به من نفسه، وأبرّ به من نفسه؛ فلا تراه إلا راضيًا قانعًا مسلّمًا، ومن كان هذا حاله حسُن خُلُقه مع الله ومع الناس.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ منْ ذَلِكَ إلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَعَرَفَ مُوجِبَ حَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ»(١).

فأعظم ما يُستجلب به الرضا عن الله المعرفة الحقة بالله «فالعلم بكمال صفات الله وجلالها وجمالها يورث الرضا بالله وقضائه»(٢).

٦- التوكُّل:

من عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ اعتمد قلبه عليه، وفوّض أمره إليه، وذلك حقيقة التوكّل على الله.

---

(١)) زاد المعاد.

(٢)) إتحاف السادة المتقين للزبيدي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما كان العبدُ بالله أعرفَ؛ كان توكُّله عليه أقوى»[١].

ولذلك لما عرّفوا التوكّل على الله قالوا: «صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلِّهَا، وتوكيلُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ سِوَاه»[٢].

ويعرّفه ابن القيم فيقول: «حَالٌ لِلْقَلْبِ يَنْشَأُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ بالله، وَالْإِيمَانِ بِتَفَرُّدِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَإِنْ لَمْ يَشَأِ النَّاسُ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَإِنْ شَاءَهُ النَّاسُ، فَيُوجِبُ لَهُ هَذَا اعْتِمَادًا عَلَيْهِ، وَتَفْوِيضًا إِلَيْهِ، وَطُمَأْنِينَةً بِهِ، وَثِقَةً بِهِ، وَيَقِينًا بِكِفَايَتِهِ لِمَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِيه»[٣].

وإذا كان هذا هو معنى التوكل، فإن العلم بأسماء الله وصفاته، يُعد الدافع الأساسي له إذ «لا يتم التوكل إلا بمعرفة الرب وصفاته، من قدرته وكفايته وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته»[٤].

وَإِذا تجلى بِصِفَات الْكِفَايَة والحسب وَالْقِيَام بمصالح الْعباد وسوق أَرْزَاقهم إِلَيْهِم وَدفع المصائب عَنْهُم وَنَصره لأوليائه وحمايته لَهُم ومعيته الْخَاصَّة لَهُم انبعثت من العَبْد قُوَّة التَّوَكُّل عَلَيْهِ والتفويض إِلَيْهِ وَالرِّضَا بِهِ[٥].

٧- الدعاء:

من أجلّ ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وآثارها: دعاؤه ورجاؤه وحُسْن الظن به، ولا عجَب؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) جامع العلوم والحكم.

(٣) مدارج السالكين.

(٤) مدارج السالكين

(٥) الفوائد لابن القيم

فمن عرف الله بكرمه وبرّه، وإحسانه ونِعمه؛ كان حريًّا ألا يدع الدعاء، وأن يداوم تضرُّعه إلى الله وسؤاله من فضله.

٨- إخلاص العمل لله:

نعم، من عرف الله على الحقيقة؛ أفرده بالطاعة، ووجّه العبادةَ إليه وحده؛ لعلمه بكمال غناه عن كل ما سواه، وشدّة حاجة الخلق إليه، وما راءى المراءون، ولا نافق المنافقون، ولا أشرك المشركون إلا لجهلهم بالله وأسمائه وصفاته.

قال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

وقال ﷺ: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركْتُه وشِرْكه»(١).

وخَطَبَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى ابْنِ عُمَرَ ابْنَتَهُ وَهُمَا فِي الطَّوَافِ، فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ لَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَقَالَ كُنَّا فِي الطَّوَافِ نَتَخَايَلُ اللهَ بَيْنَ أَعْيُنِنَا. أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ(٢).

٩- الفرح بالعبادة، والتلذّذ بها:

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته؛ كانت قرة عينه في الأنس به ومناجاته، وليس في الدنيا نعيمٌ يشبه نعيم الجنة؛ إلا هذه المعرفة، وكلما ازداد العبد معرفة بالله؛ ازداد فرَحُه وتلذُّذه بعبادته، وإذا ابتعَدَ لشيء ما؛ استغرب واستوحَش؛ ولهذا جاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث مَن فعَلَهنَّ فقد طعِم طعْمَ الإيمان: مَن عبَد الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسه، وزكّى نفسَه؛ فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ معه حيث كان**»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢)) جامع العلوم والحكم.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقال ﷺ: «ثلاث مَن كنَّ فيه؛ وجَد بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر - بعد أن أنقذه الله منه - كما يكرَه أن يُلقى في النار»(١).

١٠- الفرح العام والسرور المطلق:

من عرف الله لم يعرف الحزن إلى قلبه سبيلًا، فلا حزن مع الله أبدًا، ولهذا قال نبينا ﷺ لصاحبه في الغار ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وفرح المؤمن بربه أعظم من فرح أي أحد بما يفرح به، من حبيبٍ أو مال أو سلطان أو غيره، فتراه فرحًا إذا حزن الناس، منعمًا إذا شقُوا، يناله بعض أحوال أهل الجنة وهو في الدنيا، فكيف إذا ذهب إلى الآخرة !

كما رُوي عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: لو علم الملوك وأبناؤهم ما نحن فيه - يعني من السعادة - لجالدونا عليها بالسيوف.

قال ابن القيم: رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - في المنام، وكأني ذكرتُ له شيئًا من أعمال القلب، وأخذت في تعظيمه، فقال: أما أنا فطريقتي الفرح بالله والسرور به(٢).

وهو الذي كان يقول: ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة(٣).

١١- الشوق إلى لقائه:

كلما ازداد علم العبد بربه واكتملت له معرفته بأسمائه وصفاته، كلما إزداد شوقًا إلى ربه وحنينًا إلى لقائه، ولهذا كان أعرف الخلق بربه يلهج في دعائه، ويقول:

---

(١) رواه أحمد.

(٢) مدارج السالكين.

(٣) الوابل الصيب.

«أسألك الشوق إلى لقائك»[١].

والشوق إلى لقاء الله علامةٌ على شيئين:

الأول: هوان الدنيا في عين العبد.

الثاني: أحب الله لقاءه.

١٢- التوبة والإنابة:

مَن عرَف الله سارع إلى طاعته رغبة في ثوابه، وهرَب من معصيته؛ خوفًا من عقابه؛ فإن زلَّتْ قدمه سرعان ما يستغفر ربه وينيب إليه؛ لعلمه برحمة الله به، وفرَحه بتوبته.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

---

(١) صحيح سنن النسائي.

تساؤلات حول أسماء الله الحسنى

❁ أولًا: القواعد التي في ضوئها تُحدد أسماء الله الحسنى(١):

➢ **القاعدة الأولى**: الاقتصار في عدّها على الكتاب أو صحيح السنة:

ذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية؛ فلا يحلّ لأحد أن يُسمي الله تعالى باسم لم يسمّ به نفسه، أو لم يخبر به الرسول ﷺ عن ربه أنه تسمَّى به.

وهذا الشرط مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وجه الدلالة: أن لفظ الأسماء يدل على أنها معهودة موجودة؛ فالألف واللام هنا للعهد؛ فالإحصاء لا يكون إلا لشيء موجود معهود، ولا يُعرف ذلك إلا بما نصّ عليه الكتابُ أو صحيح السنةُ.

وهذه القاعدة هي أهم القواعد على الإطلاق؛ إذ كل اسم لم يرد به الكتاب أو صحيح السنة لا يكون من أسماء الله الحسنى، ولو صحّ معناه لغة، أو عقلًا، أو شرعًا، كـ (الموجود) أو (القديم) أو نحوهما.

وقد اشتُهرت في ذلك مناظرة بين إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشيخِه أبي علي الجبائي المعتزلي، عندما دخل عليهما رجل يسأل: هل يجوز أن يُسمَّى اللهُ عاقلًا؟

---

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للعثيمين، وأسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، لعمر الأشقر، والقواعد النافعة في أسماء الله وصفاته، لعثمان الخميس، وأسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، للرضواني، وأسماء الله الحسنى: المعاني والآثار، لمحمد أمحزون.

قال أبو علي الجبائي: لا يجوز؛ لأن العقل مشتق من العِقال، وهو المانع، والمنْع في حق الله محال؛ فامتنع إطلاق العاقل على الله ﷻ.

قال له أبو الحسن الأشعري: فعلى قياسك لا يُسمَّى الله حكيما؛ لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام، وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج، ويشهد لذلك قولُ حسان بن ثابت رضي الله عنه:

فنحكم بالقوافي مَن هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء

وقول الآخر:

أبني حنيفة حَكِّموا سُفهاءكم ... إني أخاف عليكمُ أن أغضبا

فلم يُجب أبو علي الجبائي؛ إلا أنه قال لأبي الحسن الأشعري: فَلِمَ منعْتَ أنت أن يُسمَّى الله عاقلًا، وأجَزْتَ أن يُسَمَّى حكيما؟

قال: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله ﷻ الإذن الشرعي دون القياس اللغوي؛ فأطلقتُ حكيمًا لأن الشرع أطلقه، ومنعْتُ عاقلًا لأن الشرع منَعَه، ولو أطلقه الشرع لأطلقته[١].

وقال أبو القاسم القشيري: «الأسماء تؤخذ توقيفًا من الكتاب والسنة والإجماع؛ فكل اسم ورَد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يَرد لم يجُز ولو صحَّ معناه».

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «اعلم أن أسماء الله توقيفية، لا تؤخذ قياسًا واعتبارًا من جهة العقول، وقد زلّ في هذه الباب طوائف من الناس»[٢].

وقال النووي: «أسماء الله توقيفية، لا تُطلق عليه إلا بدليل صحيح»[٣].

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي.

(٢) معنى لا إله إلا الله، لبدر الدين الزركشي.

(٣) شرح النووي على مسلم.

وقال المناوي: «ولما كانت معرفة أسمائه توقيفية لا تُعلم إلا من طريق الوحي والسنة، ولم يكن لنا التصرف فيها بما لم يهتد إليه مبلغ علمنا ومنتهى عقولنا، وقد نهينا عن إطلاق ما لم يرد به توقيف، وكان الاحتمال في رسم الخط واقعًا باشتباه تسعة وتسعين في زلة الكاتب وهفوة القلم بسبعة وتسعين أو تسعة وسبعين؛ فينشأ الاختلاف في المسموع من المسطور أكده ﷺ حسمًا للمادة وإرشادًا للاحتياط بقوله: «مائة إلا واحدًا»[1].

واحتج الإمام الغزالي على أن الأسماء توقيفية بالاتفاق على أنه: «لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُسَمِّيَ رَسُولَ الله ﷺ باسْمٍ لَمْ يُسَمِّهِ بِهِ أَبُوهُ، وَلَا سَمَّى بِهِ نَفْسَهُ، وَكَذَا كُلُّ كَبِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ فَإِذَا امْتَنَعَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَامْتِنَاعُهُ فِي حَقِّ اللهِ أَوْلَى»[2].

وقال ابن الوزير اليماني: «تمييز التسعة والتسعين يحتاج إلى نصٍّ متفق على صحّته، أو توفيقٍ ربَّانيٍّ، وقد عُدم النصُّ المتفق على صحَّته في تعيينها؛ فينبغي في تعيين ما تعيّن منها الرجوع إلى ما ورد في كتاب الله بنصّه، أو ما ورد في المتّفق على صحّته من الحديث»[3].

وقال ابن قدامة المقدسي: «وَمذهب السّلف - رحمهم الله - الْإِيمَان بِصِفَات الله تَعَالَى وأسمائه الَّتِي وصف بهَا نَفسه فِي آيَاته وتنزيله أَو على لِسَان رَسُوله من غير زِيَادَة عَلَيْهَا وَلَا نقص»[4].

وقال العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة؛ فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل

(١) فيض القدير.
(٢) فتح الباري.
(٣) العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم.
(٤) ذم التأويل.

لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء؛ فوجب الوقوف في ذلك على النص؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦] ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص»[1].

ولا يحل لنا أن نشتق من أفعاله أو أوصافه أسماء؛ فالله تعالى لم يُخوّلْنا في ذلك عقلًا ولا نصًا، وهذا كذلك من معاني التوقيف، بل إنه هو؛ فالله إنما أمرنا بإحصاء أسمائه وجَمْعها من كتابه وسنة نبيّه، ثم التعبد بها؛ فمهمتنا الإحصاء والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء.

فلا يقال: من أسمائه: المطعم والساقي؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩] ولا يقال: من أسمائه: القاضي؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر:٢٠] أو المؤيّد؛ لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال:٦٢] وهكذا؛ فأفعاله — سبحانه — نُبقيها أفعالًا، وصفاته ﷻ نُبقيها صفاتٍ.

➢ **القاعدة الثانية:** علمية الاسم[2]، والتحقق من استيفاء العلامات اللغوية له[3]:

وهذا كذلك من لوازم التوقيف، أن يرِد الاسمُ في النصّ مرادًا به العلمية، متميزًا بعلامات الاسمية.

ويتميز الاسم عن الفعل والحرف بخمس علامات لغوية، وهي:

- دخول حرف الجر عليه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

---

(١) القواعد المثلى.

(٢) يعني أن يكون الاسم علمًا على الله، دالًا على ذاته.

(٣) فلا يكون اسمًا حتى تتحقق فيه علامات الاسمية.

- قبول التنوين، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧٠].

- قبول ياء النداء، كما قال ﷺ: «**إن الله وكل في الرحم ملكًا فيقول: يارَبِّ نطفة، يارب علقة، يارب مضغة**»(١).

- قبول (ال) المعرِّفة، كما في قوله سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

- الإسناد إليه، أي: الحديث عنه، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩].

وجميع المواضع التي يُذكر فيها الاسم المميَّز بأحد علاماته الخمس؛ فإنه يكون في مواضعه علَمًا ووصْفًا معًا، وهو معنى قولهم: أسماء الله أعلامٌ وأوصاف.

➢ **القاعدة الثالثة:** إطلاق الاسم دون إضافةٍ أو تقييد(٢):

كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣].

ويدخل في معنى الإطلاق: اقتران الاسم بالعلوّ المطلق، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٩] وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب:٥٢].

كما أن الاسم إذا ورد معرَّفا بالألف واللام مطلقًا بصيغة الجمع والتعظيم؛ فإنه يزيد الإطلاق عظمةً وجمالًا، وحُسْنًا وكمالًا، كقوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣] وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحِجر:٢٣].

➢ **القاعدة الرابعة:** دلالة الاسم على الوصف(٣):

---

(١) رواه البخاري.

(٢) «غافر الذنب، محي الموتى، فالق الحب، جامع الناس، المستعان على ما تصفون».

(٣) فأسماء الله لها نوعان من الدلالة: دلالة على الذات، ودلالة على المعنى، فكل اسمٍ من أسماء الله يدل على الذات المسماة بهذا الاسم، ويدل على الصفة التي يتضمنها هذا الاسم، فالعليم يدل =

والمعنى أن يكون الاسم اسمًا على مسمى؛ فأسماء الله ﷻ لا تكون حسنى إذا كانت أعلامًا بلا معنى، فمثلا: جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ:، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»(١).

فالدهر اسم جامد لا يتضمن وصفًا يفيد الثناء أو المدح لله، فلا يُسمى به الله.

➢ **القاعدة الخامسة:** دلالة الاسم على الكمال المطلق:

فإن احتمل الاسمُ شيئًا يُحدّ من كماله وحُسْنه، أو كان معناه عند تجرّده محتملًا النقص، أو منقسمًا إلى كمال ونقص، لا يكون اسمًا من أسماء الله كاسم (الزارع) في قوله سبحانه: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٤].

➢ **القاعدة السادسة:** ليس كل ما أخبرتْ به النصوصُ فهو من أسمائه سبحانه:

والسرّ في ذلك: أن الأخبار يُتوسّع فيها ما لا يُتوسَّع في الأسماء؛ فالله سبحانه أخبر عن نفسه أنه كثير العفو، وقابل التوب، وفالق الإصباح، وفالق الحب والنوى، ومحبّ المؤمنين، ومبغض الكافرين، ونحوها.

قال ابن القيم رحمه الله: «ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه؛ فإنه يُخبَر به عنه، ولا يَدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا»(٢).

➢ **القاعدة السابعة:** لا يخرج من أسماء الله ما اتفق معناه وتغاير لفظه:

= على ذاته سبحانه، ويدل على صفة العلم، والقدير يدل على ذاته سبحانه، ويدل على صفة القدرة، وهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالثاني مختلفة.

(١) صحيح البخاري.

(٢) بدائع الفوائد.

بدعوى أنه من باب التكرار؛ فالقادر والمقتدر والقدير ثلاثة أسماء، وكل اسم منها مستقلٌ بذاته، يفيد معنًى خاصًّا لا يفيده الآخَرُ، وإن شارَكَه في أصل المعنى.

نقَل الحافظ ابن حجر عن أبي العباس بن معْنٍ قوْلَه: «ليس في أسماء الله شيء مترادف؛ إذ لكل اسم خصوصيةٌ، وإن اتفق بعضها مع بعض في أصل المعنى»(١).

➢ **القاعدة الثامنة:** لا تَنقُص عدّة أسمائه تعالى عن تسعة وتسعين اسمًا.

وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ أخبر أن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة، وأمَرَنا الله بدعائه بها؛ فإذا لم نتمكن من معرفتها وإحصائها؛ فكيف ندعوه بها؟

❃ ثانيًا: هل هناك اختلاف في تعيين أسماء الله الحسنى، وما سببه؟

الجواب: نعم، يوجد اختلاف في تعيين أسماء الله الحسنى، وسبب هذا الاختلاف: أن النصوص الجامعة أو الساردة لأسماء الله الحسنى غير صُحيحة؛ مما جعل أهل العلم يجتهدون في التعرف على هذه الأسماء، بوضْع القواعد الضابطة التي يتوصلون من خلالها إلى هذه الأسماء، وتوسّع بعضُهم في العدّ حتى جاوز بها المائة والخمسين، وقصّر آخَرون حتى لم يستطيعوا أن يصلوا على التسعين.

ومن الجدير بالذكر أن أكثر الأسماء مُصرَّح بها في كتاب الله، والقليل منثور في كتب السنة، وهو الذي وقع فيه الخلافُ.

❃ ثالثا: معنى كونها حسنى:

قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠] وقال

(١) فتح الباري.

تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه:٨] وقال – جل شأنه –: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحشر:٢٤].

ومعنى كونها حسنى: أي: بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه؛ فلا أحسن منها بوجهٍ من الوجوه، ولا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا؛ ذلك لأنها كلها ثناء ومدح وتعظيم وتمجيد للرب سبحانه وتعالى.

والله تعالى لجلاله وجماله وعظمته وكبريائه وإحسانه وإنعامه لا يُسمَّى إلا بأحسن الأسماء، ولا يوصف إلا بأحسن الأوصاف، ولا يُحمد إلا بأحسن المحامد، تعالى شأنه وجلَّ ثناؤُه.

والحسن في أسماء الله يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل باعتبار جمع الاسم إلى آخر، كمالٌ فوق كمال وجمالٌ فوق جمال، وجلالٌ فوق جلال(١).

❁ رابعًا: المقصود بإحصائها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ، مَنْ أَحْصَاها دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»(٢).

والمراد بإحصائها:

١– عدُّها وحفْظُها.

٢– فهْم معانيها ومدلولاتها.

٣– معرفةُ آثارها في الكون والحياة قدر الطاقة.

---

(١) انظر: اقتران أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم حصر الآيات، وأسرار خواتيمها، وبيان معانيها للمؤلف.

(٢) متفق عليه.

٤- دعاء الله بها دعاء مسألة.

٥- دعاء الله بها دعاء عبادة وعملٍ.

إيضاح:

١- عدُّها وحفْظُها:

جاء في روايةٍ في الصحيحين: «لا يحفظها أحدٌ إلا دخل الجنة».

ولا ريب أن من معاني الإحصاء: العدَّ والحفظَ.

٢- فهْمُ معانيها ومدلولاتها:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معنى الإحصاء:** «إحصاء ألفاظها وعددها، وفهْم معانيها ومدلولها، ودعاؤه بها»[(١)].

فإحصاء أسماء الله تعالى يقتضي فهْمَ معنى كل اسمٍ، ومعرفة مدلوله؛ إذ كيف نعبد اللهَ بها، وندعوه من خلالها دون ذلك؟

٣- معرفة آثارها في الكون والحياة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن كان له نصيبٌ من معرفة أَسمائه الحسنى واستقراء آثارها فى الخلق والأَمر، رأَى الخلق والأَمر منتظمين بها أَكملَ انتظام، ورأَى سريان آثارها فيهما، وعلِم ما يليق بكماله وجلاله أَن يفعله وما لا يليق؛ فاستدل بأَسمائه على ما يفعله وما لا يفعله؛ فإِنه لا يفعل خلاف موجب حكمته وحمده»[(٢)].

وقال: «تأَمَّلْ ما في الوجود من آثارٍ لرحمته الخاصة والعامة؛ فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ وأنزل علينا كتابه، وأنقذنا من الجهالة، وعلّمنا ما لم نكن نعلم، وأرشَدَنا

---

(١) بدائع الفوائد.

(٢) طريق الهجرتين.

لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته سخّر لنا جميع ما في السماوات والأرض»[1].

٤- دعاء الله بها دعاء مسألة:

فيسأل العبد ربَّه في كل مطلوب بما يناسب هذا المطلوبَ من أسمائه؛ فيقول مثلا: اللهم اغفر لي وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم! اللهم يارازق ارزقني! اللهم يا عفوّ اعفُ عني! اللهم يا حفيظ احفظني!

٥- دعاء الله بها دعاء عبادةٍ وعملٍ:

فإذا علِم العبدُ مثلا بسمْع الله وعِلْمه وبصَره، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه يعلم السرَّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ فإن ذلك يُثمر له حفظَ لسانه وجوارحه، بل وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي اللهَ سبحانه.

وليعلم العبدُ أن هناك أسماءً لله سبحانه يحبُّ من عباده أن يتّصفوا بموجبها؛ فهو سبحانه حليم يحب الحلماء، كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء، رفيق يحب الرفق، جميل يحب الجمال، وهكذا.

وهناك أسماء اختصّ الله بها، كالأحَد، والقدير، والجبار، والمتكبر؛ فيجب الإقرارُ بها، والخضوع عندها، والعملُ بموجبها.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وليس معنى (أحصاها) أن تُكتب في رقاع حتى تُحفظ، ولكن معنى ذلك:

١-الإحاطة بها لفظا.

٢-فهْمُها معنًى.

(١) مختصر الصواعق المرسلة.

٣-التعبُّد لله بمقتضاها[١].

❁ خامسًا: تسمية البشر بأسماء الله الحسنى:

تسمية البشر بأسماء الله الحسنى على وجهين:

الأول: ما كان من أسماء الله علَما مختصًّا به، كالخالق، الباري، المصوّر، القيوم، الرحمن، وأمثالها؛ فهذه لا يجوز تسميةُ غيره بها؛ لأن مسماها خاصٌّ بالله؛ فلا يقبل الشركة، ولا يجوز إطلاقها على غيره.

الثاني: ما كان من الأسماء الحسنى له معنًى كليٌّ، يتفاوت الحكم فيه بين أفراده، كالملك، العزيز، العليّ، الكبير، الرحيم، الكريم، وأمثالها.

فهذه يجوز إطلاقها على الخالق والمخلوق، ولكلٍ حكْمُه ومعناه، ولا يلزم من ذلك التماثلُ، بل ما يُضاف إلى الخالق منها يليق بعظَمته وجلاله، وما يضاف إلى المخلوق منها يليق بضعفه ونقصه.

❁ سادسًا: هل أسماء الله الحسنى محصورة في تسعة وتسعين اسما؟

أخذ بعضُ العلماء بظاهر حديث أبي هريرة المتقدم: «إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ، مَنْ أَحْصَاها دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

وظنوا أن فيه دلالةً على أن أسماء الله محصورةٌ في هذا العدد!

والذي عليه جمهور العلماء خلاف ذلك، بل نقَل بعضُهم الإجماعَ على أن أسماءَ الله غيرُ محصورةٍ بعددٍ.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ حَصْرٌ

---

(١) القواعد المثلى.

(٢) متفق عليه.

لِأَسْمَائِهِ ﷻ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرَ هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْحَدِيثِ: أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَالْمُرَادُ الْإِخْبَارُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِإِحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارِ بِحَصْرِ الْأَسْمَاءِ»[١].

ودليل هذا الإجماع حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»[٢].

والشاهد قوله: «أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك» وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن لأحد حصْرُه، ولا الإحاطةُ به.

قال ابن القيم: «في الحديث دليلٌ على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره»[٣].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم.

(٢) رواه أحمد والحاكم وغيرهما، وانظر: الصحيحة.

(٣) شفاء العليل.

(الله) جل جلاله

(الله): هو الاسم المفرد العلم الدالُّ على الذات المقدسة بل الدالُّ على سائر الأسماء الحسنى والصفات العُلى، فالأسماء الحسنى كلها منسوبة إليه وفرعٌ عليه، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

ولهذا يقال: الرحمن من أسماء الله، الرحيم من أسماء الله، الرقيب من أسماء الله، ولا يقال عكس ذلك، ونجد ذلك واضحًا فى الآيات التى تتحدث عن الأسماء الحسنى والصفات العلا، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٣] فلما أراد عز وجل أن يصف نفسه بعلم الغائب والحاضر ما وصف إلا الله، ولما أراد أن يصف نفسه بأنه الملك القدوس السلام...الخ قال مرة أخرى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ﴾ [الحشر][1].

(الله): عندما نجد شيئًا جميلًا نقول: **الله**، وعندما نرى دِقة فى صناعة نقول: **الله**، وعندما نتعرّض لمواقف صعبة نقول: **يا الله**.

إننا نجد كل الناس، أكابرهم وعظماءهم وأغنياءهم وملوكهم ورؤساءهم يضطرون إلى **الله**، حتى أولئك الذين ربما مرت بهم لحظات تنكّروا فيها لوجود **الله** أو قضى الواحد منهم زمنًا طويلًا يحاضر ويناظر على إنكار وجود **الله**!! فما هو إلا أن يقع فى كُربة ويشعر بالضعف البشرى الإنسانى فإذا هو يصيح بوعى أو بغير وعى لينادى يا (**الله**).

---

(١) أسماء الله وصفاته: عمر الأشقر بتصرف.

فها هو فرعون سيدهم الأول الذى تبجح قائلًا ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]!!

قادته الضرورة فى آخر أمره وهو فى وسط البحر بعد أن أدركه الغرق إلى أن يقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠]، ولكن بعد فوات الأوان!

قال سبحانه: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس][1]، حتى أن المشركين الذين عبدوا الأنصام عبدوها لتقربهم إلى الله....

(الله): أحق من عُبد وأحق من حُمد وأحق من ذُكر وأحق من شُكر.

(الله): هو الاسم الذى ما ذُكر فى قليل إلا كثره ولا فى ضيق إلا وسّعه ولا عند خوف إلا أزاله وأمنّه ولا عند كرب إلا كشفه ولا عند غم إلا فرّجه.

(الله): هو الاسم الذى ما تعلّق به فقيرٌ إلا أغناه ولا ذليلٌ إلا أعزّه وآواه.

(الله): هو الاسم الذى تُستنزل به البركات وتجاب به الدعوات وتُقال به العثرات وتستدفع به الآفات.

(الله): هو الاسم الذى انقسمت به الخلائق إلى سعداء وأشقياء، سعد من عرفه وراعى حقه وشقى من جهله وترك حقه.

لما سئل الإمام جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن الله**: فقال للسائل: هل ركبت البحر يومًا؟ قال: نعم.

قال: هل هاج بكم البحر حتى أيقنت الهلاك؟ قال: نعم. قال: أما خطر ببالك

---

(١) مع الله: سلمان العودة.

عندها أن هناك من يستطيع أن ينجيك إذا أراد؟ قال: بلى! قال: فذاك هو الله.

قطرةٌ من فيض جوده تملأ الأرض رِيًا ونظرةٌ بعين رضاه تجعل الكافر وليًا.

الله ربـــى لا أريـد ســــواه	**هـل فى الوجـود حقيقـةٌ إلا هـــو**
الطير سبّحـــه والوحش مجّـده	**والمـوج كبّـره والحـوت ناجـاه**
والنمـل تحـت الصـخر الصـم	**والنحـل يهتـف حمـدًا فى خلايـاه**
والناس يعصـونه جهرًا فيسترهـم	**العبـد ينسـى وربـى لـيس ينسـاه**

➢ **معنى الله:**

أصل كلمة (الله) الإله، حذفت الهمزة الوسطى وأُدغمت اللامان فأصبح (الله) ليكون علمًا على ذات الرب سبحانه وتعالى[١].

والإله فى لغة العرب له معانٍ أربعة:

١- المعبود بحق.

٢- الملتجأ والمفزوع إليه.

٣- المحبوب الحبّ الأعظم.

٤- الذى تحتار العقول فيه.

وكل هذه المعانى ثابتة فى حق الله تعالى وباطلة فى حق غيره وإليك التوضيح:

➢ **المعنى الأول: المعبود بحق[٢]:**

فالله وحده المستحق للعبادة دون سواه، والعبادة كل قول وعمل ظاهر وباطن يحبه الله من عابده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾

---

(١) الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى غريب أبو عارف.

(٢) ما أكثر المعبودات في الأرض، ولكن بالباطل!

[الزخرف:٨٤] أي هو ﷻ: المعبود فى السماء والمعبود فى الأرض.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام:٣].

➢ المعنى الثانى: الملتجأ إليه:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس:٢٢،٢٣].

فهؤلاء المشركون من العرب كانوا يدعون الله ويلتجئون إليه وحده إذا أحاط بهم الكرب فى البحر ولكنهم فى البر يشركون معه غيره.

ولذلك جاء الإسلام بإخلاص العبادة لله وحده والالتجاء إليه وحده فهو الذى بيده العز والذل والإحياء والإماته والنصر كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

➢ المعنى الثالث المحبوب الحب الأعظم:

فالعرب كانت تحب آلهتها وتعظمها وتُجلها وتقدسها ولذلك وضعوا أصنامهم فى أشرف الأماكن، فوق الكعبة وفى وسطها وكانوا يحلفون بها ويقاتلون فى سبيلها وحاربوا الرسول ﷺ - وهو ذو رحم - لأنه عابها وسبها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

والمعنى أن المؤمنين أشد حبًا وتعظيمًا وتعبدًا لإلههم الحق.

➢ **المعنى الرابع الذى تحتار العقول فيه:**

لما له من أسرارٍ خفية وأعمالٍ عظيمة وصفاتٍ جليلة، وليست الحيرة هنا بمعنى الشك ولكن بمعنى التعظيم والإجلال كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠] فلا يحيط أحد بالله علمًا لا نبيًا مرسلًا ولا ملكًا مقربًا فالله أعظم من أن تدركه العقول إدراك إحاطةٍ وعلمٍ كامل، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣] أى الله أجل وأعلى وأعظم من أن يحيط به البصر أو يحيط به العلم.

أوجد وأفنى، أمات وأحيا، الملك ملكه، والوجود خلقه، والأمور تدبيره، والبدء منه والمصير إليه، حسابه عدل، وجزاؤه ميزان، ثوابه نفضلٌ وإحسان، لا يخرج شيءٌ عن ملكه، لا يعزب مثقال ذرة عمن علمه، كل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبيلر المتعال.

والخلاصة أن الله أصله الإله، ومعنى الإله: المعبود والمحبوب الحب الأعظم والمفزوع إليه والملاذ والملجأ إليه والذى تحتار العقول فى إدراك عظمته ومعرفة قدرته(١).

➢ **من خصائص لفظ الجلالة (الله).**

وقد اختص هذا الاسم بخصائص منها:

١- أنه لا يسمى به أحدٌ غير الله ولا يجوز إطلاقه على غير الله، وهو أحد تأويلَى قول الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥] أى هل تعلم من تسمى باسمه الذى هو الله؟(٢).

مسيلمة الكذاب سمى نفسه رحمان اليمامة، لكن ما تجرأ أن يقول: أنا الله،

---

(١) منهج جديد لدراسة التوحيد: عبد الرحمن عبد الخالق باختصار.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.

وأشد الناس كفرًا لا يقدر أن يسمي نفسه باسم الله.

٢- أن سائر الأسماء إذا دخل عليها النداء أُسقطت عنها الألف واللام ولهذا يجوز أن نقول: يا ألله ولا يجوز أن نقول يا الرحمن. وهنا إشارة لطيفة وهى أن الألف واللام للتعريف فعدم سقوطها عن هذا الاسم يدل على أن المعرفة لا تزول عنه ألبتة[١].

٣- اتُّفق لغويًا على كتابة لفظ الجلالة بلامين، وذلك مخالفٌ للقاعدة في رسم الكلمات المماثلة في اللفظ، مثل: الذي، والتي، وذلك لأمور:

- عدم الالتباس بين «الله»، «إله».

- التفخيم والتعظيم، فإن تعظيم الله واجب حتى في النطق.

- التفرد[٢].

٤- يُنطق لفظ الجلالة بتفخيم اللام بعد الفتح والضم، يعني إذا كان الحرف الذي قبل لفظ الجلالة مفتوحًا أو مضمومًا، وكذلك إذا ابتُدئ بلفظ الجلالة، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:١٩]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

مع أن ذلك مخالفٌ لقواعد اللفظ، اقرأ: اللات، اللهو، اللفظ، تعرف الفرق.

وسوَّغ بعضهم تفخيم اللام حتى إذا كان قبلها مكسورًا، كل ذلك يُنبئ عن التعظيم اللفظي للفظ الجلالة.

٥- **لا تنعقد صلاة أحد من الناس إلا بالتلفظ به فلو قال أحد:** الرحمن أكبر لم تنعقد صلاته فلابد من قول الله أكبر.

---

(١) أسماء الله الحسنى المعاني والآثار: د/ محمد أمحزون.

(٢) دراسات حول لفظ الجلالة، د محمود مزروعة.

٦- غالب الأذكار مقترنةٌ به تقول: سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر، لا إله إلا الله، لاحول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٧- لفظ الجلالة هو أكثر الأسماء ورودًا فى القرآن، فقد ورد فى القرآن أكثر من ألفين وسبعمائة مرة، وافتتح به ﷻ ثلاثًا وثلاثين آية.

٨- لفظ الجلالة اشتمل على جميع الصفات العظيمة، وتضمَّن سائر خصائص الألوهية الحقة:

وهذه خصيصة لا توجد في الأسماء الأخرى، فأنت إذا دعوت الله بالغفار، فقد وصفته بالمغفرة، لكنك ما وصفته بالعلم أو بالقهر، وإذا دعوته بالعليم، فقد وصفته بالعلم، لكنك ما وصفته بالرحمة أو المغفرة أو الأحدية، وإذا ما دعوته بالقهار فقد وصفته بالقهر، لكنك ما وصفته بالرحمة، لكن إذا دعوته بلفظ الجلالة، فقلت: يا الله، فقد جمعت كل صفات الألوهية العليا والأسماء الحسنى، فهو سبحانه الجامع لصفات المحامد المستحق للأسماء الحسنى(١).

٩- وعمومًا لا يستطيع أحد أن يحصى خصائص وعظمة هذا الاسم، فكيف نحصى خصائص اسم لمسماه كل كمال مطلق وكل جلال مطلق وكل جمال مطلق وكل حمد مطلق وكل مدح مطلق وكل إحسان مطلق(٢).

➢ اسم الله الأعظم:

ولهذه الخصائص وغيرها ذهب أكثر العلماء كالطحاوى والقرطبى وابن القيم وغيرهم إلى أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دُعى به أجاب وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة:

---

(١) دراسات حول لفظ الجلالة، د محمود مزروعة.

(٢) أسماء الله الحسنى عند أهل السنة: د/ محمد أشرف حجازى.

● **عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول:** اللهم إنى أسألك أنى أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «**لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى**»[١].

● **عن أنس رضي الله عنه قال:** كنت جالسًا مع النبى ﷺ فى المسجد ورجل يصلى فقال: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم فقال النبى ﷺ: «**دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب وإذا سئل به أعطى**»[٢].

● **عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «اسم الله الأعظم فى سور من القرآن ثلاث فى البقرة وآل عمران وطه»**[٣].

ويلاحظ أن الاسم الذى تكرر فى هذه الأحاديث هو (الله) فقد ورد فى الحديث الأول صريحًا وفى الثانى بلفظ «اللهم» وأصلها: (يا الله) حذفوا النداء وزادوا ميمًا فى آخره وفى الحديث الثالث كذلك ففى سور البقرة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وفى آل عمران فى أولها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وفى طه فى أولها ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ فاسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى (الله).

ويجب التنبيه على أنه لا يلزم أن تجاب كل دعوة دعا بها أحد بالاسم الأعظم لأن لإجابة الدعاء شروطًا يجب أن تتوافر، من أهمها الإخلاص وأكل الحلال والمتابعة للرسول ﷺ، والثقة بالله تعالى واليقين بالإجابة وحضور القلب والتضرع

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وغيرهم وصححه الألبانى.

(٢) رواه ابن ماجه وأبو داود والنسائى وابن حبان وغيرهم وسنده صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه والطحاوى فى مشكل الآثار والطبرانى فى الكبير وانظر السلسلة الصحيحة.

كما أن هناك موانع لابد أن تزول كأكل الحرام والاستعجال وترك الواجبات وارتكاب المحرمات فمن توافرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع فهو ممن يُرجى قبول دعائه(١).

➢ أفى الله شك؟

كلمة قالتها سائر الرسل لأقوامهم حينما جادلوهم فى الله.

قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم:١٠].

ومعنى قول الرسل ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟ أى أفى وجود الله شك؟ أفى تدبير الله وحده لهذا الكون شك؟ أفى استحقاق الله وحده للعبادة شك؟

«فإنه أظهر الأشياء وأجلاها فمن شك فى الله فاطر السماوات والأرض الذى وجود الأشياء مستند إلى وجوده، لم يكن عنده ثقة بشئ من المعلومات حتى الأمور المحسوسة ولهذا خاطبتهم الرسل خطاب من لا يشك فيه ولا يصلح الريب فيه...»(٢).

➢ هل الله يحتاج إلى برهان؟

وجود الله تعالى وتدبيره وحده لهذا الكون واستحقاقه وحده للعبادة لا يحتاج إلى دليل أصلًا لكنها حججٌ يقيمها العلماء على الخلق وقاعدةٌ ينبنى عليها ما بعدها وفى نفس الوقت هذا مما يثبت الإيمان ويقوّى اليقين ويعزز الثقة فى قلوب المؤمنين.

---

(١) المنهاج الأسنى: د/ زيد محمد شحاته نقلًا عن أسماء الله الحسنى عبد الله الغصن.

(٢) تفسير السعدى.

١- المخلوقات الكثيرة والكائنات المتعددة وسيرها فى نظام دقيقٍ عجيبٍ لمن أعظم الأدلة على وجود الله وتدبيره لهذا الكون واستحقاقه وحده للعبادة.

فالعقل البشرى لا يتخيل أبدًا وجود صنعة بدون صانع، فهل توجد سيارة بلا مخترع أو طائرة بدون مبتكر؟ فهذا العالم وهذه المخلوقات محالٌ أن تكون موجودةً بدون خالق، ولم يَدّعِ أحد أبدًا على مَرِّ الزمان أنه خلق السماوات والأرض والإنس والجن وسائر الخلق...

• **سئل أحد العلماء**: لماذا لا يقال إن هذا العالَم وُجد صدفة؟ وكان أمام العالِم سبورةٌ عليها كتابات فقال: انظر إلى هذه السبورة التى أمامك، لو قال إنسانٌ: إن هذه الأسطر لم يكتبها كاتبٌ وإنما حدثت صدفة، بأن حملت الرياح ذرات التراب ودخلت بها من نوافذ الغرفة وأسقطتها على السبورة فظهرت بشكل كلام مفهوم مكوِّنًا هذه الأسطر! أيمكن لعاقل أن يصدق هذا القول؟ قال السائل: لا، فقال العالم: فكيف لعاقل أن يصدق أن هذا الكون العظيم خُلق بلا خالق؟!!

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥].

حين سمع هذه الآية جبير بن مطعم من النبى ﷺ وهو يقرأ بها فى صلاة المغرب قال: «**كاد قلبى أن يطير**»[١] وكان إذ ذاك مشركًا، لأنه فهم قوة الحجة.

• **التقى زنديق يومًا بالشافعى فقال له**: ما الدليل على وجود الله؟ فقال الشافعى: ورقة التوت، قال الزنديق: كيف ذلك؟ قال الشافعى: أليس لونها واحدًا وريحها واحدًا؟ قال الزنديق: بلى، فقال الشافعى: تأكلها دودة القز فتخرج حريرًا ناعمًا، وتأكلها النحلة فتخرج عسلًا صافيًا، وتأكلها الظباء فتُخرج مِسكًا طيبًا، وتأكلهاالحيوانات فتُخرج بَعْرًا منتنًا[٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) معرفة الله:سيد عطوة.

• من الذى أوجد هذه المصانع فى تلك الحيوانات؟! فبُهت الذى كفر.

• **قيل لأعرابى:** بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير، سماءٌ ذات أبراج وأرضٌ ذات فجاج وبحارٌ ذاتُ أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟!(1).

• **ومن أعظم ما ردّ به موسى عليه السلام على تهور فرعون وعجرفته لما سأله:** ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٥٠].

• فبُهت الفاجر العنيد وهذا جواب سديد، ولم يَدّع أحد من البشر مهما بلغ عُتُوُّه أنه شارك الله فى الخلق والهداية.

لله فى الأفاق آياتٌ لعل ... أقلها هو ما إليه هداكا

ولعل ما فى النفس من آياته ... عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناكا

الكون مشحون بأسرارٍ إذا ... حاولت تفسيرًا لها أعياكا

قل للطبيب تخطفته يد الردى ... من يا طبيب بطبه أرداكا

قل للمريض نجا وعوفى بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاكا

قل للصحيح يموت لا من علة ... من يا صحيح بالمنايا دهاكا

قل للبصير وكان يحذر حفرة ... فهوى بها من الذى أهواكا

قل للجنين يعيش معزولًا بلا ... راعٍ ومرعى من الذى يرعاكا

قل للوليد بكى وأجهش بالبكا ... عند الولادة من الذى أبكاكا

وإذ ترى الثعبان ينفث سمه ... فسأله من ذا بالسموم حشاكا

واسأله كيف تعيش يا ثعبان ... أو تحيا وهذا السم يملأ فاكا

---

(1) معارج القبول: حافظ حكمى.

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شُهداً وقل للشـهد من حـلاكـا
بل سائل اللبن المصفى كـان بيـن ... فـرثٍ ودمٍ مـن الـذى صفّاكـا
قل للهواء تحسُّه الأيدى ويخفـى ... عن العيـون من الـذى أخفاكـا
سيجيب مـا فى الكون من آيـاته ... عجبٌ عجـابٌ لـو ترى عينـاك
يا أيـها الإنسان مهـلًا ما الـذى ... بـالله جـل جلالـه أغـراكـا

قام الخطيب المِصْقَع الشيخ عبد الحميد كشك رَحِمَهُ اللَّهُ، على المنبر يومًا – وهو الرجل الأعمى – قام وقد أخرج من جيبه سعفة نخل مكتوب عليها (الله) بالخط الكوفى ثم هتف فى الناس وأبكاهم قائلًا:

انظر لتلك الشجرة...ذات الغضون النضرة... من الذى أنبتها... وزانها بالخضرة... ذاك هو الله.... الذى قدرته مقتدرة.

خَلقُ الله وبديع صنعه لمن أعظم الأدلة على وجوده وإلهيته وإفراده بالعبادة.

٢- وجود كلام الله تعالى بين أيدينا نقرؤه ونتدبره ونفهمه لمِن أعظم الأدلة على وجود المتكلم وتعظيمه وإفراده بالعبادة:

لأنه يستحيل كلام بلا متكلم وقولٌ بلا قائل، وقد عجز الخلق جميعًا أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ من مثله أو حتى سورة واحدة من مثله ولا زال التحدى والإعجاز قائمًا، وقد كان العرب وهم أفصح الأمم ومع شدة عداوتهم للإسلام إلا أنهم عجزوا عن ذلك وعجْز غيرهم أولى وأولى.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣] وأنّى لمخلوق أن يأتى بمثل كلام الخالق سبحانه؟!!

وقد نظر العلماء فوجدوا أن هذا القرآن مُعجز من جميع الوجوه! معجز فى لفظه ونظمه ومعناه، بل أثبت القرآن الكريم أشياء لم يعرفها البشر إلا فى العصر الحديث، وستظل كنوز القرآن ذاخرةً تُعجز البشر فى كل عصر ومصر.

➢ **خذ أمثلةً قليلةً على ذلك:**

• أثبت العلم الحديث أنك كلما ارتفعت إلى السماء قل الأكسجين ووجدت الاختناق وضيق التنفس.. وهذا مذكور فى قول ربنا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وهذا قبل أن يُخلق من اكتشف هذه النظرية وقبل أن يخلق أجداده وأجداد أجداده.

• أثبت العلم الحديث أن بين كل بحرين حاجزًا مائيًا يفصل ماء كل بحر عن الآخر وهذا الحاجز المائى تختلف كثافته عن ماء البحرين، وهذا مذكور فى قول ربنا: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن]وقوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٦١].

• أثبت العلم الحديث أن مراكز الإحساس فى الجسم هى الجلد فقط وأنه متى اختُرق الجلد قل الإحساس جدًا أو انعدم، وهذا مذكور فى قول ربنا عن تبديل جلود الكافرين والفاسقين فى النار حتى يستمر الألم والعذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ﴾ [النساء:٥٦].

• **قال الطبيعيون:** كانت البشرية جميعًا حتى القرن التاسع يظنون أن النمل حشرة لا تنطق وأنها تتعامل مع أخواتها من النمل بالإشارة أو الإيحاء لكن بفضل أجهزة

التسجيل فوق السمعية التى تسجل الأصوات التى لا تسمعها الأذن تَبيّن لنا أن النمل ينطق ويتكلم ويناقش ويجادل ويقف ويفكر...نقول لهم: هذا اكتشاف عجيب رائع لكن الأعجب والأروع أن القرآن قد أخبر بذلك، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل: ١٧، ١٨].

فهل كان عند محمد ﷺ أجهزة فوق السمعية ليعرف بها أن النمل يتكلم؟!![١].

وكلام الله تعالى مع كونه دليلًا واضحًا على وجوده واستحقاقه للعبودية، هو مع ذلك طريق واضح نَصِل به إلى الله ومعرفته معرفة حقيقية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الناس من يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان ومنهم من يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة ومنهم من يعرفه بالعز والكبرياء ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر واللطف ومنهم من يعرفه بالقهر والملك ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته، وأعلم هؤلاء معرفة من عرفه من كلامه فإنه يعرف ربًا قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال ونُزّه عن المثال وبرئ من النقائص والعيوب له كل اسم حسن وكل وصفِ كمال، فعال لما يريد، فوق كل شئ، ومع كل شئ، وقادر على كل شئ أرحم الراحمين وأقدر القادرين وأحكم الحاكمين»[٢].

فالقرآن كله حديث الله جَلَّ جَلَالُهُ يخاطب به الله الرجل والمرأة والصبى والطفل وعالِم الذرة ورائد الفضاء، وساكن الغابة وساكن الصحراء، ورجل القرية ورجل المدينة، وكل يأخذ منه ما يعرِّفه بالله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) معرفة الله: سيد عطوة بتصرف يسير.

(٢) الفوائد.

فما أعظم أن نتعرف على الله من خلال كلامه الذى يخاطب أعماق الفطرة بالقصة والمثل والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والآية والعبرة.

٣- ومن أعظم الأدلة على وجود الله تعالى وتدبيره وحده لهذا الكون واستحقاقه وحده للعبادة «الفطرة»:

ومعنى الفطرة: أن الله تعالى حين خلقك، خلقك متهيئًا لقبول الحق مستعدًا للعمل به فلو خُلِّى بينك وبين الحق والله ما توجهت إلا إليه، لو لم تطرأ عليك الطوارئ وتصرفك الصوارف ما عرفت إلا الحق وما قلت إلا الحق وما عملت إلا بالحق، ولهذا شُبِّهت الفطرة باللبن فكما أن الولد إذا وُلد يتوجه إلى ثديِ أمه كذلك الإنسان إذا تُرك ولم يُوجَّه إلى الشر والباطل توجّه تلقائيًا إلى الخير والحق، هذه هى الفطرة.

فالفطرة التى فطر الله الناس عليها هى التوحيد هى الإيمان هى معرفة الله ﷻ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠].

وقال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه..**»[١] ولم يقل: يسلمانه لأن الإسلام فطرته.

وقال ﷺ: «**قال الله تعالى: «إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وَحرّمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا**»[٢].

هذه هى الفطرة النقية: توحيد رب البرية والاعتراف له بالعبودية.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

ومعنى«**حنفاء**»: قيل: مسلمين وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد فى الذر وقال: «ألست بربكم قالوا بلى»(١).

• ولما كان يوم فتح مكة هرب عكرمة بن أبى جهل، فركب البحر فأصابهم عاصف فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم هنا شيئًا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني فى البحر إلا الإخلاص فلا ينجينى فى البر غيره!! اللهم لك علىّ عهد إن عافيتنى مما إنا فيه أن آتى محمدًا حتى أضع يدى فى يده فلا أجدنَّه إلا عفوًا كريمًا، فجاء فأسلم»(٢).

فالإلحاد اعوجاجٌ فى الفطرة وتسفيهٌ للعقول وتعالٍ على الحق.

ومن طرائف أجوبة الفطرة، ما ذُكر من أن معلمًا وقف يقول لطلابه فى الصف السادس الابتدائى: هل ترونى؟ قالوا: نعم، قال إذن أنا موجود، قال هل ترون السبورة؟ قالوا: نعم، قال: إذًا السبورة موجودة، قال: هل ترون هذه المنضدة؟ قالوا: نعم، قال: إذًا المنضدة موجودة. فقال: هل ترون الله؟ قالوا: لا، قال: إذن الله غير موجود، فقام طالب ذكىّ وقال: أترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا، قال: إذن عقل الأستاذ غير موجود. «فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين» فالذى نطق إنما هى الفطرة(٣).

فوجود الله ﷻ واستحقاقه وحده للعبادة وتدبيره وحده لهذا الكون أظهر من كل حقيقة وأبين من كل برهان وأوضح من كل دليل.

قال ابن القيم عليه رَحِمَهُ اللهُ: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: كيف يُطلب الدليل على من هو دليل على كل شئ، وكان كثيرًا ما يتمثل هذا البيت:

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم.

(٢) رواه أبو داود والنسائى وصححه الألبانى.

(٣) المنهاج الأسنى: د/ زين شحاتة، معرفة الله: سيد عطوة.

ولـيس يصـح فى الأذهـان شـيءٌ	إذا احتـاج النهـار إلـى دليـل[١]
فواعجبًـا كيـف يُعصـــى الإلـه	أم كيـــف يجحـــده الجـــاحد
وفى كـل شـــئ نجـد لله آيـــة	تـــدل علـــى أنـــه الواحـــد

➢ **كيف نعبد الله بهذا الاسم الأعظم؟**

❋ **أولًا: أن نفرده تعالى بالعبادة:**

إن قاعدة الإسلام الأساسية هى التوحيد القائم على إفراد الله تعالى بالعبودية أو صرف جميع العبادات لله تعالى وحده والإخلاص له فيها، وهذه هى الغاية التى خلق الله الخلق من أجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** بينا أنا رديف النبى ﷺ ليس بينى وبينه إلا آخرة الرحل فقال: «**يا معاذ**»، قلت: لبيك يارسول الله وسعديك، قال: «**هل تدرى ما حق الله على عباده؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ثم سار ساعة**» ثم قال: «**يا معاذ**»، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. **قال:** «**حق العباد على الله ألا يعذبهم**»[٢].

فحاجة المسلم إلى عبادة الله وإخلاصها له أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) رواه البخارى.

والنفس بل وإلى الروح التى بين جنبيه، لأن العبد إنما خُلق لذلك لا غير، فلا تطمئن النفس فى الدنيا إلا بذكر الله، ولا تصلح وتهدأ إلا بعبادته ومحبته ورضاه..

ومع ذلك رضى أكثر الناس بالدنيا واطمأنوا بها وركنوا إليها وصرفوا العبادة لغير الله، فرأينا من يدعو الأموات ويطلب منهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، ورأينا من يستغيث بغير الله وينذر لغير الله ويذبح لغير الله ويحلف بغير الله!

وقد قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(١)].

وقال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[(٢)].

ورأينا من يذهب إلى الكهنة والعرافين ويصدقهم فيما يكذبون ويفسدون وقد قال ﷺ: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٣)].

ورأينا من يُعلِّق التمائم ويضع الحجب فى الملابس والفرش وغيرها وقد قال ﷺ: «**من عَلق تميمة فقد أشرك**»[(٤)] والتميمة ما يعلق فى عنق الولد أو فى عنق البهيمة أو على أبواب البيوت أو فى السيارات ونحوها يُتقى بها العين، أو يُعتقد أنها تدفع الضر أو تجلب النفع.

ورأينا من يتبرك بقبور الصالحين ويتمسح بجدران الكعبة وأعتاب المساجد ويتعلق ببعض الأحجار والأشجار، وقد أُمر ألا يتعلق إلا بالله ولا يركن إلا إلى الله.

قال ابن القيم: «إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله وإذا فرح الناس بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنس الناس بأحبائهم فأنس أنت بالله وإذا ذهب الناس

---

(١) رواه أحمد والحاكم وأبو داود والترمذى وصححه الألبانى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه وابو داود والنسائى وأحمد وصححه الألبانى.

(٤) رواه أحمد وصححه الألبانى فى صحيحه.

إلى ملوكهم وكبرائهم يسألونهم الرزق ويتوددون إليهم فتودد أنت إلى الله...»[١].

واذكر قول الرسول ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك»[٢].

• خرج أبو معلّق الأنصارى فى تجارةٍ له – وكان من أصحاب النبى ﷺ وكان تقيًا مؤمنًا – يتجر بماله ومال غيره فقابله لص – قاطع طريق – رفع عليه السلاح وقال: ضع متاعك فإنى قاتلك، فقال له أبو معلّق: شأنك بالمال، فقال له: لست أريد إلا دمك، فقال له أبو معلّق: فذرنى أصلى فقال اللص: صل ما بدا لك، فتوضأ أبو معلق وصلى ودعا الله وقال: «يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد أسألك بعزك الذى لا يُرام وملكك الذى لا يُضام وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص يا مغيث أغثنى «ثلاث مرات، فإذا بفارس يأتى وبيده حربة فطعن اللص فقتله فسأله أبو معلّق: من أنت فقد أغاثنى الله بك؟ قال: إنى ملك من أهل السماء الرابعة لما دعوت سُمعت لأبواب السماء قعقعة، ولما دعوت ثانيًا سُمعت لأهل السماء ضجة ثم ثالثًا فقيل لى: دعاء مكروب، فسألت الله أن يولِّيَنى قتله»[٣].

➢ معبودات أخرى.

وهناك معبودات أخرى خفية تعبد من دون رب البرية، فالشرك أنواع ومراتب منها ما يُرى ومنها ما لا يرى، ومنها الظاهر الجلي ومنها الخفي ومنها ماهو أخفى من دبيب النمل.

---

(١) الفوائد.

(٢) صحيح الترمذى.

(٣) أصول الإيمان د / أبو عائش عبد المنعم ابراهيم نقلًا عن الإصابة لابن حجر، أسد الغابة، مجابو الدعوة وانظر أول كتاب الجواب الكافى لابن القيم، وشرح أصول الاعتقاد للالكائى.

١-الهوى:

وها هو القرآن يُلفت أنظارنا إلى إلهٍ خطير يتعبد له الملايين وهم لا يشعرون، ذلك هو الهوى، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية ٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

قال ابن عباس: «الهوى إلهٌ يُعبد من دون الله»(١) فالعبد إما متبعًا لمولاه أو متبعًا لهواه فإذا كان متبعًا لمولاه فهو عبد له وإذا كان متبعًا لهواه فهو عبد له.

وحتى يتحرر الإنسان من عبودية الهوى يجب أن يُذعن هواه لشريعة الله.

وقد بَيّن الله تعالى السبب الأكبر فى عدم استجابة الكفار لدعوة الرسل فقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص: ٢٦].

٢-الدينار والدرهم:

والسنة تنبئنا بمعبود من دون الله ألا وهو الدينار والدرهم، ففى صحيح البخارى أن النبى ﷺ قال: «**تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار... تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**».

والمعنى: أن من جعل المال شغله الشاغل وهمه الذى كأنه خلق له، وانصرف عمله إليه لم يسعد به، بالعكس يشقى بذلك شقاءً كبيرًا، يوضح النبى ﷺ هذا الشقاء فيقول: «**وإذا شيك فلا انتقش**» أى إذا وقع فى الكرب والبلايا لا ينفعه ماله بل لا يجد معينًا للخلاص.

٣-الحرية الشخصية:

فباسم الحرية الشخصية أصبحنا نرى المخنث الذى يتشبه بالنساء فى ملابسه

---

(١) تفسير القرطبي.

وكلامه وهيئته، رأينا من يلبس خاتم الذهب، رأينا من يلبس الأساور فى يده والسلاسل فى عنقه فإذا ألقيت اللوم عليه قال: «عادى» «حرية شخصية».

وباسم الحرية الشخصية رأينا المرأة تلبس«البنطال»وتزاحم الرجال وتخرج متبرجة متعطرة مميلة مائلة كاشفة عن عورتها مظهرة لزينتها مثيرة للفتن والشهوات! ونسمع من يدافع عن ذلك قائلًا: «كل واحد حر».

وباسم الحرية الشخصية صار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تدخلًا فى شئون الآخرين!!

حصاد الحرية الشخصية: الزنى العرفى، الاغتصاب، العرى، الدياثة، الانحلال، بل والانسلاخ من دين الله وحلول سخط الله وغضبه، البلاء والوباء والغلاء...،

المسلم ليس حرًا إنما هو عبد لله راضٍ بقدره مستسلمٌ لقضائه مذعنٌ لأحكامه ممتثلٌ لأوامره منتهٍ عن نواهيه.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦].

٤- «الناس كلها كدة:

فصار الحكم للأغلبية لا لله!! فلو رأت الأغلبية إباحة الخمر أبيحت، ولو رأت الأغلبية إباحة الربا أبيحت، ولو رأت الأغلبية عدم تطبيق الشريعة أُلغي تطبيقها!!

فالحكم أولًا وأخيرًا للأغلبية!!

وفى هذا مصادمة واضحة لشرع الله تعالى، فالأغلبية لا قيمة لها عند الله إن عملت بمعصية الله قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ

أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف:١٠٣]، **وقال تعالى:** ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٦].

وقد بين النبى ﷺ عقوبة هذا الصنف من الناس الذى يسير بلا إرادة ولا وعى حين يوضع فى قبره، فقال ﷺ: «**إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله....وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال: لا دريت ولا تليت..**»[1].

المؤمن لا يحل له أن يكون إمّعة لا رأى له يسير مع الناس حيث ساروا بل الواجب أن يبحث عن الحق ويتمسك به ويؤثره على غيره مهما قل أتباعه.

اتبع طريق الحق ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.

٥- العادات والتقاليد:

إن مما ينبغى التنبيه إليه أن كثيراً من عاداتنا وتقاليدنا – فى المآتم والأفراح والأعياد والمواسم وغيرها تعارض أحكام الإسلام ولا تتفق مع روحه السمحة التى تهدف إلى إصلاح البشرية وإسعادهم فى الدنيا والآخرة.

فإذا ما عرف الناس أن هذه العادة محرمة أو مخالفة لهدى الإسلام صاروا فى حيرة بين العادة والعبادة لكن لضعف إيمانهم ولهوان الشريعة فى قلوبهم استسلموا لطغيان التقاليد والعادات وصيّروها كالعبادات!

فالواجب على المسلمين أن يعيدوا النظر فى عاداتهم وممارساتهم وأن يغيروا إلى ما يوافق الإسلام حتى يفوزوا بالسعادة فى الدارين.

---

(١) متفق عليه.

٦- تأليه العقل أو إعماله فى غير مجاله:

ليس هنالك عقيدة تقوم على احترام العقل الإنسانى وتعتز به كعقيدة الإسلام، وليس هناك كتاب أطلق سراح العقل وأظهر قيمته كالقرآن، ولهذا نجد عبارات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ ونحوها تتكرر عشرات المرات في كتاب الله.

ولكن منع الإسلام العقل من الخوض فيما لا يدركه وأُمر العبد أن يعمل بما طُلب منه حتى ولو لم يدرك المعنى أو يستوعب الحكمة، ولكن صار الإنسان يُعمل عقله فى غير مجاله حتى قال أحد أساتذة المدرسة العقلية محمد عبده: اتفق أهل الأمة الإسلامية إلا قليلًا ممن لا يُنظر إليهم على أنه إذا تعارض العقل مع النقل أُخذ بما دل عليه العقل وكان من نتيجة ذلك أن قال خائبهم: «إن بعض الأحكام المقررة في الشريعة لم تعد توافق الزمن الذى نحن فيه........»(١).

وللإنسان أن يبحر بعقله فى محيطات المعرفة المختلفة وأن يتأمل فى مخلوقات الله ويتفكر فى إبداعها، ولكن هناك منطقة محرمة لا ينبغى التفكير فيها وهى ذات الله تعالى؛ لأن طاقة العقل البشرى لا تتحمل ذلك.

فذات الله أكبر من أن تدركها العقول أو تحيط بها الأفكار، ولا ينفى ذلك وجودها كما أن عجز الإنسان عن إدراك حقيقة الكهرباء لا ينفى وجودها، وعجزه عن إدراك حقيقة الضوء لا ينفى وجوده وهكذا سائر الأشياء التى يعجز العقل عن إدراك حقيقتها لا ينفى ذلك وجودها.

فالخوض فى ذات الله تعالى هلاك وضياع، والعقل البشرى مخلوق لا يبحث إلا فى مخلوق مثله فسبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] ففى الحديث: «**تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله**»(٢).

---

(١) باختصار من معبودات جديدة: علاء الدين بحيص.

(٢) صحيح الجامع.

❋ ثانيًا: أن نعظم هذاالاسم العظيم:

بأن يُقدس ويوقر ولا يُعرَّض للإهانة أو الانتهاك.

يحكى بعضهم أنه دخل إحدى الدوائر الحكومية فوجد فى كل مكتب سلَّة ورقية مكتوب عليها (خاص بلفظ الجلالة) توضع فيها الأوراق المحتوية على أسماء الله كأوراق المصاحف وغيرها – ثم تُجمع وتُحرق بطريقة لائقة...

فكرة عظيمة فيها من تعظيم الله ما فيها، يمكن تطبيقها فى البيوت والمكاتب والمطاعم والأسواق والجامعات والمدارس ونحوها، يظن البعض أنه عمل هيِّن وقد يبلغ عند الله مبلغًا أشرف من مقام كثير من العبادات......

ولذلك أفتى كثير من العلماء بأنه لا يجوز استعمال الجرائد سفرة للأكل عليها ولا جعلُها ملفًا للحوائج لأنها غالبًا لا تخلو من اسم الله بصورة مباشرة أو غير مباشرة كالأسماء المشهورة عبد الحميد، عبد الرزاق، عبد العزيز ونحوها.

تخيّل لو أنك نشأت فى منزل توجد فى وسطه سلة مكتوب عليها (خاص بلفظ الجلالة) كم سيترك هذا التصرف من الآثار التربوية والإيمانية فى نفسك وفى أسرتك وأبنائك؟!!

فاللهم اجعلنا ممن يعظم الله حق تعظيمه ويقدره حق قدره.

❋ ثالثًا: أن نقدر الله حق قدره:

▪ **وحق قدره**: أن يطاع فلا يعصى ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يُكفر ويحب حبًا يملك على العبد كل حركة فيه.

▪ **حق قدره**: أن يُفوّض الأمر إليه ويُتوكل عليه ويُرضى بحكمه ويُستسلم لقضائه ويُنقاد لأوامره.

■ **حق قدره:** أن يُقصد بالسعى ويُخلص له العمل.

■ **حق قدره:** أن يُرضى به وليًا وربًا وإلهًا وحاكمًا وكفيلًا ووكيلًا وحسيبًا وشهيدًا، كيف لا؟ وصفاته جليلة وأسماؤه جميلة ومنه كل نعمة كثيرة أو قليلة.

❋ رابعًا: أن نعطيه حقه من الذكر:

فإذا عرف العبد الله أعطاه حقّه من الذكر، وحقه من الذكر ما أمرنا الله به حين قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب] وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الحزاب:٣٥].

فالذكر حياة القلوب وغذاء النفوس.

قال ﷺ: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت»[(١)].

فالحياة الحقيقية حياة القلوب بذكر علام الغيوب، والموت الحقيقى موت القلوب بالغفلة عن علام الغيوب، ذلك لأن الإنسان مكونٌ من جسد وروح، فالجسد مبدؤه من الأرض فغذاؤه من الأرض، طعام وشراب وسكن ونحوه، أما الروح فمبدؤها من السماء فغذاؤها إذن من السماء، ذكر الله وطاعته ومحبته ومعرفته،

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

فبذكر الله تطيب النفس ويطمئن القلب ويهدأ البال، وبذكر الله تُدفع الآفات وتكشف الكربات وتهون المصيبات، لا يوجد عمل أشرح للصدور وأعظم فى

---

(١) رواه البخارى.

الأجور كالذكر، هو إنقاذٌ للنفس من أتعابها واضطرابها وهمومها وغمومها، هو طريق مختصر لكل فوز ونجاح.

فيا من شكا الأرق وبكى من الألم، يا من أتعبته المشاكل وأعجزته الوسائل، بقدر إكثارك من ذكره يهدأ قلبك وتسعد نفسك ويرتاح ضميرك.

إذا مرضـــنا تـــداوينا بـــذكركم ونتــرك الــذكر أحيانًــا فننــتكس.

قال الله تعالى فى الحديث القدسى: «أنا مع عبدى إذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه»[1].

ما أجمل أن يكون الله معك يُغنى فقرك ويجبر كسرك ويرفع قدرك، فمن كان الله معه فماذا فقد ومن فقد الله فماذا وجد؟

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تنفقوا الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله ﷻ»[2].

قال ميمون بن مهران: الذكر ذكران: ذكر الله باللسان حسن، وأفضل من ذلك أن يذكر الله العبدُ عند المعصية فيمسك عنها»[3].

✵ خامسًا: أن ندعو الله تعالى بهذا الاسم العظيم:

وسبق أن ذكرنا أن لفظ الجلالة (الله) هو الإسم الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دُعى به أجاب – شريطة أن يأتى الداعى بشروط إجابة الدعاء من أكل الحلال وترك الاستعجال وحضور القلب ومتابعة الرسول ﷺ.

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألبانى.

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى.

(٣) الورع لابن أبى الدنيا.

قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأكثر ما يُدعى الله ﷻ بلفظ: «**اللهم**» فيقول الداعى: يا الله اغفرلى أو اللهم اغفر لى، يا الله ارزقنى أو اللهم ارزقنى وهكذا تسأل حاجتك من الذى لا يسمع الدعاءَ غيرُه ولا يجيب المضطر سواه ولا يكشف الضر إلا إياه.

واعلم أنه من الكبائر المهلكة بل من الشرك بالله أن يتوجه العبد إلى الأموات والمقبورين ممن يسميهم الناس أولياء الله يطلب منهم الحاجات ويسألهم تفريج الكربات!!

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [سورة فاطر: ١٣-١٤].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

(١) الرب جل جلاله

اسم (الرب) من الأسماء الجميلة التى تُشعر العبد بالأمان والطمأنينة، حتى أن كثيرًا من الناس إذا وقع فى ابتلاء أو شعر بالظلم أو الخذلان، طفق يقول: «لنا ربنا».

وقد ورد (اسم الرب) فى القرآن الكريم فى أكثر من (٩٠٠) موضع، وأكثرها مضافًا إلى الخلق عمومًا وخصوصًا كـ: رب العالمين، رب السماوات، رب الأرض، رب العرش، رب العزة، رب كل شئ.

فسبحانه، رب العالمين قبل وجود العالمين، وحال وجودهم، وبعد فنائهم.

والعالَمون جمع عالم ويشمل عالم الإنس وعالم الجن وعالم الملائكة وعالم الطير وعالم الحيوان، وغيرها وإنما سُميت هذه الكائنات بالعالمين لأنها عَلَم ودلالة قاطعة على وجود الخالق جل وعلا.

قال تعالى فى أول آية فى كتابه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام:١٦٢]، **وقال تعالى:** ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩].

فورود الاسم فى كتاب الله أكثر من أن يذكر.

وقال ﷺ: «ألا وإنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه فى الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم»[١].

---

(١) رواه مسلم.

وقال ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن»(١).

وقال ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»(٢).

ولما بكى النبى ﷺ يوم وفاة إبراهيم قال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يُرضى الرب»(٣).

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

الربوبية تقوم على معنيين:

الأول: إفراد الله بالخلق.

الثانى: تدبير الله وحده أمر هذا الخلق.

فالله تعالى لم يخلق غيرُهُ ولم يدبر أمرَ الخلق سواه.

أما المعنى الأول وهو إفراد الله بالخلق، فإن أول آية وصلت السماء بالأرض تؤكد هذا المعنى وتبينه أحسن بيان إذ يقول تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: ١].

وأما المعنى الثانى وهو تدبير الله وحده أمر هذا الخلق، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣٢].

وقال تعالى جامعًا بين المعنيين: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر:٦٢].

---

(١) رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٣) رواه البيهقى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع.

فربنا سبحانه هو الذى يخلق ويرزق ويدبر الأمر فيعطى ويمنع ويهدى ويضل ويحي ويميت ويُعز ويذل ويقبض ويبسط وكل ما فى الكون مربوب له خاضع له لا يخرج أحد عن ملكه وقبضته.

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –: ربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه وتدبيره له ونفاذ أمره كل وقتٍ وكونه معه كل ساعةٍ فى شأن يخلق ويرزق ويميت ويُحي ويخفض ويرفع ويعطى ويمنع ويعز ويذل ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته وإنكار ذلك إنكارٌ لربوبيته وإلهيته وملكه»[١].

فسبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره ولا مبدل لكلماته تعرج الملائكة والروح إليه وتُعرض الأعمال عليه: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر:٢] إذا أراد الله أن يوصل إلى عبده خيرًا أويمنحه رحمة وبرًا، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يمنعوا ذلك ما استطاعوا سبيلًا إلى ذلك.

﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر:٢] إذا أراد الله أن يمنع عبده خيرًا أو يحجب عنه رحمة وبرًا فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يوصلوا إلى العبد ذلك، ما استطاعوا سبيلًا إلى ذلك

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [فاطر:٢]

عزيز: لا يغالبه شئ ولا يعجزه شئ.

حكيم: إذا أعطى أو منع أو قبض أو بسط أو أعز أو أذل فبحكمته البالغة ﷻ.

فـ «تفكر فى الأمر يتنزل من فوق العرش بتدبير أمر سماواته وأرضه يحى أناسًا ويميت آخرين ويُعز قومًا ويذل آخرين ويُنشئ دُولًا ويبيد آخرين ويُحوِّل نعمًا من جاحدين إلى شاكرين ويقضى حاجات السائلين فيغنى فقيرًا ويشفى مريضًا ويُفرِّج

---

(١) الصواعق المرسلة.

كُربًا ويكشف ضرًا ويهدى حيرانًا ويؤمِّن خائفًا ويُجير مستجيرًا ويغيث ملهوفًا ويعين عاجزاُ وينصر مظلومًا وينتقم من ظالم ويغفر ذنبًا ويقبل توبًا ويجيب دعاءً ولا يتبرم من إلحاح الملحين ولا كثرة الداعين ولا تعدد المطالب باختلاف اللغات فيعطيهم جميعًا ما سألوا ولا ينقص ذلك من ملكه إلا كما تأخذ الإبرة من ماء البحر»[(١)].

فالرب سبحانه هو الخالق الرزاق المالك المربى الحاكم السيد المتصرف.

قال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس].

فبين سبحانه أنه خالق الخلق ومالك الملك كما قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤].

➢ وهل هناك خالق مع الله؟

قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر:٣].

وما دام ليس هناك خالق غير الله فليس هناك رازق سواه، قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٨] وقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات:٢٢].

خلق ورزق إذًا يأمر ويحكم، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف ٥٤].

وحكمه مبنى على علمه الذى أحاط بكل شئ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤] بلى يعلم، فلما علم حكم فقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

---

(١) أسماء الله الحسنى: د/ محمد أشرف حجازى.

له السيادة العظمى والتصرف المطلق فى هذا الكون.

قال الله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧][1].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢].

➢ مناظرة قصيرة فى (الرب) جل جلاله:

ذلكم الله ربكم الذى ناظر فيه ابراهيم خليل الرحمن، النمرود الجحود.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾

كان النمرود بن كنعان من ملوك الدنيا، وذُكر أن الذين ملكوا الدنيا أربعة، ملكان مؤمنان وملكان كافران فالمؤمنان: سليمان صلوات الله وسلامه عليه وذو القرنين، والكافران: بُخْتَنَصَّر، وهذا النُّمرود الجحود الذى كان يدَّعى أنه ربٌّ آخر مع الرب جل جلاله، وناظر ابراهيم خليل الرحمن فى ذلك.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾

أى لأجل أن آتاه الله الملك يطغى بهذه الصورة الفجة وينسى الرب جل جلاله؟!

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾

والإحياء والإماتة فعلان من أفعال الرب التى لا حصر لها والتى لا يقدر عليها غيره، فلا يملك مخلوق مهما بلغ عُتوُّه أن يمنح حياة لغيره – لم يشأها الله – ولو

(١) حقيقة الإيمان ج١. د/ عمر عبد العزيز القريش.

للحظات يسيرة، كما لا يملك مخلوق أن يُنهي حياةً لغيره إن قدر الله له بقية من حياة.

وخص إبراهيم هذين الفعلين – الإحياء والإماتة – بالذكر لأن النمرود الجحود كان يَدّعى القدرة عليهما!!

﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ﴾:

وأراد بذلك أنه كان يأتى بالرجلين فيحكم عليهما بالموت ثم قبل التنفيذ يسامح أحدهما ويُنَفِّذ فى الآخر، فكان يزعم أن الذى سامحه أحياه وأن الذى نَفّذ فيه أماته؟! ولا عجب فهذا أحد أغبياء بنى آدم الذين قال فيهم النبى ﷺ: «**ما تستقل الشمس فيبقى شئ من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بنى آدم**» ومعنى تستقل: أى تتعالى وترتفع(١).

فلما رأى إبراهيم غباءه انتقل به إلى فعل لله أوضح ليظهر عجزه وليفضحه على الملأ.

وكأنه يقول له: إذا كنت تدعى أنك تحى وتميت وأنت الذى تنشئ الخلق وتوجد من العدم فأنا آتيك بأبسط من ذلك

﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة:٢٥٨].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢].

➢ تربية الرب لعباده:

قال السعدى: «الرب هو: المربى جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص

---

(١) انظر صحيح الجامع وفيض القدير.

من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتربيته أحسن من تربية الوالد الشفيق الرحيم المحسن لولده الذى هو أحب شئ إليه فلا يزال يعامله بلطفه ويختصه بفضله ويؤثره برحمته ويمده بمعونته ويؤيده بتوفيقه ويريه مواقع إحسانه إليه وبره به فيزداد العبد به معرفة وله محبةً وإليه إنابة وعليه توكلًا ولا يتولى معه غيره ولا يعبد معه سواه، وهذا هو الذى عرف قدر النعمة وعرف المنعم وأقّرّ بنعمته وصرفها فى مرضاته»[٢].

➢ من تربية الله لك.

١- قد يبتليك الله بالأذى ممن حولك حتى لا يتعلق قلبك بأم أو أب أو أخ أو صديق، فيتعلق قلبك بالله وحده.

٢- قد يبتليك ليستخرج من قلبك عبودية الصبر والرضى وتمام الثقة به، هل أنت راضٍ عنه لأنه أعطاك أم لأنك واثق أنه الحكيم الرحيم؟

٣- قد يمنع عنك رزقًا تطلبه لأنه يعلم أن هذا الرزق سبب لفساد دينك أو دنياك أو أن وقته لم يات، وسيأتى فى أروع وقت ممكن.

٤- قد يُنغص عليك نعمة كنت مستمتعًا بها لأنه رأى أن قلبك أصبح مهمومًا بالدنيا فأراد أن يريك حقيقتها لتزهد فيها وتشتاق للجنة.

٥- أنه يعلم فى قلبك مرضًا أنت عاجز عن علاجه باختيارك فيبتليك بصعوبات تخرجه رغمًا عنك، تتألم قليلًا، ثم تضحك بعد ذلك.

٦- أن يؤخر عنك الإجابة حتى تستنفذ كل الأسباب وتيأس من صلاح الحال

---

(١) تفسير السعدى.

(٢) طريق الهجرتين.

ثم يصلحه لك من حيث لا تحتسب حتى تعلم من هو المنعم عليك.

٧-حين تقوم بالعبادة من أجل الدنيا، يحرمك الدنيا، حتى يعود الإخلاص إلى قلبك فتعتاد العبادة للرب الرحيم فيعطيك ولا يحرمك.

٨-أن يطيل عليك البلاء ويريك خلال هذا البلاء من اللطف والعناية وانشراح الصدر ما يملأ قلبك معرفة به حتى يفيض حبه فى قلبك.

٩-أن يراك غافلًا عن تربيته وتُفسر الأحداث كلَّها وكأنها تحدث وحدها فيظل يريك من عجائب أقداره وسرعة إجابته للدعاء حتى تستيقظ وتبصر.

١٠- أن يُعجل لك عقوبة على ذنوبك حتى تُعجِّل أنت التوبة فيغفر لك ويطهرك ولا يدع قلبك تتراكم عليه الذنوب حتى يغِّطيه الران فتعمى.

١١- أنك إذا ألححت على شئ مصرًا فى طلبه متسخطًا على قدر الله يعطيك إياه حتى تذوق حقيقته فتبغضه وتعلم أن اختيار الله لك كان خيرًا لك.

١٢- أن تكون فى بلاء فيريك من هو أسوأ منك بكثير (فى نفس البلاء) حتى تشعر بلطفه بك وتقول من قلبك: الحمد لله(١).

➢ الربوبية تتجلى فى قصة أصحاب الأخدود:

(روى مسلم فى صحيحه عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال: كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم وكان له ساحر)** وهذا شأن الملوك قديمًا، كانوا يعتمدون على السحرة فى تثبيت مُلكهم، فكان السحرة يعملون على إخضاع الناس للحكام بما يقومون به من خُدع وتُرَّهات.

واعلم أن العلماء قد اختلفوا فى كفر الساحر فكفّره مالك وأحمد وأبو حنيفة

(١) مجموعة تغريدات / من تربية الله لك. د/ توفيق الرقب.

تكفيرًا مطلقًا وذلك لأنه يدعى ملك الضر والنفع والخلق وتغيير الأمور والأحوال وتقليب القلوب على الحب والبغض، وقد علمت أنه لا يقدر على ذلك إلا الله، فالساحر قد أشرك بالله فى ربوبيته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] ولهذا جاء فى صحيح البخارى عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر».

فحد الساحر القتل وتخليص العباد والبلاد من شره وأذاه.

(**فلما كبُر**) أى الساحر.

(قال للملك إنى قد كبرت فابعث إلىّ غلامًا أعلمه السحر فبعث إليه غلامًا يعلمه).

ولماذا طلب غلامًا ولم يطلب شابًا يافعًا أو رجلًا كبيرًا عاقلًا؟

➲ **الجواب**: لأن الغلام الصغير قابلٌ للنقش والتشكيل، وهذا يدعونا إلى الاعتناء بأولادنا ونقشهم وتشكيلهم منذ نعومة أظفارهم على حب الله ورسوله والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

ومن قول الساحر: «ابعث إلىّ غلامًا أعلمه السحر» نجد نموذجًا لبطانة السوء التى يهمها أن تبقى الأوضاع التى يستفيدون منها وينعمون فيها.

(فكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه).

جاء فى رواية الترمذى: «وكان الراهب إذ ذاك على دين الحق».

- **وثمة سؤال هام: كيف أحب الغلام كلام الراهب مع أنه كان يتعلم السحر؟**

➲ **الجواب**: الفطرة، فالله تعالى قد فطر الناس جميعًا على الإيمان والتوحيد، فالراهب كان لا يتكلم إلا بالتوحيد، بخلاف الساحر الذى كان لا يقول إلا طلاسم

تأباها الفطر النقية والقلوب التقية.

(فكان إذا أتى الساحر مَرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه).

وهذا الضرب يمثل بالنسبة للغلام بلاءً وامتحانًا إذا راعينا أنه غلام صغير فالله تعالى: أراد أن يربيه منذ البداية تربية حقيقية كاملة.

(فشكا ذلك إلى الراهب) ولم تكن شكوى الذى يُقدم المعاذير ليتخلى ويتراجع، ولكنها شكوى الذى يعانى من مشكلة تعوق انطلاقه واستمراره، يبحث لها عن حل، فلينتبه المربون لأن المشاكل التى تعوق السائرين كثيرة ولابد أن يوجدوا لها حلولًا مناسبة.

(فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك قل: حبسنى الساحر) فكان الراهب ينظر إلى الواقع على أنه حرب ومن ثَم أباح للغلام أن يكذب فقد قال النبى ﷺ: «**لا يحل الكذب إلا فى ثلاث: يحدّث الرجل امرأته ليرضيها والكذب فى الحرب والكذب ليصلح بين الناس**»[1].

وليتأمل طلاب العلم حرص الغلام على حضور الدرس رغم الضرب الذى يتعرّض له من الساحر ومن أهله، فلماذا يُعِرض الكثير عن الدروس ومجالس العلم رغم أنهم لا يُضربون ولا يؤذَون، وإنما هو الإنشغال بالدنيا! وغَفُل هؤلاء أن الإعراض عن العلم يستجلب إعراض الرب ﷻ.

(فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلمُ الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس) فدائمًا مع شدة الابتلاء تظهر الآيات التى تعين على الصبر وتطمئن النفوس.

---

(١) رواه الترمذى وأصله فى الصحيحين.

ولا ننسى أثر الازدواج فى منهج التلقى عند الغلام فقد أحدث له ترددًا وإن كان قلبُه مع الراهب بلا شك ولذلك لجأ إلى الله ودعاه حتى يطمئن قلبه.

(فأتى الراهب فأخبره) أى بخبر الدابة التى قتلها الله بدعائه

(فقال له الراهب: أى بُنىّ أنت اليوم أفضل منى) فقد أيّدك الله بهذه الكرامة الواضحة، والراهب إذ ذاك يعلمنا درسًا عظيمًا فى التواضع لأن الراهب أفضل من الغلام بلا شك فهو الذى علّمه التوحيد ولقنه العلم، ومع ذلك يقول له: أنت اليوم أفضل منى!!

لا جرم فقد قال الله لنبيه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء:٢١٥].

(قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستُبتلى) وليس هذا رجمًا بالغيب بل معرفة بسنن الله الكونية والشرعية، فكل من سلك طريق الإيمان وخصوصًا إذا كان داعيًا إليه لا بد أن يبتلى، وليس الابتلاء خاصًا بأمة دون أمة وإنما هو لكل المؤمنين فى كل العصور قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت:٢، ٣].

(فإن ابتُليت فلا تدل علىّ) قاعدة عظيمة فى ترك طلب البلاء بل فى البعد عنه وسؤال الله العافية كما قال ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية**»(١)، وفى هذا أيضًا استعمال الكتمان والسرية فى بعض أمور الدعوة إذا وقع الاضطرار إلى ذلك فقد استعمل النبى ﷺ السرية فى الدعوة ثلاث سنين إلى أن تمكن من الجهر بها...

(وكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء) الأكمة: الذى وُلد أعمى، والبرص مرض جلدىٌ عضال معروف،

---

(١) متفق عليه.

وهذه كرامة أو معجزة قدرها الله تعالى على يده حتى لا يكون لأحد حجة فى عدم اتباعه كما هو الشأن فى جميع الأنبياء ومعجزاتهم، قال تعالى عن عيسى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال عن موسى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء:٦٣].

والفرق بين الكرامة أو المعجزة والسحر والشعوذة: التدين والطاعة والالتزام بالسنة فقد رُوى عن الشافعى رحمه الله: «إذا رأيتم الرجل يطير فى الهواء أو يسير على الماء فلا تصدقوه حتى تروا اتباعه للرسول»[1].

(فسمع جليس الملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتنى) هؤلاء لا يعرفون إلا لغة المال، ولكن الداعية الصادق لا يجعل للدنيا قيمة فى دعوته بل لا يضع قدمًا أو يرفعها إلا وهو يبتغى الأجر والمثوبة من الله تعالى.

(فقال: إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله) هذا هو الرب جل جلاله الذى لا يشفى غيره ولا يداوى سواه، فلا الطبيب ولا الدواء ولا الغذاء هو الذى يشفى بل الله وحده لا رب سواه ولا إله غيره، قال ابراهيم الخليل عليه السلام وهو يُعرِّف الرب جل جلاله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء:٨٠].

وكان النبى ﷺ يقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا»[2].

---

(١) أعلام السنة المنشورة: حافظ الحكمي.

(٢) رواه الترمذى وأبو داود وصححه الألبانى.

• وانظر كيف آمن جليس الملك الذى كان لا يعرف إلا الدنيا والمال والهدايا، هكذا فى بساطة، لأن حقيقة الإيمان كامنة فى نفس كل إنسان ولا ينقص إلا أسلوب الدعوة الصحيح.

(فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربى. قال: ولك رب غيرى؟ قال ربى وربك الله).

هكذا يهاجر الإيمان بالمؤمن من العبودية لغير الله إلى عبودية الله وحده، ومن الخوف من غير الله إلى الخوف من الله وحده، ومن رجاء غير الله إلى رجاء فضل الله وحده، ومن ظلمة الجهل وموت الكفر وقسوة الشك إلى نور العلم وحياة الإيمان وراحة اليقين، فالإيمان يصنع الأعاجيب...

(فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام) ليست خيانة ولا عمالة... ولكنها الطاقة البشرية المحدودة فى الصبر والتحمل والثبات، وجُزىَ خيرًا على ثباته على دينه.

(فجئ بالغلام فقال له الملك: أى بُنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟) فهو يريد أن يقول له: لا مانع عندى من استمرارك فيما تفعل بشرط أن تقول للناس: إن هذا سحر تعلمته فى مدرسة الملك، وأن ما تدعو إليه هو بتوجيهات الملك وتحت إشرافه ورعايته، فأبى الغلام إلا أن يواجه الملك بأن دعوته هى التوحيد الخالص والعقيدة الصافية التى يُحتَّم على كل مسلم أن يدين لله بها.

(فقال: إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله) وفشلت محاولة الاحتواء وإلباس الدعوة ملابس الجاهلية، وهكذا الداعية لا يُحتمل منه غيرُ الوضوح والبيان، فعنه تؤخذ الحقيقة ومن فمه وبكلماته يعرف الناس الدين.

(فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب فجئ بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضعه فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شِقاه ثم جئ

بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فَوَضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه) فهكذا التوحيد إذا غُرس فى النفوس وهكذا الإيمان إذا غامر القلوب فهذا جليس الملك الرجل المُترف المُنعَّم، كيف كان يعيش حياة اللهو واللعب؟ وكيف صبر هذا الصبر العظيم حفاظًا على دينه؟!

وهذا الذى حدث مع الراهب وجليس الملك هو ما أخبر به النبى ﷺ عندما شكَوا إليه الاستضعاف.

فعن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شكونا إلى الرسول ﷺ وهو متوسِّدٌ بُردة فى ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيُجعل فيها ويُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُنشر اثنين فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللهَ والذئبَ على غنمه ولكنكم تستعجلون»[1].

وهكذا يتعامل الظلمة مع دعاة الحق، فلا فرصة للمناقشة ولا سبيل إلى الإقناع إنما هو التعذيب والتقتيل!!

(ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفينهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه فى قرقور (السفينة الصغيرة) فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفينهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله).

---

(١) رواه البخارى.

فالكافى هو الله وحده، والقادر على كل شيءٍ هو الله وحده، والمعز هو الله وحده والمذل هو الله وحده، من تعلق به هداه ومن توكل عليه كفاه ومن فوّض الأمر إليه نجّاه قال الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق:٣]، حسبه: كافيه، بالغ أمره: منفذه.

• **وثمت سؤال هام: ما الذى جعل الغلام يعود إلى الملك وقد علم أنه قاتله؟**

والجواب: أن الغلام لا يريد النجاة لنفسه بل يريد الحياة لأمته فهو يريد أن تنتصر العقيدة وتعلو راية التوحيد مهما كان الثمن، ولهذا رجع ليعلم الكون كله أنه لا ربَّ إلا الله ولا يكون إلا ما قدّر الله...

• **وثمت سؤال آخر: لماذا لم يقتله الملك من أول وهلة كما فعل بالراهب وبجليس الملك؟**

والجواب: أنه لا يريد أن يهيّج الرأى العام عليه بقتله للغلام الذى أظهر الله الخير للناس على يديه.

(فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهمًا من كِنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوّس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمنى فإنك إن فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كِنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صُدْغه فوضع يده فى صُدغه فى موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام) استجاب الملك لأوامر الغلام استجابة الضعيف المضطر فوصلت الدعوة للناس وعلم الجميع أن لهم ربًا خالقًا وحده رازقًا وحده مدبرًا الأمر وحده لا يستحق العبادة سواه....

(فأُتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حَذَّرُك قد آمن

الناس فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فخُدت وأضرم النيران، وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمّه اصبرى فإنك على الحق).

ومن مجموع هذه الحقائق نفهم قول الله تعالى فى سورة البروج: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج ١: ٢٢][(١)].

➢ كيف نعبد الله باسمه (الرب):

❃ أولًا: أن نكون له عبيدًا:

إذا أقررنا أن الله تعالى هو الخالق لهذا الكون وما فيه والمتصرف فيه بالإحياء والإماتة والخلق والرزق والتدبير فينبغى أن نعطيه حقه فى العبادة وأن نفرده بها ونُخلصَ له فيها، فلا يتعلق العبد إلا به ولا يخاف إلا منه ولا يرجو إلا إياه، ولا يتوكل فى دفع المضار وجلب المنافع إلا عليه..

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن

---

(١) هذه الفقرة ملخصة من ١- أصحاب الأخدود / رفاعى سرور، ٢- تأملات إيمانية فى قصص القرآن/ ياسر برهامى، ٣- صحيح القصص النبوى / عمر الأشقر.

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨- ٨٩] أى كيف تتعلقون بغيره وتخافون غيره وترجون سواه؟!

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر:٣٨].

فإذا قال: قائل: لماذا كان الله هو الإله الحق؟

الجواب: لأنه الرب، أو بصيغة أخرى: الذى يستحق التأله وتجب له العبادة والطاعة والحب والتعظيم والخضوع الكامل والالتجاء، لابد وأن يكون خالقًا ولعبده رازقًا ومدبرًا وعليه مقتدرًا، فإن اختل شئ من ذلك لم يكن بذلك إلهًا، وقد جمع الله كل ذلك فى آيات جامعة أقام بها الحجة على المشركين وغيرهم.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل:٥٩-٦٥][1].

فالذى يُقر أن له ربًا، لا يَشغله شئ عن عبادته ولا يغفل لحظة عن طاعته.

---

(١) منهج جديد لدراسة التوحيد / عبد الرحمن عبد الخالق.

❋ ثانيًا: أن نفرده بالتحليل والتحريم (التشريع):

فالرب ﷻ هو وحده الذى له حق التحليل والتحريم إما فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلستُ أنا ولستَ أنت وليس أحد يحل له أن يقول هذا حلال أو هذا حرام إلا بخبر من الله ورسوله، ومن خالف هذاالسبيل فقد أشرك بالله فى ربوبيته.

قال عدىّ بن حاتم: أتيت النبى ﷺ وفى عنقى صليبٌ من ذهب فقال: **يا عدىّ اطرح هذا الوثن من عنقك** فطرحته، فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١]حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: **أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرّم الله فتحلونه؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم**»[(١)].

❋ ثالثًا: أن نرض به سبحانه:

أن ترضى بأوامره امتثالًا وترضى بنواهيه اجتنابًا وترضى بأقداره المؤلمة، ترضى بكل نعمة ومصيبة وكل منع وعطاء وكل شدة ورخاء ترضى به إذا عافاك أو ابتلاك، ترضى به إذا أعدمك وأفقرك أو أغناك وحباك.

من رضى بربه ملأ قلبه سعادة وسرورًا وزين فى قلبه الإيمان وكرّه إليه العصيان قال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ رسولًا**»[(٢)].

❋ رابعًا: أن نتبرأ من كل ما يُعبد من دون الله:

أن نتبرأ من كل ما يخالف دين الله، وأن نعمل من أجل إبطال الشرك وإزالته والسعى فى الأرض لإقامة دين الرب ﷻ، وذلك ببذل النفس والمال والكلمة فى سبيل الله.

---

(١) رواه الترمذى والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الكبرى وحسنه الألبانى.

(٢) رواه مسلم.

قال تعالى: عن نبيه إبراهيم عيه السلام: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء:٧٥- ٨٣].

خامسًا: أن يتقى العبد ربه فيمن ولاه عليهم:

فيتقى العبد ربه فى والديه الذَّين بلغا الكبر، وأن يتقى العبد ربه فى أولاده وزوجته، وأن يتقى العبد ربه فى تلامذته، وأن يتقى العبد ربه فى بهيمته، وأن يتقى العبد ربه فى كل من هم تحت ولايته لأنه ربهم وجب أن يربيهم شيئًا فشيئًا برفق ولين وحكمة وعلم وحلم ورحمة.

فعن عبد الله بن جعفر أن النبى ﷺ دخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جملٌ، **فلما رأى النبىَّ ﷺ حَنّ وذرفت عيناه فأتاه النبى فمسح ذِفره فسكت فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟** فجاء فتىً من الأنصار فقال: لى يا رسول الله، فقال: **أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فإنه اشتكى إلىّ أنك تجيعه وتُدئبه»** أى تُتعبه[1].

سادسًا: ألا نطلق هذا الاسم إلا عليه.

فإذا أطلق الرب فلا يُراد به إلا الرب ﷻ ولا يحل إطلاقه إلا عليه، لكن قيِّدْه كما تشاء فقل: رب الدار، رب الأسرة، رب الغنم، ولكن نهى النبى ﷺ أن يقول العبد لسيده (ربى) ففى صحيح البخارى أن النبى ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدى ومولاى، ولا يقل أحدكم: عبدى، أمتى وليقل: فتاى وفتاتى، وغلامى**».

(١) رواه أبو داود وصححه الألبانى.

❃ سابعًا: أن يكون العبد ربانيًا:

وكيف يكون العبد ربانيًا؟

(صفات العبد الربانى).

١ـ أن يعلق قلبه بالله وحده: فهو ليس عبدًا للمال ولا عبدًا للناس ولا عبدًا للنساء ولا عبدًا للشهوات ولا عبدًا للمنصب والجاه ولا عبدًا لمن يدعوه ويرتبط به، وإنما هو عبدٌ لله وحده، قلبه ليس معلقًا إلا به.

قال الفضيل بن عياض لرجل: «لأعلمنك كلمة هى خيرٌ من الدنيا وما فيها، والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون فى قلبك مكان لغيره لم تسأله شيئًا إلا أعطاك»[1].

٢ـ أن يتعلم العلم الشرعى:

الذى به يعبد ربه على بصيرة كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩]، فالربانى هو الذى يتعلم عن الله ورسوله ويعمل بذلك ويعلّمه.

٣ـ أن يكون صابرًا:

على الابتلاء، صابرًا أمام فتنة المال، صابرًا أمام فتنة النساء، صابرًا الصبر الجميل الخالى من الشكوى والضجر.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران:١٤٦].

---

(١) صفة الصفوة / ابن الجوزى.

٤- أن يكون متألهًا:

متعبدًا: لا يسمح لشيء أن يشغله عن الطاعة أو أن يُنسيه الرب.

٥- أن يكون غيورًا على دين الله آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر:

قال تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المائدة: ٦٣].

العبد الرباني غيور على محارم الله، لا يغضب لنفسه ولكن يغضب إذا انتهكت حرمات الله..

ثامنًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه (الرب):

وحسبك أن الأنبياء جميعًا دعوا بهذا الاسم العظيم.

- دعا به الأبوان الكريمان حين أكلا من الشجرة وطلبا المغفرة ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

- **دعا به نوح حين قال:** ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال: ﴿رب إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ [هود:٤٥].

- **دعا به موسى حين قال:** ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

- **دعا به يوسف حين قال:** ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف:٣٣]، وقال: ﴿رب قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾ [يوسف:١٠١].

- **دعا به زكريا حين قال:** ﴿رب لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٩].

- **دعا به سليمان حين قال:** ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص:٣٥].

- **ودعت به امرأة عمران حين قالت:** ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾ [آل عمران: ٣٥].

- وأكثر أدعية النبى ﷺ المنثورة فى السنة كانت بهذا الاسم العظيم (الرب).

- ودعاء الصالحين كما أخبر عنهم رب العالمين فى كتابه المبين كان بهذا الاسم العظيم حين قالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٤]، وقالوا: ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥][١].

وذلك لأنه خالق كل شئ ومالك كلِّ شئ والمتصرف فى كل شئ والمهيمن على كل شئ.

قال بعض السلف: «من قال: يا رب يا رب يا رب استجيب له»[٢].

---

(١) ولله الأسماء الحسنى / عبد العزيز ناصر الجليل بتصرف.

(٢) أسماء الله الحسنى / محمد أشرف حجازى.

(٢) (٣) الرحمن، الرحيم جل جلاله

لهذين الاسمين شأن كبير ومكانة عظيمة عند الله تعالى.

وحسبك أنه إذا سأل سائل فقال: من هو الله؟ صح أن نقول له: هو الرحمن الرحيم كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر:٢٢].وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقر ١٦٣] وقال تعالى عن كتابه الكريم: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

➢ معنى الاسمين في حق الله، والفرق بينهما[١]:

«**الرحمن الرحيم**» مشتقان من الرحمة وهى الرقة والحنو والعطف لكن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم والفرق بين الاسمين:

١- **أن الرحمن:** ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع الخلائق فى الدنيا، فيصح أن نقول رحمن الدنيا، الذى تشمل رحمته المؤمن والكافر والطائع والعاصى، فليس مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله وغمره فضله وإحسانه،

لكن الرحيم: هو رحيم الآخرة بالمؤمنين فقط، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤٣].

---

(١) عمدة التفسير: أحمد شاكر، النهج الأسمى: محمد الحمود النجدى، ولله الأسماء الحسنى: عبد العزيز ناصر الجليل، الأسماء الحسنى والصفات العلا: عبد الهادى بن حسن وهبى.

٢-أن الرحمن دال على الصفة الذاتية لله تعالى القائمة به سبحانه، لكن الرحيم دال على الصفة الفعلية التى يوصلها الله إلى من يشاء من عباده.

٣-أن الرحمن اسم خاص بالله لا يحل لأحد أن يتسمى به، ولذلك «لما تجهرم مسيلمة الكذاب وسمى نفسه رحمن اليمامة كساه الله تعالى جلباب الكذب وشُهر به، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب»، لكن الرحيم يصح أن يقال: رجل رحيم.

➢ **سعة رحمة الله تعالى:**

قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال تعالى: إخبارًا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوجبها على نفسه الكريمة تفضلًا منه وإحسانًا وامتنانًا»[1].

وفى الصحيحين قال ﷺ: «**إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوامّ فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها**».

وفى رواية: «حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، وأَخّر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

وفى صحيح البخارى: «قُدم على النبى ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى إذ وَجدت صبيًا فأخذته فألصقته ببطنها فأرضعته، فقال النبى ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار**»؟ قالوا: لا والله وهى تقدر على ألا تطرحه، فقال النبى ﷺ: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**».

---

(١) تفسير ابن كثير.

وقال ﷺ: «لما أغرق الله فرعون قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فقال جبريل: يا محمد لو رأيتنى وأنا آخذ من حال[1] البحر فأدُسُّه فى فيه مخافة أن تُدركه الرحمة»[2].

➢ تنبيه:

لكن ينبغى أن يُعلم أن رحمة الله وسعت كل شئٍ نعم، وشملت البار والفاجر والمسلم والكافر نعم، فما من أحد إلا وهو يتقلب فى رحمة الله آناء الليل وأطراف النهار نعم، لكن هذا فى الدنيا وتلك هى الرحمة العامة أما الرحمة الخاصة بالمغفرة ودخول الجنة فى الآخرة فهى للمؤمنين والمتقين وحدهم، قال تعالى: **﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾** [الأعراف: ١٥٦][3].

أقول ذلك، لأنك إذا رأيت أحدًا مقترفًا جرمًا أو واقعًا فى محرم فأردت أن تنصحه، أردت أن تبين له الحلال والحرام فقلت له: لماذا لا تصلى؟ لماذا تُغضب أمك؟ لماذا لا تحفظ لسانك عن الحرام من غيبة ونميمة وكذب وقول على الله بغير علم وبهتان وتدخل فيما لا يعنى؟

لماذا لا تغض بصرك عن الحرام؟ لماذا......؟

ترى عدم المبالاة!! ترى التهاون بالمعاصى!! وتسمع كلمات الإرجاء بل الاستهزاء!! تسمع: «بينى وبين ربنا عمار» «دى صغائر» «الدين يسر» «ربنا غفور رحيم» «رحمة ربنا واسعة».

---

(١) أي من وحله وطينه.

(٢) رواه الترمذى وصححه الألبانى.

(٣) النور الأسنى: آمين الأنصارى.

فليتأمل هؤلاء قول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾ [الأعراف:١٥٦]، قول الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، وقول ربنا: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر: ٥٠][١].

➢ كيف نعبد الله باسميه «الرحمن» «الرحيم»؟:

❋ أولًا: أن نستشعر سعة رحمته سبحانه على خلقه ونتلمسها في كونه:

من مظاهر رحمة الله:

١- أن أولَ كلمة تكلم الله بها لآدم كلمةُ الرحمة:

قال ﷺ: لما نفخ الله فى آدم الروح، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين فقال له الله: يرحمك الله»[٢].

٢- أرسل إلينا رسولًا:

فعلمنا من جهالة وهدانا من ضلالة وبصرنا من عمى وعرفنا أسماء الله وصفاته قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وكان النبى ﷺ يقول: «إنى لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة»[٣].

وكان يقول: «إنما أنا رحمة مهداة»[٤].

٣- القرآن الذى بين أيدينا:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

---

(١) سلوكات مرفوضة: المؤلف.

(٢) رواه ابن حبان وصححه الألبانى في التعليقات على صحيح ابن حبان

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه ابن سعد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]، قال تعالى: ﴿الٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:١-٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

قال ابن عباس: «فضله: الإسلام، ورحمته: القرآن»[1].

انظر كيف غفلنا عن الفضل وأعرضنا عن الرحمة!!

٤- الليل والنهار:

قال الله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص:٧٣].

٥- إرسال الرياح وإنزال المطر:

وهاتان الرحمتان من أرفع أنواع الرزق وأعمِّها فائدة وأكثرها منفعة ومصلحة قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠].

٦- حذّرنا نفسه:

لئلا نغتر به فنعامله بما لا يليق به فنهلك فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران:٣٠][2].

٧- نغّص علينا الدنيا وكدّرها:

لئلا نطمئن بها أونسكن إليها، ونرغب فى النعيم المقيم فى داره وجواره،

---

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور: السيوطى.

(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلا: عبد الهادى حسن وهبى.

فسبحانه وبحمده منعنا ليعطينا وابتلانا ليعافينا[١].

٨-أحوجَ الخلق بعضهم إلى بعض:

لتتم بينهم مصالحُهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض، لتعطلت مصالحهم وفسد نظامهم، فسبحانه جعل فيهم الغنى والفقير والعزيز والذليل والقادر والعاجز والراعي والمرعيّ، ثم أفقر الجميع إليه ثم عم الجميع برحمته[٢].

٩-علمنا ما لم نكن نعلم:

فأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١-٤].

١٠- وعد المسئ بتبديل سيئاته حسنات، إذا هو تاب:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠﴾ [الفرقان ٧٠].

١١-ومن رحمته بالعصاة والمذنبين:

أنه لا يعاجلهم بالعقوبة بل يؤخرهم ليتوبوا ويئوبوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ۝٤٥﴾ [فاطر: ٤٥].

١٢-أمره عبادَه ألا يقنطوا:

قال تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ لكنه تعالى دعاهم إلى التوبة والرجوع

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

قبل حلول الأجل أو العذاب الدنيوى والأخروى، قال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤].

١٣-الجنة التى أعدها لعباده المؤمنين:

قال ﷺ: «**لا يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة منه ورحمة**»[١] فأعمالك وإن جاءت على الوجه اللائق فهى لا تقاوم ولا تعادل نعم الله عليك، ولذلك قال ﷺ: «**لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم**»[٢].

وقال ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: يدخلنى الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: يدخلنى الضعفاء والفقراء فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار: أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى**»[٣].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه، قال لضمضم بن جَوْس اليمامى: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا، فقال له: يا أبا هريرة إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب، قال أبو هريرة: لا تقلها فإنى سمعت النبى ﷺ يقول: «كان فى بنى إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهدًا فى العبادة وكان الآخر مسرفًا على نفسه فكانا متآخيين فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول: ياهذا أقصر فيقول: خلِّنى وربى أبُعثت علىّ رقيبًا؟ قال: إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه فقال له: ويحك أقصر، فقال: خلّنى وربى أبعثت علىّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يُدخلك الجنة أبدًا، فبعث الله إليهما ملكًا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتى، وقال للآخر: أكنت بى

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه أبو داود وصححه الألبانى.

(٣) رواه البخارى.

عالمًا؟ أكنت على ما فى يدى خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار، قال ﷺ: «**فوالذى نفس أبى القاسم بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته**»(١).

فقل ماشئت عن رحمته فإنها فوق ما تقول، وتصوّر ما شئت فإنها فوق ما يخطر بالخيال أو يدور فى البال، وانظر إلى الكون بعين البصيرة تراه ممتلئًا بالرحمة امتلاء البحر بمائه والجو بهوائه.

وصدق الله إذ يقول: «﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢].

أى خير لهم مما فى أيديهم من الأموال ومتع الحياة الدنيا.

أين رحمة الله تعالى بالمبتلى والمعذب والمسجون؟

إذا كانت رحمة الله تعالى فوق ما نقول وأعظم مما يخطر بالبال ويجول فى الخيال فأين رحمة الله بالمقهورين والمعذبين؟!

أين رحمة الله بمن يقتلون ويحرّقون؟

أين رحمة الله بمن عاشوا حياتهم على الأسرة البيضاء ثم عليها ماتوا؟

أين رحمة الله بمن عمّهم البلاء وأحاط بهم الضراء؟

الجواب:

١- قد يكون العبد له عند الله تعالى منزلة عالية عظيمة لكن لا يسعفه عمله إليها فيقدِّر الله تعالى له من البلاء ما يصل به إليها.

وفى هذا يقول النبى ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رِقة ابتُلى على قدر دينه

(١) رواه أبو داود وأحمد وصححه الألبانى.

فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[١].

ويقول ﷺ: «عظم الأجر عند عظم المصيبة وإذا أحب الله قومًا ابتلاهم»[٢].

ويقول ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض»[٣].

نتحصل من ذلك أن الابتلاء مظهر من مظاهر رحمة الله بعباده.

٢- تأمل قول الله تعالى عن مؤمن آل ياسين حين قال لقومه: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣﴾ [يس:٢٣].

فلماذا اختار هذا الرجل الصالح اسم الرحمن من بين أسماء الله تعالى؟ وهل الرحمن يريد الضر بعباده المؤمنين؟

إن المعنى اللطيف فى هذه الآية أن الضر إذا أتى من الرحمن فإنه موجب رحمته ولطفه ويصير الأمر الذى ظاهره الضر فى حقيقته رحمة وخيرًا للمؤمن لأن الرحمن لا يصدر منه إلا الرحمة واللطف والبر ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ۝١٩﴾ [النساء:١٩][٤].

ويُصدق ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين يقول:

«ومما ينبغى أن يعلم أن الرحمة صفة تقتضى إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه، فهذه هى الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من شق عليك فى إيصال مصالحك ودفع المضار عنك.

(١) رواه البخارى وغيره.

(٢) رواه المحاملىّ فى أماليه وصححه الألبانى فى الصحيحة.

(٣) رواه الترمذى وحسنه الألبانى.

(٤) ولله الأسماء الحسنى: عبد العزيز ناصر الجليل.

فمن رحمة الأب بولده أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ويشق عليه فى ذلك بالضرب وغيره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وإن ظن أنه يرحمه، فهذه رحمة مقرونه بجهل كرحمة الأم.

ولهذا كان من إتمام رحمة أرحم الراحمين: تسليط أنواع البلاء على العبد فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه.....»[١].

٣-انظر حولك ترى:

▪ كم من إنسان ابتُلى بأشياء كان يخافها ويحذرها، فحزن وفزِع وجزع ثم تبين له أنه ما أصابه كان خيرًا له، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة:٢١٦].

▪ وكم من إنسان طلب الغنى والتمسه فلم يبلغه رحمة من الله به كما قال النبى ﷺ: «**إن الله ليحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب تخافون عليه**»[٢].

❋ ثانيًا: أن نتعرض لرحمته سبحانه.

قال النبى ﷺ لشداد: «**إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك موجبات رحمتك...**»[٣].

---

(١) إغاثة اللهفان ج٢.

(٢) مظاهر رحمة الله: عبد العظيم بدوى.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى تاريخ دمشق وانظر السلسلة الصحيحة.

و«**موجبات رحمتك**»: أى الأقوال والأفعال والصفات التى تحصل بسببها رحمة الله أو الأسباب التى شرعها الله ينال بها العبد رحمة الله.

موجبات رحمة الله:

١-طاعة الله ورسوله:

فكلما كان العبد أكثر طاعة لله ورسوله كلما كان أكثر استحقاقًا لرحمة الله قال الله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال الله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ [النور: ٥٦].

وقال الله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ [الجاثية: ٣٠].

٢-الإحسان (إحسان الطاعة وإتقانها):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال النبى ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة...**»(١).

٣-الاستغفار:

قال الله تعالى: ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾ [النمل:٤٦].

٤-القرآن الكريم (الانشغال به علمًا وعملًا):

القرآن أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده فمن قبلها فقد قبل خير المواهب وفاز بأعظم المطالب(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) تفسير السعدى.

قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

٥- رحمة الخلق:

من أكبر الأسباب التى تنال بها رحمة الله: رحمة العبد للخلق، فتراه رحيمًا رقيق القلب بالصغار والكبار، يرحم حتى النملة فى جحرها والطير فى وكره فهذا أقرب القلوب من الله[(١)].

قال ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(٢)].

وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم، قالوا يا رسول الله كلنا يرحم. قال: ليست برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة الناس عامة»[(٣)].

فالرحمة التى يأمرنا بها الإسلام ليست رحمة خاصة وإنما هى رحمة عامة تشمل المجموع قال ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»**[(٤)].

فتأمل قول النبى ﷺ: «ارحموا من فى الأرض.....» تجد الأمر يشمل جميع الخلائق البر والفاجر والوحش والطير.

---

(١) الأسماء الحسنى والصفات العلا: عبد الهادى حسن وهبى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو يعلى والطبرانى والحاكم وانظر الصحيحة.

(٤) رواه الترمذى وصححه الألبانى.

وارحـم بقلبـك خلـق الله وارعهـمُ فإنمـا يـرحم الـرحمن مـن رحمـا

وقال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»(١).

وقال ﷺ: «ارحموا تُرحموا واغفروا يغفر لكم»(٢).

وقال ﷺ: «خاب عبد وخسِر لم يجعل الله فى قلبه رحمة للبشر»(٣).

ونزل النبى ﷺ منزلًا يومًا فأخذ رجل بيْض حُمَّرة (طائر) فجاءت تَرِفُّ على رسول الله ﷺ فقال: «**أيكم فجع هذه ببيضتها؟**» فقال رجل: يا رسول الله أخذت بيضتها، فقال ﷺ: **اردُدْه رحمةً لها**»(٤).

وقال ﷺ: «والشاة إن رحمتها رحمك الله»(٥).

وقال ﷺ: «من رحم ولو ذبيحة رَحِمَهُ اللهُ يوم القيامة»(٦).

فإذا كان لك شوق إلى رحمة الرحمن الرحيم فكن رحيمًا بنفسك وبغيرك، ارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والصغير بشفقتك، والكبير برأفتك، والعصاة بدعوتك، يرحمك الله فى رخائك وشدتك.

- **ومن هؤلاء الخلق الذين يجب عليك أن ترحمهم: العصاة.**

ورحمتهم بأن تعظهم وتنصحهم مرارًا وتكرارًا وتصرفهم بقدر الإمكان عن طريق الغفلة، وأن تنظر إليهم بعين الرحمة لا بعين الاستحقار لأنهم يستحقون الشفقة لجهلهم بالله ولما سيُقدمون عليه من الخسارة والعذاب.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وانظر الصحيحة.

(٣) رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق وحسنه الألبانى فى الصحيحة.

(٤) رواه البخارى فى الأدب المفرد وصححه الألبانى.

(٥) رواه البخارى فى الأدب المفرد وصححه الألبانى.

(٦) رواه البخارى فى الأدب المفرد وصححه الألبانى.

واذكر دائمًا قصة شاب دخل على النبى ﷺ وقال: يا رسول الله ائذن لى بالزنا!! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه..

ترى ماذا كان جواب أرحم الخلق ﷺ؟

قال: «**ادنه، فدنا منه قريبًا ثم قال له: أتحبه لأمك؟ أتحبه لابنتك؟ أتحبه لأختك؟ أتحبه لعمتك؟ أتحبه لخالتك؟** كل ذلك ويجيب الشاب قائلًا لا والله، جعلنى الله فداك، والرسول يقول له: «**ولا الناس يحبونه..**».

فوضع النبى ﷺ يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعدُ ذلك الفتى يلتفت إلى شئ»[(١)].

رحمةُ النبى ﷺ فلم يُعنفه ولم يقْسُ عليه ولكن أقنعه بالعقل وأفحمه بالدليل، ثم رحمه حين دعا له، فصلى الله وسلم على نبى الرحمة.

ما أحوجنا أن ندعوَ العصاة إلى الله وأن ندعوَ لهم.

وكان عيسى عليه السلام يقول: «فإنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية»[(٢)].

٦-صلة الرحم.

روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «الرحم شَجنة[(٣)]**من الرحمن يقول الله: من وصلك وصلته**[(٤)] **ومن قطعك قطعته**[(٥)].

---

(١) رواه أحمد فى المسند وصححه الألبانى فى الصحيحة.

(٢) الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى، وموطأ الإمام مالك.

(٣) اشتق اسمها من اسمه.

(٤) أي برحمتى.

(٥) أي بطرده من رحمتى.

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه **قال:** قال ﷺ: قال الله تعالى: «**أنا الرحمن خلقت الرحم**[(١)] **وشققت لها اسمًا من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفَّق، ورجل رحيم القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**»[(٣)].

وأحق الرحم بالرحمة الوالدان الكريمان، اللذان من رحمهما رحمه الله، من أكرمهما أكرمه الله، ومن أحزنهما أحزنه الله، ومن أهانهما أهانه الله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٤].

٧-الصبر على البلاء.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

ومن رحمة الله بمن صبر على البلاء واسترجع عند المصيبة أن يُخلف له خيرًا منها، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أُجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرًا منها إلا آجره الله فى مصيبته وأخلفه خيرًا منها**» قالت: فلما تُوفى أبو سلمة، قلت كما أمرنى رسول الله، فأخلف الله لى خيرًا منه رسول الله»[(٤)].

---

(١) لاحظ الصلة بين الرحمن ورحمته وبين الرحم.

(٢) رواه أحمد والترمذى وأبو داود وصححه الألبانى.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

٨-التماس مرضاة الله[١]:

عن ثوبان رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد ليلتمس مرضاة الله ولا يزال بذلك فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلانًا عبدى يلتمس أن يُرضينى ألا وإن رحمتى عليه، فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع ثم تهبط له إلى الأرض»[٢].

٩-الجماعة:

والمقصود بالجماعة: جماعة المسلمين والرفقة الصالحة، فإن لزومهم خير، ومفارقتهم ضيْر، يذكرونك إن غفلت، ويعلمونك إن جهلت ويواسونك إن أُصبت.

والمقصود بالجماعة: الحذر من الفرقة والاختلاف والحرص على الوَحدة والائتلاف.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»[٣].

١٠- عيادة المريض:

يقول صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضًا خاض فى الرحمة حتى إذا قعد[٤] **استقر فيها»**[٥].

---

(١) النور الأسنى: أمين الأنصارى.

(٢) رواه أحمد وحسنه الأرناؤط.

(٣) أخرجه عبد الله فى الزوائد وانظر الصحيحة وصحيح الجامع.

(٤) أي جلس عند المريض، لرواية:"حتى يجلس، فإذا جلس اغتمس فيه"، وفي رواية أحمد: "من عاد مريضًا/ شى في خراف الجنة، فإذا جلس عنده استنقع في الرحمة...."

الخراف: الحدائق.

(٥) رواه البخارى فى الأدب المفرد وصححه الألبانى.

١١- الابتعاد عن المعاصى ما أمكن:

قال تعالى: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ [غافر:٩].

فالوقاية من السيئات والابتعاد عنها ما أمكن من أعظم علامات وموجبات رحمة الله، ومعنى الوقاية منها: عدم الوقوع فيها ابتداءً، فإذا وقع فيها فالمسارعة بالتوبة منها، فبهذين يتحقق الأمن من عاقبتها فى الدنيا والآخرة وتلك هى الرحمة.

ثم انظر ختام الله تعالى للآية: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ الفوز العظيم أن تكون بعيدًا عن المعاصى وأهلها وأسبابها.

١٢- حفظ اللسان:

وهو من جملة المعاصى إلا أنه أخطرها والموصِّل إليها.

حفظ اللسان من الكذب والافتراءات واختلاق الشائعات وترويجها وسوء الظن والنميمة والغيبة والقول فى الشريعة بغير علم والتدخل فيما لا يعنى ونحو ذلك.

قال ﷺ: «رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم أو سكت عن سوء فسلم»[١].

١٣- التحلل من المظالم:

وذلك بإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم الحسية أو المعنوية هنا قبل أن تعطيها لهم هناك بالحسنات والسيئات.

قال ﷺ: «رحم الله عبدًا كانت لأخيه مظلمة فى نفس[٢] **أو مال فأتاه فاستحل منه قبل أن يؤخذ من حسناته فإلم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فتوضع فى سيئاته»**[٣].

---

(١) رواه ابن المبارك وانظر الصحيحة وصحيح الجامع.

(٢) قتل وما دونه.

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحة وقال الألبانى: حسن صحيح.

١٤- السماحة فى البيع والشراء والمعاملات:

قال ﷺ: «رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع سمحًا إذا اشترى سمحًا إذا قضى سمحًا إذا اقتضى»(١).

سمحًا: أى سهلًا وجوادًا يتجاوز عن بعض حقه(٢).

إذا اقتضى: أى إذا طلب دينًا له على غريم يطالبه بالرفق واللطف لا بالخرق والعنف(٣).

١٥- تبليغ حديث رسول الله ﷺ:

قال ﷺ: «رحم الله عبدًا سمع منى حديثًا فبلغه كما سمعه فرب مبلَّغ أوعى له من سامع»(٤).

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، القطب الأعظم فى الدين وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوى بساطة وأُهمل عمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد..»(٥).

١٦- الجلوس فى المسجد ما أمكن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «إن للمساجد أوتادًا الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم وإن مرضوا يعودونهم وإن كانوا فى حاجة أعانوهم، وقال: «جليس

---

(١) رواه البخارى وابن ماجه.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: نور الدين الملا الهروى.

(٣) السابق.

(٤) رواه ابن حبان وصححه الألبانى.

(٥) إحياء علوم الدين: الغزالى.

المسجد على ثلاث خصال: أخٍ مستفاد أو كلمةٍ محكمة أو رحمةٍ منتظرة»[١].

١٧- مجالس العلم:

قال ﷺ: «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[٢].

وقال ﷺ: «هم القوم لا يشقى جليسهم»[٣].

١٨- قيام الليل:

قال ﷺ: «رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح فى وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت فى وجهه الماء»[٤].

١٩- الخوف من الله:

عن أبى سعيد عن النبى ﷺ: «أن رجلًا كان قبلكم رَغَسه الله مالًا فقال لبنيه لما حُضر: أى أب كنت لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ، قال: فإنى لم أعمل خيرًا قط فإذا مُتُّ فأحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرُّونى فى يوم عاصف ففعلوا، فجمعه الله ﷻ فقال: ما حملك؟ قال مخافتك، فتلقاه برحمته»[٥].

رَغَسهُ: اى أعطاه مالًا وبارك له فيه[٦]، والرغْس: السعة في النعمة والبركة والنماء.

---

(١) أخرجه أحمد وحسنه الألبانى فى الصحيحة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى.

(٥) رواه البخارى.

(٦) شرح النووى على مسلم.

٢٠-الحمد الكثير الدائم:

عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: قال رجل: «**الحمد لله كثيرًا» فأعظمها الملِك أن يكتبها فراجع فيها ربه ﷻ، فقال الله تعالى: اكتبوها لعبدى رحمتى كثيرًا**»(١).

❊ ثالثا: أن ندعوا الله تعالى باسميه «الرحمن» «الرحيم»:

فمن عرف رحمة الله تعالى وسعتها ازداد فيها طمعًا واشتد فيما عند الله طلبًا وعزم فى سؤال حاجته.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ لفاطمة: «**ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به؟ أن تقولى إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين**»(٢).

وجاء قول الله تعالى فى دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

---

(١) رواه الطبرانى وأبو الشيخ وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) أخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة وصححه الألبانى فى الصحيحة وصحح الجامع.

(٤)(٥)(٦) الملك، المليك، المالك جل جلاله

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤].

وورد «المليك» فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وورد «المالك» فى قوله ﷺ: «**لا مالك إلا الله**»[١].

➢ **معنى الاسم فى حق الله:**

(الملك المليك، المالك) جل جلاله: هو «النافذُ الأمر فى ملكه إذ ليس كل مالك يَنْفذ أمره أو تصرفه فيما يملكه فالملِك أعم من المالك والله تعالى مالك المالكين كلهم وإنما استفادوا التصرف فى أملاكهم من جهته تعالى»[٢].

(الملك المليك، المالك) جل جلاله: هو المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة»[٣].

(الملك المليك المالك) جل جلاله: هو الذى يستغنى فى ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود»[٤].

(الملك المليك المالك) جل جلاله: «هو الذى يُمَلِّك من يشاء ما يشاء من ملكه تمليكًا مؤقتًا ثم يسترده منه ملك الملوك فى الوقت الذى يشاء كيف يشاء.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه الألبانى.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى: أبو إسحاق الزجاج.

(٣) تفسير ابن كثير.

(٤) المقصد الأسنى:الغزالى.

(الملك المليك المالك) ﷻ: هو الذى لا ينازعه فى ملكه منازع ولا يعارضه فيه معارض، يتصرف فى ملكه تصرف قادر قاهر.

(الملك المليك المالك) ﷻ: «هو المتصرف فى خلقه بما يشاء من الأمر والنهى والعطاء والمنع والقبض والبسط والخفض والرفع والإعزاز والإذلال والإحياء والإماته والهداية والإضلال لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه»[1].

➢ **الفرق بين «الملك» و«المالك» و«المليك»**[2]:

لا شك أن الأسماء الثلاثة بينها اشتراك في المعنى، ولكن بينها فروق.

الملِك ﷻ، هو الذي ينفذ تصرفه في ملكه، وليس كل مالكٍ كذلك، فالملك أعم من المالك.

الملك ﷻ، هو الذي مَلَكَ التصرف في جميع المملوكات، فملكيته عامة، بينما المالك، ملكيته خاصة، فمن ملك سيارة أو بيتًا، يقال لله مالك، ولا يقال له ملك.

الملك هو المتصرف بالأمر والنهي، وذلك يختص بسياسة العقلاء، ولهذا يقال: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٢]، ولا يقال: ملِكِ الأشياء، وإنما يقال: مالك الأشياء.

الملك، هو الذي يملك التصرف في خلقه بقوله وأمره، والمالك هو المتصرف بفعله.

أما المليك، فهي صيغ مبالغة من الملك والمالك، فمعناه يشملهما.

قال الشوكاني في فتح القدير: «والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر؛ فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو

---

(١) أسماء الله الحسنى: أبو عبد الله محمد لبيب.

(٢) قد يكون التفريق لغويًا، وقد يكون شرعيًا.

مالك له بالبيع، والهبة، والعتق، ونحوها، والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك، وحياطته، ورعاية مصالح الرعية، فالمالك أقوى من الملك في بعض الأمور، والملك أقوى من المالك في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه، أن الملك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله».

➢ صفات (الملك المليك المالك) جل جلاله:

(خصائص الله في هذه الأسماء الثلاثة)

١- انفراده تعالى بالمِلك:

فالله تعالى هو الملك وحده وما سواه مملوك، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [المؤمنون:١١٦].

فالمالك على الحقيقة هو الله جل جلاله.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء: ١١١].

فالمُلك الحقيقى لمن بدأ الخلق وتفرّد بالربوبية والتدبير وهو الله الذى له الملك كله وله الحكم كله وإليه يرجع الأمر كله.

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك:١].

وقال تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [التغابن:١].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢﴾ [الناس: ١-٢].

فالله تعالى هو الملك والناس مملوكون ولذلك فهم لا يملكون على الحقيقة،

وفى الجمع الغفير والحشد الهائل الكبير، حشْدِ الحجيج الذى يشبه حشد الحشر، تسمع التلبية المباركة: «**لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**».

ولذلك إذا قيل: هل الإنسان يملك؟

كان الجواب: الإنسان لا يملك حقيقة لأن فقره وضعفه ملازم له، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

فالإنسان أوله نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم بعد ذلك يولد عاريًا عاجزًا يصرخ طالبًا لأسباب الحياة!!

فأين ملكه فى هذا الوقت؟

ثم هو عند الاحتضار لا تغنى عنه ممتلكاته كلها شيئًا ولا تمد فى أجله ولو لحظة فأين ملكه إذن؟

فملك الإنسان فى الحقيقة عارية مستردة لأنه يولد صفر اليدين ويخرج كذلك، قال الله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧].

فقِهت هذا المعنى العظيم أمُّ سُليم رضي الله عنها، لما مات ولدها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ولدك»[(١)].

- **وسئل أعرابىٌّ يملك قطيعًا من الغنم**: لمن هذا؟ فقال بلسان من يعرف أن المالك الحقيقى لكل شئٍ فى هذه الدنيا إنما هو الله: هو لله فى يدى!!

فهذا صدق إيمان ويقين بأن الملك على الحقيقة هو الله، وهكذا المؤمن

(١) رواه مسلم.

العارف بالله يعلم أن بيته وسيارته ومتجره ومصنعه وبستانه ومزرعته، كل ذلك ملك لله تعالى على الحقيقة لكنه ملكك إياها ملكًا مؤقتًا واستخلفك فيها لينظر كيف تعمل؟!

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن سول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون...**».

وانظر إلى من قيل عنهم أنهم ملوك - لسعة ملكهم وعظم سلطانهم - كهارون الرشيد الذى كان ينظر إلى السحابة فى عنان السماء ويقول: أمطرى حيث شئت فسوف يأتيني خراجك - يقول ذلك من سعة ملكه -

«**لما احتضر أمر بحفر قبره ثم حُمل إليه فاطلع فيه فبكى حتى رُحم ثم قال**: يا من من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه»[١].

دخل عليه ابن السماك، فقال له هارون: عظنى، فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت إن مُنعت شربة ماء عند العطش أكنت تفديها بنصف ملكك؟ قال: نعم، قال: أرأيت إن منعت خروجها عند الحاجة أكنت تفديه بالشطر الآخر؟ قال: نعم، قال ملكك لا يساوى شربة وبولة»[٢].

انظر إلى «آثار الفراعنة وآثار الرومان واليونان وغيرهم، آثار تدل على أقوام سادوا ثم بادوا، ملكوا فترة من الزمن رقعة من الأرض ثم أذن الله تعالى بزوالهم ليتضح لنا أن الملك الحق له وحده وأن البشر إنما يملكون ملكًا طارئًا مؤقتًا فإما أن يُزال عنهم أو يزولون عنه»[٣].

---

(١) التبصرة: ابن الجوزى.

(٢) شأن الدعاء: الخطابى.

(٣) مع الله: سلمان العودة.

ومن جهل هذه الحقيقة أو تعامى عنها علمها يقينًا يوم القيامة حين يقررها الله أمام الخلائق قائلًا: «لمن الملك اليوم» ثم يجيب نفسه «لله الواحد القهار».

ليس فقط لأنهم سمعوا الملك ينادي بل لأنه يُنزع منهم يوم القيامة كلُّ ما يملكونه حتى جوارحهم يفقدون التحكم فيها والسيطرة عليها فتشهد عليهم وتحاجهم أمام الله قال الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٣].

مع أنه تعالى مالك يوم الدنيا ومالك يوم الدين، ولكن هناك من يدعى فى الدنيا أنه ملك يأمر وينهى ويمتلك الدور والقصور والذهب والفضة، أما يوم الدين فلا يَدّعى أحد أنه يملك شيئًا لأن الناس يحشرون حفاةً عراةً غرلًا بهمًا.

قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ [الأنعام:٩٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦﴾ [الفرقان:٢٦].

مع أن المُلك دائمًا وأبدًا للرحمن لكن القلوب القاسية قلوب الغافلين لا تستيقظ إلا بعد فوات الأوان!!

يقول ﷺ: «يَطوى الله ﷻ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك: أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[1].

وجاء حَبْرٌ من اليهود إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن ويقول: أنا الملك أنا الله،

(١) رواه مسلم.

«**فضحك رسول الله تصديقًا لقول الحبر ثم قرأ:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر:٦٧][١].

٢- ملكه تعالى لا ينقص بالعطاء:

بخلاف ملوك الدنيا فإنهم إذا أعطوا انتقص ملكهم بالعطاء أما الملك الحق سبحانه فخزائنه لا تغيض ولا تنفد مهما أَعطى منها وأنفق.

قال الله تعالى: «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر..»[٢].

وقال ﷺ: «يدُ الله ملأى لا يغيضها نفقة أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض»[٣].

انظر كم من أناس أكلوا وشربوا وتملكوا فى الدنيا وكانوا وكانوا، كل ذلك من ملكه ورزقه سبحانه[٤].

٣- انفراده تعالى بالعطاء والمنع والإيتاء والنزع[٥]:

ولذلك كان هو الملك الحق.

قال ابن القيم عليه رحمة الله: «إن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) اسم الله الملك: محمد الدبيسى.

(٥) أي الحقيقي في كل.

والإكرام والإهانة والإثابة والعقوبة والغضب والرضا والتولية والعزل وإعزار من يليق به العز وإذلال من يليق به الذل»[(١)].

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

٤- لا يُسأل عما يفعل:

قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣].

لأن العادة أن يسأل الكبير الصغير عن فعله ولا أكبر من الله، وأن يسأل الجليل الذليل عن فعله ولا أجل من الله، وأن يسأل الأعلى مقامًا الأدنى عن فعله، ولا أحدًا أعلى من الله[(٢)].

قال الإمام النسفى: «لأنه المالك على الحقيقة، ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقى لاستقبح ذلك وعُد سفهًا، فمن هو مالك الملوك ورب الأرباب وفعله صواب كله أولى بألا يُعترض عليه»[(٣)].

٥- أنه فعال فى ملكه لما يريد ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد:

ولا تحدث حركة فى هذا الكون إلا بإذنه.

روى البخاري فى صحيحه من حديث أبي ذر قال: دخلت المسجد ورسول الله ﷺ

(١) طريق الهجرين.

(٢) هنيئًا لمن عرف ربه: خالد أبو شادى.

(٣) تفسير النسفى.

جالس، فلما غربت الشمس، قال: يا أبا ذر هل تدرى أين ذهبت هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب تستأذن فى السجود فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾

فسبحانه القائل: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة:٢٤٧].

وسبحانه القائل: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

فعندما كسّر إبراهيمُ الأصنامَ التى تُعْبَد من دون الله أراد قومه أن يحرقوه فلما ألقَوْه فى النار، ما بعث الله ريحًا لتطفئها، ولا ماء لتُخمدها، ولا ملكًا ليُخرج ابراهيم، إنما تكلم بكلمة إلى النار فخضعت لأمر الملك الجبار.

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩][(١)].

فسبحانه «كل يوم هو فى شأن ومن شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع أقوامًا ويخفض آخرين»[(٢)].

فسبحانه القائل: «لا تسبوا الدهر فإنى أنا الدهر، الأيام والليالى لى أجددها وأبليها وآتى بملوك بعد ملوك»[(٣)].

➢ كيف نعبد الله بأسمائه «الملك» و«المليك» و«المالك»؟

❋ أولًا: أن تعتقد أنه لا يملك أمر نفعك أو ضرك إلا الملك جل جلاله:

فتسير في حياتك هذه بوجه واحد، لا تقول إلا الحق ولا تعمل إلا الحق، ولا

---

(١) المعانى الإيمانية فى شرح أسماء الله الحسنى الربانية: وحيد بالى.

(٢) رواه البخارى مرفوعًا معلقًا.

(٣) رواه أحمد فى المسند وصححه الأرناؤط وانظر السلسة الصحيحة وصحيح الترغيب والترهيب.

تجبن في مواجهة من لا يملك من أمرك فضلًا عن أمر نفسه شيئًا.

وهذه عقيدة كان ﷺ يُعَلِّمها الصغار ويُنَشئهم عليها، علَّمها ابن عباس رضي الله عنه، وهو غلام قد ناهز الاحتلام، حين قال: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس:٤٩].

فكما أنه لا يملك إنهاء أجلك إلا الملك، فكذلك لا يملك نفعك أو ضرك إلا الملك.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١].

ثانيًا: ألا تسال غيره ولا تطلب ممن سواه:

لأنه لا يملك على الحقيقة غيره ولا يدبر الأمر سواه.

كل ما أردت وتمنيت قليلًا كان أو كثيرًا من شفاء أو صحة أو مال أو ولد أو زوجة أو نجاح في حياة عملية أو زوجية أو صلاح في دين أو غيرذلك، كل ذلك لا يملك خزائنه إلا الملك جل جلاله.

فكيف تطلب ممن لا يملك شيئًا وتترك باب من يملك كل شئ؟!

فاقرع باب الملك جل جلاله، فإن الملك كل ليلة ينزل إلى السماء الدنيا،

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

وينادي: «**أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِى يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِى يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ مَنْ ذَا الَّذِى يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِىءَ الْفَجْرُ**»(١).

وفى بعض الإسرائيليات – الموافِقة – أن موسى عليه السلام قال: «يا رب إنه لتَعرضُ لى الحاجة من الدنيا فأستحي أن أسألك، فقال: سلنى حتى مِلح عجينك وعلف حمارك»(٢).

دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر فقال له: يا سالم سلنى حاجةً، فقال له: إنى لأستحى من الله أن أسأل فى بيت الله غير الله، فلما خرج، خرج فى أثره، قال له: الآن قد خرجت سلنى حاجة، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟! قال: بل حوائج الدنيا!!

فقال له سالم: ما سألتها من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!(٣).

❋ ثالثًا: أن نفرده وحده بالعبادة، كما أفردناه وحده بالملك:

فلما كان الحق هو الخالق لكل شئ والمالك لكل شئ والمتصرف فى كل شئ فإنه وحده المستحق للعبادة دون سواه، والآلهة التى تعبد من دونه مخلوقة مملوكة مربوبة لا تملك من دون الله شيئًا وألوهيتها باطلة وعبادتها ظلم وضلال(٤).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت:١٧].

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) جامع العلوم والحكم.

(٣) صفة الصفوة.

(٤) أسماء الله الحسنى: عمر الأشقر.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان:٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء:٥٦].

فالذى يملك كشف الضر وحده والذى يَقدر على تحويل كل شئ وحده والذي له التحكم فى كل شئ وحده والهيمنة على كل شئ وحده الملك جل جلاله الذى لا يستحق العبادة سواه.

❁ رابعًا: أن نفرده سبحانه بالطاعة المطلقة:

فإذا كان المُلك الحقيقى الدائم الكامل لله تعالى وحده لا شريك له، فالطاعة المطلقة إنما تكون له وحده لا شريك له، لأن من سواه من ملوك الأرض إنما هم عبيدٌ له تحت إمرته.

فلابد من تقديم طاعة الملك على طاعة من سواه، وحكمه على حكم من سواه، فلا طاعة لأحد إلا فى حدود طاعته أما فى معصيته فلا سمع ولا طاعة.

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

❁ خامسًا: أن تعتقد أنه ملك الملوك وملك الأملاك فلا يتسمى بذلك غيره:

روى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل كان يسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله».

وفى رواية أحمد: «اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك لا ملك إلا الله».

ويلتحق بذلك ما فى معناه كأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وقاضي القضاة وأمير الأمراء ونحو ذلك لأن الملك جَلَّ جَلَالُهُ هو الأحق بذلك ولا شريك له فى ذلك(١).

❋ سادسًا: أن نتواضع للملك سبحانه:

فإن من عرف أن الله هو الملك الحق فلابد أن يتواضع، ولا يرفع نفسه فوق منزلة العبيد حتى لو كان من الملوك فإنه لا يعدو كونه عبدًا فقيرًا يقع تحت قهر الله وسلطانه(٢).

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جلس جبريل إلى النبى ﷺ فنظر إلى السماء فإذا مَلَكٌ ينزل، فقال جبريل: «إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل االساعة فلما نزل، قال: يا محمد أرسلنى إليك ربك، قال: أفملكًا نبيًا يجعلك أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبدًا رسولًا»(٣).

❋ سابعًا: أن نعلم ان لكل ملك حمى:

فمن أراد لنفسه النجاة فليتق عقوبة الملك باجتناب محارمه.

فعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه»(٤).

فإذا كان الملوك يجمعون الأرض التى لهم ويحيطونها بحمى وسياج فلا يدنو

(١) انظر فتح البارى ج١.

(٢) المعانى الإيمانية شرح الأسماء الحسنى الربانية.

(٣) رواه أحمد وسنده صحيح.

(٤) متفق عليه.

منها أحد، فمن اقترب منها أو تجاوزها فقد عرّض نفسه للعقوبة البالغة فكيف يُتجاوز حدود الملك ويستهان بحقوقه؟

❁ ثامنًا: أن نتقي الله فيما نملك:

إذا أردت النجاة بين يدى الله: انظر لكل ما ملكته بنظرتين:

الأولى: أنه قد يسلب منك في أي لحظة، وغالب السلب إنما يكون على سبيل العقوبة فوجب أن تكون على حذر.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام:٤٦].

الثانية: أن تصرفك فيما تملك ابتلاء وامتحان وفتنة، كما قال تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧].

وكلما زاد ملكك زادت فتنتك فاتق الله فيما تملك.

قال ابن مسعود: «ما أحد أصبح فى الدنيا إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مردودة»[1].

ومـا المـال والأهلـون إلا ودائـع ... ولابـد يومًـا أن تـرد الودائـع

❁ تاسعًا: أن نكون على يقين من أن كل ملك فى هذه الدنيا زائل:

أراد أحد الصالحين أن ينصح ملكًا، فكتب على كرسيّ الحكم: «لو دام لغيرك لما وصل إليك».

فكل مَلِك فى هذه الدنيا ينتهى ملكه بالموت أو بفقد السيطرة عليه.

---

(١) الزهد: الامام أحمد.

لكن الله هو الملك الذى لا يُقهر ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

وقد قال رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ**»(١).

لا شــــئ ممـــا تــــرى	**يبقـــــى بشاشــــــته**
يبقـــــى الإلـــــــه	**ويفنـــى المـــال والولـــد**

واعلم أنه:

قد يصبح الإنسان مَلِكًا دون أن تكون له رعية يحكمها، إذا قهر الإنسان شهوته وتغلّب على نفسه ووساوس شيطانه وسيطر على هواه وحكم لسانه وعينيه وأذنيه، فالملك على الحقيقة هو من ملك نفسه وملك نجاتها.

وكذلك من ملك ما يستغنى به عن الخلق وتعفف وقنع بما رزقه الله كان ملكًا قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠].

ومعلوم أنهم لم يكونوا جميعًا ملوكًا ولكن منهم ملوك!!

قال ابن عباس: كان الرجل من بنى إسرائيل إذا كان له زوجة ودار وخادم سُمِّى ملكًا...(٢).

وفى الحديث: عن النبى ﷺ قال: «**من أصبح منكم معافى فى بدنه آمنًا فى سربه عنده قوت يومه فقد حِيزت الدنيا بحذافيرها**»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أسماء الله الحسنى، والتأدب معها والتخلق بها: أبو عبد الله محمد لبيب.

(٣) رواه الترمذى وصححه الألبانى.

✵ عاشرًا: أن ندعوا الله تعالى بأسمائه «الملك» و«المليك» و«المالك»:

كما كان النبي ﷺ يدعو إذا قام إلى الصلاة ويقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّى وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِى وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِى فَاغْفِرْ لِى ذُنُوبِى جَمِيعًا إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ وَاهْدِنِى لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِى لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّى سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّى سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ»[١].

(١) رواه مسلم.

(٧)(٨) الســـبُّوحُ، الْـقُــدُّوسُ ﷻ

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدوُّسٌ، ربُّ الملائكة والروح»(١).

➢ **معنى الاسمين في حق الله تعالى:**

(الســـبُّوحُ) ﷻ: هو المُنَزَّهُ سبحانه وتعالى، المُبرأُ من كل نقص وعيب في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وألوهيته وربوبيته.

– **في ذاته**: عن الفناء أو الزوال، أو المثال، أو نحوها مما لا يليق به سبحانه؛ فذاته كاملةٌ من جميع الوجوه.

– **وفي أسمائه**: عن كل سوءٍ أو شرٍّ، فأسماؤه كلها حسنى من كل الوجوه.

– **وفي صفاته**: عن كل ذمٍّ ونقص، فصفاته كلُّها صفات كمال وجلال وجمال.

– **وفي أفعاله**: عن كل ما يشينها، فأفعاله كلها حكمة وعدل ورحمة.

– **وفي ألوهيته وربوبيته**: عن كل شريك أو ندٍّ أو ضدٍّ أو معينٍ أو ناصرٍ أو صاحبةٍ أو ولدٍ سبحانه.

قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء:٤٣].

وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠:١٨٢].

وقال عزَّ من قائل: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ

---

(١) رواه مسلم.

يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء:١١١].

(السَّبُّوح) جل جلاله: هو الذي يسبحه خلقه، بكل لسان وفي كل مكان، من إنسٍ وجانٍ وجمادٍ وحيوان، كما قال عزَّ من قائل: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٤].

(الْقُدُّوسُ) جل جلاله: «هو الذي له كل قدْسٍ وطهارة وتعظيم»[١].

ومنه سُميت الجنة حظيرة القُدُس لطهارتها ونزاهتها من كل آفات الدنيا، كما جاء في الحديث الشريف:

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأُسقينَّه منه من حظيرة القُدُس، ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه لأكسونَّه إياه من حظيرة القُدُس»[٢].

(الْقُدُّوسُ) جل جلاله: المتصف بأفضل الصفات.

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾:-«أي ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس.....»[٣].

(الْقُدُّوسُ) جل جلاله: «هو المُطهَّر من كل ما لا يليق بالخالق»[٤].

(الْقُدُّوسُ) جل جلاله: هو الطاهر في نفسه، المطهِّر لمن شاء من خلقه ممن استجابوا لأمره وشرعه كملائكته وأنبيائه، والصالحين من عباده، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

---

(١) الحق الواضح المبين للسعدي.

(٢) رواه البزار عن أنس مرفوعًا وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٣) تفسير الطبري.

(٤) شرح النووي على مسلم.

وقوله عزّ من قائل: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة:٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ [النساء:٢٧].

ومنه قول النبي ﷺ: «إن الله لا يقدِّسُ أمةً لا يأخذ الضعيف حقه من القوي».

○ **وسبب ورود الحديث ما رواه جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** «لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: «**أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟**» قال فتية منهم: بلى، يا رسول الله، بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قُلَّة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: (سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتْ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا).

قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟**»[١].

«**أي:** أخبروني، كيف يطهر الله قومًا لا ينصرون العاجز الضعيف على الظالم القوي، مع تمكنهم من ذلك؟

أي لا يطهرهم الله أبدًا»[٢].

❋ **(الْـقُدُّوسُ)** جَلَّ جَلَالُهُ: المبارك[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه وأبويعلى وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) فيض القدير للمناوي.

(٣) صح عن قتادة، انظر التفسير الصحيح د حكمت ياسين.

ومنه الأرض المقدسة أي المباركة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١].

فالقدوس: المبارك، الذي كثُرت خيراته وعمَّت على طول الأوقات في الأرض وفي السماوات بركاته.

❑ **(السَّبُّوح)و (الْقُدُّوسُ)**: هما خلاصة التوحيد.

ذلك أن التوحيد يقوم على ركنين:

● **الأول**: تنزيه الله عن كل النقائص التي تنافي كماله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وذاك اسم الله (السَّبُّوح).

● **الثاني**: إثبات الكمال لله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وذاك اسم الله (الْقُدُّوسُ).

فالأول كالتخلية، والثاني كالتحلية.

➢ **كيف نعبد الله تعالى باسميه (السَّبُوح) الْقُدُّوسُ)؟**

❋ **أولًا: أن نحبه الحب كله - الحب الأكبر الخالص:**

«لأنه سبحانه المتصف بصفات الكمال والجلال، والمنزَّه عن النقائص والعيوب، ومن كان هذا وصفه، فإن النفوس مجبولةٌ على حبه وتعظيمه، وهذه المحبة تورث حلاوةً في القلب، ونورًا في الصدر، وهذا هو النعيم الدنيوي الحقيقي الذي يصغر بجانبه كل نعيم»(١).

---

(١) ولله الأسماء الحسنى عبدالعزيز ناصر الجليل.

✵ ثانيًا: أن نكثر من تسبيحه سبحانه بالليل والنهار، حتى ننضم إلى سائر العوالم التي تسبحه آناء الليل وأطراف النهار:

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

○ كما قال ﷺ: «ما تستقل الشمس -أي ما تطلع الشمس- فيبقى شيءٌ من خلق الله إلا سبّح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم»(١).

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء:٧٩].

فالطير والجبال يسبحن للكبير المتعال!!

أفلا نكثر نحن تسبيحه وتحميده؟!!

قال عزّ من قائل: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد:١٣].

أفلا نخاف نحن، فنكثر حمده وتسبيحه؟!!

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر:٧].

وقال سبحانه -عنهم-: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠].

فكيف يفتر عن التسبيح أصحاب المعاصي؟!

﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة:٣٠].

---

(١) رواه أبونعيم في الحلية وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

➢ **وتأمل:**

■ تسبيح ملك عظيم الخلقة، بلغ حجمه من الأرض إلى العرش:

○ **يقول ﷺ: «إنَّ اللهَ ﷻ أذِنَ لي أن أُحدِّثَ عن ديكٍ قد مَرَقَتْ رجلاه الأرضَ، وعُنُقُه مَثْنِيَّةٌ تحت العرشِ، وهو يقول: سبحانك ما أعظَمك ربَّنا! فيردُّ عليه: لا يعلم ذلك من حلفَ بي كاذبًا»**(١).

○ قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فأمَرَ بقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ»(٢).

○ **يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:** «لقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»(٣).

■ **الأمر بالتسبيح بل بالإكثار منه:**

● **قال سبحانه:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب:٤١،٤٢].

● **وقال سبحانه:** ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران:٤١].

● **وقال سبحانه:** ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه:١٣٠].

● **وقال سبحانه:** ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾ [الحجر:٩٧،٩٨].

---

(١) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) رواه البخاري.

● **وقال سبحانه:** ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى:١].

● وجعله الله تعالى صفة المؤمن، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝١٥﴾ [السجدة:١٥].

● **وقال سبحانه:** ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف:١٠٨].

● **وجعل الله تعالى التسبيح من أعظم أسباب تفريج الكروب:**

إذ قال تعالى عن نبيه يونس: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات:١٤٤/ ١٤٢].

● **وقال ﷺ: «دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ: لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك إنِّي كنتُ من الظالمينَ، فإنَّه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قط، إلَّا استجاب اللهُ له»[(١)].**

● **ووصى نوحٌ ابنه بالتسبيح قائلًا: «وآمرُك أن تقولَ:**

سبحان اللهِ وبحمدِه وإنها صلاةُ الخلقِ وتسبيحُ الخلقِ وبها يُرزق الخلقُ»[(٢)].

■ **الأجور الكثيرة في التسبيح اليسير:**

○ **يقول ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يوم أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِن جُلَسَائِهِ: كيفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قالَ: يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ، فيُكْتَبُ له أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عنْه أَلْفُ خَطِيئَةٍ»[(٣)].**

---

(١) صحيح سنن الترمذي.

(٢) رواه أحمد والحاكم والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

○ وقال ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي، سبحان الله وبحمده مائة مرة، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[١].

○ وقال ﷺ: «من قال حين يصبح، وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه»[٢].

○ و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[٣].**

○ وعَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: **«مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟»** قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[٤].**

○ وقال النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الْكَلامِ أَرْبَعٌ لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»[٥].

○ وقال ﷺ: «... وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض ...»[٦].

○ وقال ﷺ: «لَأَنْ أقولَ: سُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ أحَبُّ إليَّ ممَّا طلَعَتْ عليه الشَّمسُ»[٧].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) صحيح سنن النسائي.

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه مسلم.

○ **وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:** «كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُكثرُ أن يقولَ في رُكوعِه وسجودِه: سبحانَك ربَّنا وبحمدِك، اللَّهمَّ اغفرْ لي»(١).

➢ **التسبيح المُلْهَم:**

ولعظم التسبيح، جعل الله أهل الجنة يُلْهمون التسبيح كما يُلهمون النفس:

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس:١٠].

○ **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»(٢).**

❋ **ثالثا: أن يُنزه العبد نفسه ويطهرها مما يعيبها أو يشينها من أمراض الشبهات والشهوات:**

● **ففي قول الملائكة لله سبحانه:** ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠].

قال الضحاك وغيره: «نطهر أنفسنا ابتغاء مرضاتك»(٣).

وهذا الذي أعلنته الملائكة، هو مهمة الإنسان في هذه الحياة، أن يطهر نفسه مما يعيبها، وهذا هو ثمن دخول الجنة، والتي لا يدخلها إلا المطهَّرون الطيبون، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر:٧٣].

أي طبتم من دنس المعاصي وطُهِّرتم من خبث الخطايا، فادخلوا الجنة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) تفسير الطبري.

خالدين فيها، وإلم تتطهر في هذه الدار، طُهرتَ في النار.

ولهذا لما جاء شابٌ إلى النبي ﷺ يستأذنه في الزنا، فلما فهَّمه النبي ﷺ ووعّاه، قال: «**اللهم طهِّر قلبه واغفر ذنبه وحصِّن فرجه**»(١).

○ فمَن عبد الله تعالى بهذين الاسمين، طهّر قلبه من الشبهات، ونفسه من متابعة الشهوات، وماله عن الحرام والشبهات، ووقته عن دنس السيئات، وحرص أن يراه الله حيث أمره، ويفقده حيث نهاه.

❒ «صلّى سلمان الفارسيّ وأبو الدّرداء رضي الله عنهما في بيت نصرانيّة، فقال لها أبو الدّرداء: هل في بيتك مكان طاهر فنصلّي فيه؟

فقالت: «طهّرا قلوبكما ثمّ صلّيا أين أحببتما.

فقال له سلمان: خذها من غير فقيه»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفًا على الطهارة، فلا يدخل المصلى عليه حتى يتطهر. وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفًا على الطيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر، فهما طهارتان:

❊ طهارة البدن.

❊ وطهارة القلب.

• **ولهذا شرع للمتوضئ أن يقول عقيب وضوئه: «أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ**»، فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء. فلما اجتمع له الطهران

---

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح.

(٢) إغاثة اللهفان.

صلح للدخول على الله تعالى، والوقوف بين يديه ومناجاته.»[1].

❑ وقال رحمه الله: «إنّ القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه، إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما:

مرض الشهوات ومرض الشبهات، و هذان أصل داء الخلْق إلّا من عافاه الله»[2].

ومرض الشبهات صاحبه إما أنه تَلبَسُ به شعبةٌ من الكفر أو شعبة من النفاق أو البدعة، عياذًا بالله.

● **قال سبحانه:** ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ﴾ [المدثر:٣١].

● **وقال سبحانه:** ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْۗ﴾ [الحج:٥٣].

● ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور:٤٨-٥٠].

وأما مرض الشهوات، فينشأ من اتباع النفس لما تهوى، دون النظر هل هو منقذٌ أم مهلك، نافعٌ أم ضار!!

إن الذي يرجو الله والدار الآخرة لا يألو جَهدًا في استقامة قلبه وإصلاح نفسه، وذلك بدوام مراقبة الله ومجاهدة النفس، والعمل الجاد على إخراج المواد الضارة من القلب وإحلال المواد النافعة محلها[3].

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم.

(٢) مفتاح دار السعادة.

(٣) طالع كتاب عبادات القلوب للمؤلف، وكتاب القلوب وآفاتها للشيخ صلاح عبدالموجود.

❃ رابعًا: أن ندعو الله تعالى باسميه: (السَّبُّوح)، (الْقُدُّوسُ):

فقد كان ﷺ يدعو ويقول: «اللهم طهرني بالثلج والبَرد والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب كما يُطهر الثوب الأبيض من الدنس»[(١)].

فاللهم إنا نسألك باسميك (السَّبُّوح) و(الْقُدُّوسُ) أن تطهر قلوبنا من كل مرض وعيب، وأن تطهر نفوسنا من كل ظلم وريب، وأن تطهر ألستنا من الغيبة وأبصارنا من الحرام، وبطوننا من الشبهة، إنك على كل شيء قدير.

---

(١) رواه مسلم.

(٩) السَّـــــــلامُ جل جلاله

• **قال الله تعالى:** ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر:٢٣].

• **وقال ﷺ: «إن الله هو السلام.....»**(١).

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من صلاته قال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»(٢).

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(**السَّــــــلامُ**) جل جلاله: هو الذي سَلِم من جميع العيوب والنقائص في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، جلّ شأنه وتعالت عظمته.

فكل صفة من صفاته سبحانه سلامٌ مما يضادها.

ولهذا سميت الجنة دار السلام؛ لأن من دخلها، سلم من الآفات والشرور والمنغصات والأكدار.

• **قال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥].

○ **قال ابن القيم** رحمه الله: «فحياته سلامٌ من الموت، ومن السنة والنوم، وقيوميته وقدرته سلامٌ من التعب والعجز، وعلمه سلامٌ من عزوب شيءٍ عنه، أو عروض نسيان له، وكلامه سلامٌ من الظلم، وغناه سلامٌ من الحاجة إلى غيره، وألوهيته

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

سلامٌ من مُشارِك له فيها، وعذابه وانتقامه سلامٌ من أن يكون ظلمًا أو جورًا، واستواؤه على العرش سلامٌ من أن يكون محتاجًا إلى ما يحمله، أو يستوي عليه، بل العرش وحملته محتاجون إليه....»[١].

• **وقال**: «ووصفه بالسلام أبلغ من وصفه بالسالم، فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر، ومن التسمية به، ومن فعله ومن نسبته إليه»[٢].

• **وقال البيهقي**: «هو الذي سلم من كل عيب وبرِئَ من كل آفة، وهذه صفة يستحقها بذاته»[٣].

(السَّـــــــلامُ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو«الذي سَلِم المؤمنون من عقوبته، وسلم سائر الخلق من ظلمه وجوره في الدنيا والآخرة»[٤].

وهذا المعنى مما فرَّق بين معنى اسم الله السبوح ومعنى اسم الله السلام، فاسم الله السلام فيه تعدِّي إلى الخلق.

(السَّـــــــلامُ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي يُسَلِّم من شاء من خلقه على مقتضى حكمته وعدله، أو رحمته وفضله.

➢ كيف نعبد الله تعالى باسمه (السَّـــــــلامُ)؟

❋ أولًا: أن نطلب السلامة من الله وحده:

فكل سلامة وعافية وخيرٍ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده، فمهما ابتغينا السلامة من غيره، ابتلانا الله، وهذا معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من صلاته: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام**»[٥].

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم.

(٢) شفاء العليل لابن القيم.

(٣) الاعتقاد للبيهقي.

(٤) الاعتقاد للبيهقي.

(٥) رواه مسلم.

فسبحانه هو الذي يُسَلِّم من شاء من خلقه على مقتضى حكمته وعدله في الدنيا والآخرة.

• ففي الدنيا، كما قال النبي ﷺ لعمرو بن العاص: «**إني أريد أن أبعثك على جيشٍ، فيسلِّمك الله ويغنمَك**.......»(١).

• **وكان النبي ﷺ إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربُّنا وربك الله**»(٢).

وقد كتب الله تعالى السلامة لأوليائه وأنبيائه ورسله.

• **قال تعالى**: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [لصافات: ١٨٢،١٨٣].

• **وقال سبحانه**: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

• **وقال تعالى**: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات:٧٩].

• **وقال تعالى**: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات:١٠٩].

• **وقال عن نبيه يحيى**: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم:١٥].

• **وقال عن عيسى**: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم:٣٣].

فكل سلامة وعافية منه سبحانه وتعالى، هو مالكها ومعطيها.

---

(١) أخرجه أحمد وسنده صحيح.

(٢) رواه ابن حبان وصححه الألباني.

• وفي الآخرة، يقول ﷺ كما في حديث الصراط والجواز عليه: «**وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم**»[١].

وكان ﷺ يحث أصحابه على سؤال السلامة والعافية من السلام المعافِي جل جلاله

فعن العباس رضي الله عنه «قلت: يا رسول الله! علمني شيئًا أسأل الله به. فقال: «**يا عباس! سل الله العافية**»، ثم مكث ثلاثًا، ثم جئت فقلت: علمني شيئًا أسأل الله به يا رسول الله!. فقال: «**يا عباس! يا عم رسول الله! سل الله العافية في الدنيا والآخرة**»[٢].

وكان يقول: «**سلوا الله العافية واليقين، فما أعطي أحد بعد اليقين شيئًا خيرًا من العافية، فسلوهما الله تعالى**»[٣].

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ عاد رجلًا قد جهد حتى صار مثل الفرخ فقال له: «**أما كنت تدعو أما كنت تسأل ربك العافية؟**» قال: كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال: النبي ﷺ سبحان الله إنك لا تطيقه أو لا تستطيعه أفلا كنت تقول اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[٤].

وعَن أَنَس؛ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ فَقَالَ: «**أَمَا كَانَ هَؤُلاءِ يَسْأَلُونَ اللهَ الْعَافِيَةَ**»[٥].

• **وعن أهل الجنة يقول عزّ من قائل:** ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب٤٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الأدب المفرد

(٣) صحيح سنن الترمذي

(٤) صحيح سنن الترمذي

(٥) أخرجه البزار في مسنده وصححه الألباني في الصحيحة.

• **ويقول:** ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس:٥٧،٥٨].

«فسلامٌ منه سبحانه كافٍ من كل سلام ومغنٍ عن كل تحية، ومقرِّبٍ من كل أمنية»(١).

«فما ظنك بتحية ملك الملاك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته الذين أحلَّ عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا»(٢).

ثانيًا: أن نأخذ بأسباب السلامة، التي شرعها الله:

- **أعظم أسباب السلامة:** الاتصال بالسلام، معطي السلامة، تبارك وتعالى.

فمن اتصل بالله سبحانه وتعالى، طهرت نفسُه من العيوب، فمنحه السلام، السلامة في نفسه وفي أخلاقه، وفي زواجه، وفي علاقاته.

من امتثل أوامر الله واجتنب مناهيه، رزقه الله الأمن والسلام، كما قال تعالى عن كتابه: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٦].

- **وقال سبحانه:** ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه:٤٧].

فإن استسلمَتْ بحق أمةُ الإسلام، وطبقتْ شرع الله السلام، سادها الأمن والسلام.

- **ومن أسباب نيل السلامة:** إفشاء السلام.

كما قال صلى الله عليه وسلم: «**أفشوا السلام تسلموا**»(٣).

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم.

(٢) تفسير السعدي.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني.

ــ **ومن الأسباب الخاصة لنيل السلامة**: أن يُسلِّم السَّــلامُ ﷻ عليك، وإنما يُنال ذلك بكثرة السلام على رسول الله (عليه الصلاة والسلام).

○ **عن أبي طلحة** رضي الله عنه: أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك، فقال: إنه أتاني الملك فقال: يا محمد، إن ربك يقول: أما يُرضيك أنه لا يصلي عليك أحدٌ إلا صليتُ عليه عشرًا، ولا يُسَلِّمُ عليك أحدٌ إلا سلمتُ عليه عشرًا؟»[(١)].

وكفى بالمرء نبلًا أن يسلم عليه ربُّ العالمين سبحانه وتعالى.

❋ ثالثا: أن نسعى في إشاعة السلام بين المسلمين:

وذلك بــ:

١- إفشاء السلام بين الأنام:

كما قال ﷺ: «السلام اسمٌ من أسماء الله، فأفشوه بينكم»[(٢)].

فالمؤمن يسعى إلى إفشاء السلام بينه وبين الناس؛ لأن السلام أعظم ما يبتغيه المؤمن ويحرص عليه، فهو أصلٌ عظيمٌ من أصول النعم، ومن شعائر الإسلام العظيمة التي تهاون بها كثيرٌ من المسلمين.

❋ فــ تأمـــــل:

⇐ يقول رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»[(٣)].

---

(١) صحيح سنن النسائي.

(٢) صحيح الجامع.

(٣) رواه مسلم.

⇐ **قال رسول اللهِ ﷺ: «أيُّها الناسُ أفشوا السلامَ وأطعِموا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ»**(١).

● **ومعنى (أفشوا):** أظهروا وأعلنوا وأكثروا.

ولهذا ينبغي للمسلم أن يرفع صوته حتى يُسمع، وألا يُسلم بيده فقط أو بوجهه فقط، فهذا ليس بسلام.

⇐ **عن ثابتٍ بن عبيد قال:** أتيت مجلسًا منه عبد الله بن عمر، فقال: «إذا سلَّمتَ فأسمع، فإنها تحيةٌ من عند الله مباركةٌ طيبةٌ»(٢).

⇐ **وقال ﷺ: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»**(٣).

● **والمعنى:** إن أقرب الناس من الله وأولاهم بمغفرته ورحمته، من بدأ أخاه المسلم بالسلام عند ملاقاته.

وقال ﷺ: «فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بقومٍ، فسلّم عليهم، فردُّوا عليه؛ كان لهُ عليهم فضلُ درجةٍ بتذكيرِهِ إيَّاهُمُ السلامَ، فإنْ لَمْ يرُدُّوا عليه رَدَّ عليه مَنْ هوَ خيرٌ مِنهمْ وأطْيبُ»(٤).

⇐ **وقال ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ، فإن بدَا له أن يجلسَ، فليجلس، ثم إِذَا قام فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ»**(٥).

⇐ **وقال ﷺ: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرةٌ أو**

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه.
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.
(٣) صحيح سنن أبي داود.
(٤) صحيح الترغيب والترهيب.
(٥) صحيح سنن الترمذي.

جدارٌ أو حجرٌ، فليسلم عليه أيضًا»[١].

٢- أن يأمن المؤمنون من أذاك، ويسلموا من شرك:

ففي الصحيح يقول (عليه الصلاة والسلام): «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده......»[٢].

○ **وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنهما قال:** سألت رسول الله ﷺ: **«أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة على ميقاتها، قلت: ثم ماذا؟ قال: أن يسلم الناس من لسانك»**[٣].

● **وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يخذله، ولا يحقره، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»**[٤].

●**وقال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم»**[٥].

○ **قال الحسن البصري:** «ليكُن حظُّ أخيكَ المُؤمن منكَ ثلاثًا: إلـمْ تنفعَهُ فلا تضرّه، وإنْ لـمْ تُفرِحه فَلا تَغمّه، وإنْ لم تَمْدحَه فَلا تذمّه»[٦].

○ **وسئل الجنيد:** «من البار؟

فقال: من لا يُضمر في نفسه الشر، ولا يفعل في حياته الضر، ولا يعتدي على أحدٍ من عباد الله».

---

(١) صحيح سنن أبي داود.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) رواه مسلم.

(٥) صحيح سنن أبي داود.

(٦) جامع العلوم والحكم، ونسب ذلك إلى يحي بن معاذ الرازي.

❋ **رابعًا: أن نعمل جاهدين على نشر الإسلام وتعاليم الإسلام التي هي الطريق إلى الأمان والسلام:**

فالإسلام دين الأمان والسلام، ومن عرف اسم الله السَّـــلام، أدرك أن (الخلق) و (الأمر) ينتظمان به أتم انتظام، فانظر إلى كل حكمٍ من أحكام هذه الشريعة، تَرَ سريان أثر هذا الاسم فيها، فأوامر الله ونواهيه تكفل لنا الأمن والسلام.

- فما أمرنا الله بالصلاة والذكر إلا لسلامة أرواحنا وانشراح صدورنا.
- وما أمرنا بالصيام إلا لسلامة أجسادنا وتهذيب نفوسنا.
- وما أمرنا بالزكاة إلا للسلامة من الفقر.
- وما أمرنا الله بالحج والجهاد إلا لسلامة أمتنا وديننا.
- وما نهانا الله عن الربا إلا لسلامة اقتصادنا وحياتنا.

وهكذا، فإن سائر الأحكام تدعو للسلام.

فمن عرف هذا الاسم، ازداد يقينه وإيمانه وتوكله، واطمئنان قلبه لشرع ربه.

❋ **خامسًا: أن ندعوَ الله تعالى باسمه «السَّـــــلام»:**

كأن يقول العبد: «اللهم سلِّم سلِّم»

كما هي دعوة الأنبياء في عرصات القيامة.

وكأن يقول العبد:

أسألك اللهم باسمك السَّـــــلام أن تُسلِّمنا من كل شرٍ وسوءٍ وضُرٍّ.

(١٠) المؤمن جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

تدور معاني اسم الله تعالى (المؤمن) بين معنيين:

(١) المـصـدِّق.

(٢) المـؤمِّــن.

فـ (المؤمن) جل جلاله هو الذي أثنى على نفسه وشهد لها وصدَّقها بتوحيده سبحانه، حين قال جل جلاله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

وهي شهادةٌ عظيمةٌ، وتصديقٌ عظيمٌ كريمٌ من أعظم شاهدٍ على أعظم مشهود، وهو التوحيد الذي هو أعظمُ حقوق الله على العبيد.

قال مجاهد: المؤمن: هو الذي وحّد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨][1].

(المؤمن) جل جلاله: هو الذي صدّق رسله وأنبياءه بالبراهين الظاهرة، والمعجزات الباهرة، والحجج القاهرة؛ حتى يحييَ من حيَّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

(المؤمن) جل جلاله: هو الذي يُصدِّق عباده المؤمنين بالآيات وينصرهم في الشدائد والملمّات.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وفتح القدير للشوكاني.

(المؤمن) ﷻ: هو الذي يَصْدُقُ عباده وعده، وهذا نوعٌ من التصديق والأمان الآخروي، كما قال تعالى عن فرح المؤمنين في الآخرة وقولهم:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنبياء:٩].

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم: ٦].

- ولكن، لماذا؟

لماذا لا يُخلفُ الله وعده؟

الجواب: لأن خُلْفَ الوعد نقصٌ، والنقص محالٌ في حقِّ الله؛ ولأن الله تعالى لا شريك له يمنعه، أو ينازعه في إنفاذ ما وعد به.

فالعبد قد يخلف لسبب أقوى منه، لكن الله أقوى من كل شيءٍ وقاهر كل شيء.

والعبد قد يُخلف لتغير رأيه، لكن ذلك محالٌ في حق الله الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا.

فالعبد لا يملك عناصر الوفاء وأسبابه، لكن الرب (ﷻ) وعده محقَّق؛ ولهذا ختم الله تعالى آية: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الروم:٦].

أي: لا يعلمون هذه الحقيقة، وهي أن الله لا يخلف وعده؛ فيثقون بوعود البشر أكثر مما يثقون بوعود الله، وهو حال أكثر الناس!!

لا يَقْدُرون الله قدره، ولا يعلمون ما ينبغي له سبحانه من صفات الكمال والجلال.

(المؤمن) ﷻ: هو الذي يُصَدِّقُ ظنون عباده المؤمنين، ولا يُخيِّبُ آمالهم، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما يشاء**»[١].

وقال عزّ من قائل: «من عَلِمَ أني ذو قدرةٍ على مغفرة الذنوب، غفرتُ له ولا أبالي، مالم يشرك بي شيئًا»[٢].

• **قال الإمام بدر الدين العيني - حول هذا المعنى-:** «إن ظن أني أعفو عنه وأغفر له، فله ذلك، وإن ظنّ العقوبة والمؤاحذة، فكذلك»[٣].

(المؤمن) ﷻ: هو الذي أَمِنَ الناس من ظلمه، كما قال عزّ من قائل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ [يونس:٤٤].

• **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: «المؤمن: مَنْ أَمَّن خلقه من أن يظلمهم»[٤].

(المؤمن) ﷻ: هو الذي أمّن عباده الصالحين مم يَضُرُّهُم؛ فنشر الأمن في ملكه العظيم، فسبحانه يُطعم الجائع ويُكسي العاري، ويؤمِّن الخائف، قال عزّ من قائل: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش:٣،٤].

(المؤمن) ﷻ: هو الذي يجير المظلوم من الظالم، أي يؤمِّنه من الظلم وينصره[٥].

كما قال عزّ من قائل: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨﴾ [المؤمنون: ٨٨].

---

(١) رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) عمدة القارئ.

(٤) تفسير ابن كثير.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي.

(المؤمن) جل جلاله: هو الذي أمّن عباده المؤمنين الصادقين من كل ما يخيفهم أو يحزنهم، في الدنيا، وعند الموت، وفي القبر، ويوم الفزع الأكبر.

✹ **في الدنيا:** قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥].

فقد شرّع لهم سبحانه من الأحكام والحدود، ونحوها، ما يأمنون به على دينهم وأنفسهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم.

✹ **وعند الموت قال تعالى:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصّلت:٣٠،٣١،٣٢].

✹ **وفي القبر كما قال** ﷺ: «**فإذا كان الرجل الصالح أُجلسَ في قبره غير فَزِعٍ، ثم يقال له: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟..........**»(١).

✹ **ويوم الفزع الأكبر:** كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١،١٠٢،١٠٣].

وكما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩].

---

(١) رواه أحمد في المسند عن عائشة، وانظر صحيح الجامع.

➢ كيف نعبد الله تعالى باسمه (المؤمن)؟

❋ أولًا: أن يعيش العبد هادئًا مطمئنًا، موقنًا أن ربه لا يظلم أحدًا من خلقه:

بل إنه تعالى يرى المظلوم ويعلم حاله، ولينصرنه ولو بعد حين.

وهذا هو المعنى الذي جعل صحابة النبي ﷺ الأُوَل يهاجرون إلى أرض الحبشة؛ لأن ملكها – عليه رحمة الله – لا يُظلَمُ عنده أحدٌ، فهم آمنون هناك، وذلك عبدٌ، فكيف بالرب (المؤمن) ﷻ؟!

إن هذا المعنى العظيم يجعل المؤمن يلجأ إلى الله دائمًا، أن يجيره من ظلم الظالمين، ويثق أن وعده لعباده المؤمنين كائنٌ لا محالة.

➢ تــــأمَّـــــلْ:

كيف أن عائشة رضي الله عنها وقد اتُهِمَتْ في عرضها، وبات الناس يتحدثون عنها، وباتت هي واثقةً بأن الله تعالى سيصدِّقها، موقنةً أن ربها (المؤمن) ﷻ سيجبرها وينصرها.

تحكي رضي الله عنها **أن النبي** ﷺ **قال لها:** «يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً، فسيبرئُكِ الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنبٍ، فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تابَ الله عليه.

تقول: فلما قضى رسول الله مقالته، قَلَصَ دمعي، حتى ما أُحِسُّ منه قطرة، وقلتُ لأبي: أجب عني رسول الله، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله، فقلتُ لأمي أجيبي عني رسول الله، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله.

فقلتُ، وأنا جاريةٌ حديثةُ السن، لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إني والله لقد علمتُ أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدَّقتم به، ولئن قلت لكم أني بريئة، والله يعلم إني لَبريئةٌ، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ، والله يعلم

إني بريئةٌ، لتُصدِّقُنِّي، والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف، إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف:١٨].

ثم تحولتُ في فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننتُ أن ينزل في شأني وحيًا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يُتكلّم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله، ما رام مجلسه[1]، ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء[2] حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شاتٍ، فلما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها، أن قال لي: يا عائشة، احمدي الله، فقد برَّأكِ الله، فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله، فقلتُ لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾ [النور: ١١،١٢،١٣][3].

وحول هذا المعنى العظيم الجلل:

يحكي زيد بن أرقم رضي الله عنه:

كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ

(١) ما فارقه ولا قام منه.

(٢) وهو أشد ما يكون من العرق والتعب.

(٣) رواه البخاري.

رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَذَرُواْ ....﴾ [المنافقون: ١] فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**»(١).

❋ ثانيًا: أن نعمل جاهدين على تأمين عباد الله من العدوان والسوء:

حتى نكون مؤمنين حقًّا، وحتى يؤمِّننا الله في أنفسنا وأهلينا وأموالنا ومن نحب.

فالمؤمن ينبغي أن يعمل جاهدًا على أن يعيش من حوله في أمن وأمان، وسِلْمٍ واستقرار.

كما قال ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟

مَنْ أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» أي أذاه وشره(٣).

بل حرّم الإسلام أدنى فعل يعبث بالأمن والاستقرار، وحذّر من كلّ عملٍ يبثُّ الخوف والرعب والاضطراب.

- **كما قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروِّعَ مسلمًا»**(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني في الصحيحة.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع.

●وقال ﷺ: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده؛ فيقع في حفرةٍ من النار**»(١).

❋ ثالثًا: أن نأخذ بالأسباب الشرعية للأمن:

الأمن، وما أدراك ما الأمن؟!

أملٌ تنشده كلُّ أمةٍ، ومقصدٌ عظيمٌ شُرع له من الأحكام ما يكفله ويدرأ المساس به؛ ذلك لأنه إذا اختلّ نظام الأمن واخْتُرِق سياجُه فكم تقع حينئذٍ من الفتن العريضة، والشرور المستطيرة، إذ لا تأتي زعزعة الأمن إلا بسفك الدماء، وقتل الأبرياء، وتناثر الأشلاء، وإثارة الفتن العمياء، والجرائم الشنعاء، والأعمال النكراء؛ ولهذا قال ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»(٢).

ومن هنا كان لزامًا على من رام الأمن وتطلع إليه أن يستعين بالمؤمن ﷻ، آخذًا بأسباب الأمن.

➢ أســـــباب الأمــــن:

١- تحقيق العبودية لله وإخلاصها له سبحانه وعدم الإشراك به شيئًا:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾ [النور: ٥٥].

ففي ظل الأمن تحلو العبادة، وتطيب الحياة، ويصير النوم سباتًا، والطعام هنيئًا،

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

والشراب مريئًا.

قال عزّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

✸ **والمعنى**: الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، لهم من الله الأمن والهداية.

▼ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**»(١).

فالذي صح توحيده وصفت عقيدته، له أمنان وهدايتان، أمنٌ في الدنيا، وأمنٌ في الآخرة، وهدايةٌ في الدنيا، وهدايةٌ في الآخرة.

❐ **أمنٌ في الدنيا**: بقرار قلبه واستقراره، وأمنه على نفسه وماله وعرضه بإذن الله.

❐ **أمن في الآخرة**: من الفزع والأهوال، ومن دخول النار، إلم يكن مصرًا على الكبائر، ومن الخلود فيها إن كان مصرًا عليها.

❐ **هدايةٌ في الدنيا**: إلى ما فيه صلاح دينه ودنياه.

❐ **وهداية في الآخرة**: إلى منزله في الجنة، كما قال تعالى: **﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾** [محمد:٦].

• فتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وطاعته فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، من أعظم أسباب حلول الآمن على النفس والأهل والمال والوطن، ومتى اختل شيءٌ من ذلك، اختل شيءٌ من الأمن.

---

(١) رواه البخاري.

قال عزّ من قائل: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨].

قال السعدي: أي: من آمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وأصلح إيمانه وأعماله ونيته فلا خوف عليهم فيما يُستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى[1].

✩ **وقال سبحانه:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧٧].

✩ **وقال عزّ من قائل:** ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف: ٣٥].

٢- أن نُحكِّم شريعة الله تعالى، حكامًا ومحكومين، رعاةً ورعية، في أنفسنا وأهلينا ومن حولنا:

فمما لا يرتاب فيه مؤمن أن: أعظم سبب لزعزعة الأمن؛ التولي عن تحكيم شريعة الله تعالى، واستبدالها بالقوانين الوضعية والدساتير البشرية، فمنذ قرنٍ أو أكثر، والمجتمعات المسلمة تعيش حالةً من البأساء والضراء وتفرُّق الكلمة ما الله به عليم، وما ذاك إلا بسبب الإعراض عن شريعة رب العالمين.

▼ **فقد قال سيد النبيين وإمام المصلحين ﷺ:** «**وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتحرّوا فيما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[2].

◘ **ألا وإن من علامات تحكيم الشريعة وأماراتها:** الحرص على ردِّ كل تنازعٍ في أمور الدين إلى الوحيين الكريمين والأصلين العظيمين: الكتاب والسنة، كما قال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ويتبع هذا الأصل: أن يرجع الناس - وخاصةً في أزمان الفتن- إلى علماء الشريعة الراسخين، الذين ينظرون إلى الأمور بمنظار الشريعة، فيأتون بالفهم الدقيق، والاستنباط العميق.

قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

٣- الاعتصام بحبل الله (أي بكتابه) والاجتماع على دينه، والتعاون على البر والتقوى، والتخلي عن حظوظ النفس وسفاسف الأمور:

▼ **قال عزّ من قائل**: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٦].

▼**وقد قال تعالى**: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

▼ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي السفهاء؛ لئلا يفسدوا في الأرض؛ فيختل الأمن بسببهم، لمن أعظم واجبات هذا الدين.

ولو طُوِيَ بُساط هذا الواجب، لفشت الجهالة، وانتشرت الضلالة واستشرى الفساد، وهلك العباد، ولم يشعروا بهلاكهم إلا يوم التناد.

فالنجاة من المصائب والفتن، واستبقاء الأمن إنما يكون بنشر الخير في الأرض، ونهي أصحاب الشر عن شرهم، وإلم يحصل ذلك، عمّ ضررهم.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٧].

▼ **ولم يقل**: وأهلها صالحون، فإن مجرد الصلاح ليس كفيلًا في النجاة من العقوبات الإلهية الرادعة، وإنما لزم مع الصلاح، الإصلاح.

● **وقد ضرب النبي ﷺ لذلك مثلًا حين قال: «مَثَلُ القَائِمِ في حُدودِ الله، والْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينةٍ، فصارَ بعضُهم أعلاهَا، وبعضُهم أسفلَها، وكانَ الذينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا ونَجَوْا جَمِيعًا»**[١].

٥- طاعة الحكام في المعروف، وعدم الخروج عليهم وإن جاروا وظلموا:

فإن ذلك من عقائد أهل السنة، وبه تنتظم مصالح العباد في معاشهم، ويَسْلمون من الشرور والويلات.

فـ «لا يحلُّ قتال السلطان ولا الخروج عليه، وإن جار» لقول رسول الله ﷺ لأبي ذرٍّ الغفاري: «اصبر ولو كان عبدًا حبشيًا»[٢].

وقوله للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»[٣].

«وليس من السنة، قتال السلطان، فإن فيه فساد الدنيا والدين»[٤].

▼ **وقال ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**[٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح البخاري.

(٤) شرح السنة للإمام البربهاري.

(٥) متفق عليه.

٦- الإنفاق في سبيل الله، وطاعته، بلا مَنٍّ ولا أذىً:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦٢].

٧- شكرُ النِّعم:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

❁ رابعًا: أن ندعو الله باسمه (المؤمن):

بأن يذكر الداعي الاسم كوسيلة لتحقيق مطلبه، فيدعو به المظلوم على اعتبار أن معنى المؤمن هو المجير، ويدعو به الصادق إذا كذّبه الناس، أو افتروا عليه، ويدعو به أيضًا من يرجو نعمة ربه ويخاف عذابه، أن يؤمِّنه في الدنيا والآخرة[1].

---

(١) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة / الرضواني.

(١١) الْمـهَـيْـمِـنُ جل جلاله

قال اللّــه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

➢ **معنى الاسم في حق الله:**

(المهيمن) جل جلاله: هو الموصوف بمجموع صفاتٍ ثلاث:

- **أولها**: العلم بأحوال الشيء.
- **الثاني**: القدرة التامة على تحصيل مصالح ذلك الشيء.
- **الثالث**: المواظبة على تحصيل تلك المصالح.

فالجامع لهذه الصفات كلها اسمه المهيمن، ولن تجتمع على الكمال إلا لله سبحانه، فلا يكون مهيمنًا من لم تكن لديه هذه الصفات.

(المهيمن) جل جلاله: القائم على خلقه في كل أمورهم وشؤونهم، المطلع على خفايا أمورهم، وخبايا صدورهم، الشهيد عليهم بأعمالهم، الرقيب على أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم.

«وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه، وكل مشرفٍ على كُنْهِ الأمر مستولٍ عليه حافظ له، فهو مهيمنٌ عليه، والإشراف يرجع إلى العلم، والاستيلاء إلى كمال القدرة، والحفظ إلى الفعل، فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن، ولن يجتمع ذلك على الإطلاق والكمال إلا لله عز وجل»(١).

---

(١) المقصد الأسني / الغزالي.

وهذا من أحسن ما قيلَ في اسم اللّٰه المهيمن.

«**وأصل الهيمنة**: الحفظ والارتقاب، تقول: هيمن فلان على فلان إذا صار رقيبًا عليه....»(١).

و«**الهيمنة**: شهادة خبرة، وإحاطة وإبصار لكلية ظاهر الأمر وباطنه»(٢).

➢ **إشكال:**

قد يقال: وهل المهيمن يترك عباده وأولياءه، يبطش بهم الظلمة، ويطغى عليهم الطغاة؟

فأين المهيمن، والشعوب تُقْتل، والثروات تُنتَهب، والأعراض تُنتَهك؟

فالجواب: لله تعالى الحكمة البالغة فيما يقع على أرضه، وما يجري في خلقه.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].

فأكثر مُنْ ضعُفَت معرفتهم بربهم يظنون باللّٰه ظنَّ السوء، قائلين: أين الله؟

واللّٰه ﷻ **يقول**: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد ٤].

والله حينما يبتلي عباده المؤمنين، يبتليهم ليرفع درجاتهم - وذلك خيرٌ لهم - أو ليكفر عنهم سيئاتهم، وذلك خيرٌ لهم كذلك.

أما الأول: ففيه يقول ﷺ: «**إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل، فلا يزال يبتليه بما يكره حتى يُبلِّغه إياها**»(٣).

---

(١) فتح الباري / ابن حجر.

(٢) نظم الدرر / للبقاعي.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم، وحسنه الألباني.

وأما الثاني: ففيه يقول ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافيَ بها يوم القيامة**»(١).

قال ابن القيم – عليه رحمة الله–: «إذا تأملتَ حكمته سبحانه فيما يبتلي به عباده وصفوته، وجدتَّ أنه ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكملِ النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسرٍ من الابتلاء والامتحان......... فصورته صورة امتحان وابتلاء وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمةٍ جسيمةٍ، ومنَّة عظيمةٍ تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان...»(٢).

➢ **هيمنة عجيبة:**

متى قرأتَ قصص القرآن الكريم، رأيتَ تَجَلِّي اسم الله «المهيمن».

لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه، والتمكين لموسى في الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص:٧].

➢ **لكن:**

كيف لأمٍّ أن تُلقيَ فلذة كبدها وثمرة فؤادها في اليم؟

الجواب: المهيمن(جل جلاله) هيمن على قلبها، فقذف فيه صبراً وسكينة؛ فأطاعت وألقت طفلها في التابوت، ثم ألقته في اليم!!

ثم كادت أن تُبديَ به، لولا أن هيمن الله على قلبها كذلك فكتمته، كما قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا

(١) رواه الترمذي والحاكم وغيرهما وصححه الألباني.

(٢) مفتاح دار السعادة.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾ [القصص:١٠].

ثم هيمن الله على ذاك التابوت؛ فاستقر عند قصر فرعون، فأراد الحرس قتل موسى، فهيمن الله على قلب امرأة فرعون؛ فخرجت قائلة لفرعون وجنوده:

﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [القصص: ٩].

وهيمن الله تعالى على فرعون فخرج من جبروته وطغيانه لحظة، أطاع فيها زوجته، ولبّى رغبتها، ليربيَ بذلك عدوه في بيته!!

ثم لما أراد الطفل (موسى) الرضاع، هيمن الله على قلبه؛ فأبى أن يلتقم ثديَ امرأةٍ إلا أمَّه، كما قال عزَّ من قائل: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [القصص: ١١، ١٢، ١٣].

فحين يهيمن المهيمن ﷻ على القلوب والعقول، والأحوال والأمور، تستشعر قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾ [يوسف:٢١].

➢ هل تعلم أن القرآن مهيمن؟

وإذا تدبرت القرآن، رأيت تجلي اسم الله المهيمن في إعجازه وسطوته وهيمنته على القلوب.

قال عزّ من قائل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

فالقرآن مهيمنٌ على الكتب قبله، حاكمٌ عليها، فقد جاء بأحسنِ ما فيها، ونسخ

منها ما نسخ، وقصَّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون؛ فأظهر تحريفهم، كما أظهر الحق الذي عندهم.

وإذا كان القرآن قد هيمن على ما قبله من الكتب، فينبغي أن يكون مهيمنًا على مَنْ أُنزل إليهم، أن يكون مهيمنًا على قلوبهم وسائر أحوالهم، ينبغي أن يعتنوا به، ينبغي أن يتحاكموا إليه ويعملوا به ويتعايشوا معه، ويرفضوا ما سواه.

ولهذا لما قال الله تعالى:

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾.

قال بعدها: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

فلو هيمن هذا الكتاب على حياتك، فاتبعت ما جاء به، وعملت بما فيه، وتحاكمت إليه وأحسنت صلتك به، فقد فزتَ فوزًا عظيمًا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

قال أبو سعيد الخدري وابن عباس رضي الله عنهما: «فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام»[(١)].

➢ كيف نعبد الله باسمه (المهيمن)؟

❋ أولًا: أن نعتصم به وحده، ونعتمد عليه وحده، ونلجأ ونركن إليه وحده:

إذا عَلِمَ العبد أن لله جل جلاله الهيمنة الكاملة، والإحاطة العظيمة والسيطرة التامة، فكيف يلتفت إلى غيره؟!

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي.

وكيف يتعلق قلبه بسواه؟!

والمتأملُ لدعاء السفر الذي علّمنا إياه رسول الله ﷺ يتجلّى له أثرٌ عظيمٌ من آثار اسم الله(المهيمن)، علّمنا النبي ﷺ أن نقول: «**اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال......**»(١).

فتخيل أن الله ﷻ معك في سفرك، وفي الوقت ذاته يكون خليفتك في بيتك وأهلك ومالك!!

كيف ذلك؟

إنه الله المهيمن (ﷻ) القائل في محكم تنزيله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

ورد في الأثر أن الله تعالى يقول في بعض كتبه: «وعزتي وجلالي، ما اعتصم بي عبدٌ، فكادت له السماوات السبع والأرض، إلا جعلتُ له من بينهن فرجًا ومخرجًا، وعزتي وجلالي، ما من عبدٍ اعتصم بغيري، إلا أسخت الأرض من تحت قدميه»(٢).

جلالك يا مهيمن لا يبيد ... وملكك دائمٌ أبدًا جديدُ

وحكمك نافذٌ في كلِّ أمرٍ ... وليس يكون إلا ما تريد

قصدتُّ إلى الملوك فكلُّ بابٍ ... عليه حاجبٌ فظٌّ شديدُ

وبابك معْدِنٌ للجود يا مَن ... إليه يقصِدُ العبدُ الطريدُ(٣)

---

(١) رواه أبو داود وأصله عند مسلم.

(٢) قرة عين الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين / عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

(٣) يحيى بن معاذ الرازي، وانظر شعب الإيمان للبيهقي.

ثانيًا: أن نستشعر رقابته تعالى علينا في سرِّنا وعلانيتنا:

فمن عرف الله المهيمن، وعرف أنه شاهدٌ على خلقه بما يصدر منهم من قولٍ أو عمل، وعرف أنه -تعالى- لا تغيب عنه غائبة، ولا تعزب عنه مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض؛ راقبه في السر والعلن، وابتعد عن كل ما يسخطه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فإن ضَعُفَ يومًا ووقع فيما يُغضب الله، سرعان ما سيعود إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس:٦١].

ثم تأمل ما أثمره ذلك فيما قاله الله تعالى بعده: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢،٦٣،٦٤].

فثمرةُ رقابةِ الله ومعرفةِ هيمنته، تحقيق الولاية، وثمرة تحقيق الولاية، السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»(١).

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعةً ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيبُ
ألم ترَ أن اليوم أسرع ذاهبٍ ... وأن غدًا للناظرين قريبُ(٢)

---

(١) انظر مختصر العلو للذهبي بتحقيق الألباني.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي.

❋ ثالثًا: أن يستشعر العبد هيمنة علام الغيوب على القلوب:

اقرأ قول النبي ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ يصرفه حيث يشاء»[١].

فالإنسان إذا امتلك أسباب الدنيا كلها ليهيمن على قلب آخر، ما استطاع؛ لأن قلوب العباد بيد رب العباد، ﷻ، فلا يُجهدن العبد نفسه في كسب وُدِّ الخلق ورضاهم، ولا يَسعين لتعلوَ مكانتُه في قلوبهم، وإنما: «ارضِ المهيمن ﷻ، يُرضِ عنك عباده».

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ﷺ قال): «من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»[٢].

فمن نسِيَ الله وراح يرضي الناس بأي وسيلة كانت، فلن تراه إلا مبغوضًا من الخلق، حتى وإن كان داعيًا إلى الله!!

وإن بدا له -أحيانًا- الوصول إلى مبتغاه، فإنما هي فتنةٌ واستدراج.

فإن الله تعالى إذا أحب عبدًا، ألقى حبَّه في قلوب عباده، وإذا أبغضه، ألقى بغضه في قلوب عباده، إنه المهيمن جل جلاله

❋ رابعًا: أن يعيش العبد هادئًا مطمئنًا، متوكلًا عليه وحده، واثقًا فيه وحده:

فإذا عرف العبد أن الله هو المهيمن انقطعت آماله ممن سواه، فلا يتوكل إلا عليه، ولا يثق إلا فيه، ولا يستعين إلا به، ولا يلجأ إلا إليه، ومن كان هذا حاله، عاش هادئًا مطمئنًا، وانتقل من خيرٍ إلى خير، ومن رُقيٍّ إلى رُقيّ؛ لأنه إنما يعيش في كنف المهيمن ﷻ ولن يصيبه إلا ما قد قدره له.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني.

❁ خامسًا: أن يكون العبد شجاعًا في الحق، يصدع به، ولا يخاف في الله لومةَ لائمٍ:

لأن المهيمن ﷻ يدفعه أن يتقوّى بقوته، ويتعزَّزَ بعزته، ويعمل في سبيل مرضاته غيرَ مبالٍ بأحدٍ.

إن إبراهيم عليه السلام لما دار بينه وبين قومه ما دار، قالوا:

﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٨،٦٩].

ففي هذا الموقف الجلل أنّى لإبراهيم أن ينجوَ من النار!!

ولكن المهيمن ﷻ هيمن على النار، وحوّل طبيعتها من مادة إحراق إلى مادةٍ مليئة بالبَرَد والسلام.

❁ سادسًا: أن ندعوَ الله تعالى باسمه المهيمن:

كأن يقول العبد مناجيًا ربه:

أسألك اللهمّ باسمك المهيمن أن تتولى أمري، وتهيء لي مصالحي، وتعيذني من شر كل ذي شر، وتجلب لي الخير حيث كان، وتدفع عني الشر حيث كان.

(١٢) العزيز جل جلاله

قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ [ص: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشعراء: ٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [يس: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ [ص: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران: ٤].

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(العزيز) جل جلاله: هو الذي له العزة كلها، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته»[(١)].

(العزيز) جل جلاله: هو الذي لا مثيل له، ولا نظير له، ولا شبيه له، ليس كمثله شيء في أي شيء.

(العزيز) جل جلاله: هو القوي: فقوة المخلوقات وإن عظمت ليست في قوته شيئًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد سبحانه، لا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا

---

(١) تفسير السعدي.

نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع.

هو الغالب القاهر لكل شيء، فالكائنات كلها مقهورة لله،، خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته فجميع نواصي الخلق بيده لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف فيها متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به، **قال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

انظر إلى إخوة يوسف أرادوا أن يُذلوه ويجعلوه بعيدًا عن أبيه فجعل الله ما يفعلون سببًا لتمكينه عليهم،

وأرادت امرأة العزيز أن تحبس يوسف في السجن ليستجيب لها فجعل الله السجن سبيلًا إلى ملكه عليها وعلى الناس.

➢ عزة الله:

عزة الله تعالى: عزة قوة وقدرة، عزة حكمة وعلم، وعزة رحمة ومغفرة، عزة تستحق الحمد بكل المقاييس.

وتفصيل ذلك: أن من معاني العزة في حق الله، القوة القاهرة والقدرة الباهرة ومن هنا قُرنت القوة بالعزة في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

ولما كانت عزته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تقتضي ظلمًا ولا جورًا، فهي ليست كعزة المخلوقين الذين إذا عزُّوا وغلبوا أسرفوا وظلموا، والعزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف وتقع أفعاله في ظلم وطيش وسفه، قرن الله تعالى عزته بالحكمة والعلم في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ [غافر: ٢].

ولمَّا قد يتوهم البعض أن عزته سبحانه قد تنافي الرحمة، قرن عزته بها أحيانًا ليلفت نظر عباده إلى أن عزته رحيمة لا يؤاخذ الناس بما كسبوا ولا يعجل لهم العذاب بل يمهلهم برحمته وفضله، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشعراء: ٩]، ولما كانت عزته سبحانه عزة كمال وجلال استحق أن يحمد عليها على الدوام فقال: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨].

وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [ابراهيم: ١].

➢ كيف نعبد الله باسمه (العزيز):

❊ أولًا: أن نخلص العمل له وحده:

لأن الله عزيز، لايقبل من العمل إلا ما كان له وحده، ولهذا جاء في صحيح مسلم: أن الله تعالى قال: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**».

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه **قال:** جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: **يا رسول الله أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «لاشيء له» فأعادها عليه ثلاث مرات، ورسول الله ﷺ يقول: «لا شيء له» ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهُه»**[1]. فالعمل من غير نية خالصة لوجه الله، طاقة مهدرة وجهدٌ مبعثر وعمل مردودٌ على صاحبه.

❊ ثانيًا: أن يأخذ المسلم بالأسباب الشرعية للعزة:

(مصادر العزة وأسبابها):

ما أحوج الأمة اليوم إلى من يعيد لها تاريخها المجيد وعِزَّها السليب، ذلك

---

(١) صحيح أبي داود.

المجد الذي استمر قرونًا طويلة وأزمنة عديدة؛ ولكن يا حسرة على العباد، انحرفت الأمة عن الجادة وضلت طريقها فراحت تتخبط في دياجير الظلام وظنت أن كرامتها في تقليد عدوها والسير على منواله، فأصابها من الذل والهوان ما لم يمر عليها منذ أن قامت للإسلام قائمة[١].

ومن ساعتئذ والناس يبحثون عن العزة – التي هي الشرف والرفعة والكرامة والغلبة والامتناع عن أن يَصِلَك أحد بسوء – واختلفوا في طريق الوصول إليها، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٢].

- فمن الناس من رأى عزته في موالاة اليهود والنصارى والمنافقين والعلمانين ونحوهم، فكان ذلك سببًا في إذلالهم.

وصدق من قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله» وإنا لنجد مصداق هذا الكلام في واقعنا البئيس، حيث إنه لما ركن كثيرٌ من الأفراد والطوائف والدول إلى غير الله ﷻ يبتغون عندهم العزة أذلهم الله وجعلهم في ذيل الرَّكب ومؤخرة الأمم، وصدق الله – ومن أصدق من الله قيلًا –: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨ – ١٣٩].

- **ومن الناس من اعتز بأبيه وحسبه ونسبه، وقد خطِئ من فعل ذلك طريق العزة.**

فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة...»[٢].

---

(١) من مقدمة كتاب: العزة – د/ محمد عبد الله الهبدان.

(٢) رواه مسلم.

وقال ﷺ: «انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان – حتى عدّ تسعة – فمن أنت لا أم لك؟ فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، فأوحى الله تعالى إلى موسى: أن قل لهذين المنتسبَين أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة فهم في النار وأنت عاشرهم، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين فأنت ثالثهما في الجنة»[1].

قال أبو بكرة رضي الله عنه:

أبـي الإسـلام لا أب لـي سـواه إذا افتخـروا بقـيس أو تمـيم

• **ومن الناس من اعتز بماله وولده – وقد خطئ من فعل ذلك أيضًا طريق العزة قال تعالى – في قصة أصحاب الجنة –:** ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ [الكهف: ٣٤].

قال قتادة: «تلك والله أُمنية الفاجر، كثرة المال وعزة النفر»[2].

قال عز من قائل: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ: ٣٧].

• **ومن الناس من اعتز بمنصبه وجاهه ومكانته في المجتمع – وقد خطئ ذلك أيضًا طريق العزة، فأين مآل فرعون وقارون وأمثالهما؟ هل نالوا العزة في حياتهم؟ كلا والله، بل ذُلوًا في الدنيا، وَلَذُلُّ الآخرة أشد وأبقى..**

• **ومن الناس من تأخذه العزة بالإثم فلا يحب النقد والإرشاد ولا يقبل نصح الناصحين،** كما قال رب العالمين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٦].

---

(١) رواه أحمد والنسائي والبيهقي وغيرهم وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٢) تفسير ابن كثير.

فهل تحصَّل ذاك على العزة؟ هل نالها؟

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كفى بالمرء إثمًا أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول عليك بنفسك، مثلك يوصيني!!»[١].

فأين العزة لمن يبحث عنها؟ كيف يجدها؟

للعزة مصادرُ شتى، لكنها كالسراب لا حقيقة لها، العزة الحقيقية لها مصدرٌ واحد وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ والالتجاء إلى جنابه، فهو سبحانه وحده يُعز من يشاء ويُذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾ [فاطر: ١٠].

هذه الحقيقة كفيلة حين تستقر في القلوب أن تُبدِّل المعايير والموازين والأخلاق والقيم.

إن العزة كلها لله، وليس شيءٌ منها عند أحد سواه، فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدرٌ غيره، ليطلبها عند الله فهو واجدها هناك، فالله سبحانه هو المعز الحقيقي لمن يشاء إعزازه من البشر بما يهيئ له من الأسباب الموجبة للعز.

➢ أسباب العزة:

١- الإسلام:

قال عز من قائل: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فللعبد من العلو والرفعة والكرامة بحسب ما معه من الإسلام

---

(١) تفسير القرطبي.

والإيمان، فكلما زاد رصيدك الإيماني كلما عظم عزك واتفعت مكانتك – في الدنيا وعند الله – وكلما نقص رصيدك الإيماني كلما نقص عزك ودنت مكانتك – في الدنيا وعند الله.

لَعمـرك مـا الإنسـانُ إلا بدينـه فـلا تتـركِ التقـوى اتكـالًا علـى
فقـد رفـع الإسـلامُ سـلمانَ فـارسٍ وقد وضع الشركُ الشريفَ أبا لهبْ

إن من أعظم النعم على الإطلاق نعمة الإيمان، وايم الله لا تعدلها نعمة، فمن حق شخص يدين بالإسلام ويرفع راية الإيمان أن يفاخر بذلك.

فلا اعتزاز بجنس ولا لون ولا بلد ولا لغة ولا نسب ولا ثروة ولا مال ولا حسب، فكلها عزة جوفاء تقوم على شفا جرف هار، تقوم على تصورات خاطئة وقيم زائلة، أما الاعتزاز بالله والإسلام فباقٍ دائمًا لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

قالها بكل افتخار واعتزاز رافعًا رأسه بدينه عقيدة وسلوكًا ودستورًا ومنهج حياة.

عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة، وعُمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفّيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة.

فقال أبو عبيدة: أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة، ما يسرني أن أهل البد استشرفوك [لا أحب أن يلقاك أحدُ بهذه الهيئة].

فقال عمر: أوّه! لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمة محمد.

إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله»[١].

فإلى اللاهثين وراء الطواغيت وإلى الراكعين لأعدائهم، وإلى الراكضين وراء المال والجاه، هلا تمعنتم قول الفاروق، الذي لم يكن في قومه في الجاهلية ذليلًا ولم يكن عبدًا مهانًا، وإنما كان سيدًا مهابًا ورجلًا عزيزًا، ولكنه عرف الإسلام وذاق معنى الإيمان، فلم يجد عزة وكرامة ورفعة إلا فيه وفي الانتساب إليه، فقال هذه المقولة عن تجربة وخبرة وعلم، فيا ليت قومي يفقهون!!

فتمسك بهذا الدين واعتصم به وقم بتكاليفه ولا تقبل المساومة عليها تجد العزة بيضاء نقية.

➢ **فالإسلام مصدر العزة.**

أرسل خالد بن الوليد ﵁ رسالة إلى كِسرى، وقال: أَسلِم تسلم، وإلا جئتك برجال يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة.

فلما قرأ كسرى الرسالة أرسل إلى ملك الصين يطلب المدد والنجدة فرد عليه ملك الصين قائلًا: يا كسرى، لا قوة لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال من أماكنها لخلعوها[٢].

هل بِعُدتهم وعتادهم؟ هل ببنادقهم وأسلحتهم؟ لا والله؛ ولكن بقوة نفوسهم النابعة من قوة إيمانهم!!

عبد الله بن حذافة السهمي ﵁، لما وقع أسيرًا في أيدي الروم، وعلم به مَلِكُهم فأتوا به وراوده عن دينه قائلًا: هل لك أن تنتصر وأعطيك نصف ملكي؟

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

(٢) البداية والنهاية باختصار.

قال: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملك العجم والعرب، ما رجعت عن ديني طرفة عين؟!

فقال: إذن أقتلك، قال: أنت وذاك، فأمر به فصُلب، وقال للرماة: ارموه قريبًا من بدنه، وهو يعرض عليه – أي النصرانية – ويأبى، فأنزله ودعا بقدرٍ وصُبَ فيه ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقي فيها، وأمر بالثاني فألقي، ثم أُتي بعبد الله إلى القِدر، وهو يعرض عليه النصرانية فيأبى، ثم بكى، فقيل للملك: إنه بكى فظن أنه قد جزع، فقال: ردوه، ما الذي أبكاك؟ فقال أبكي لأنها نفس واحدة تلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله؟

فقال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟

قال: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم ن فقبل رأسه، وأخذ الأسارى، وذهب إلى عمر بن الخطاب فقبل رأسه وقال: حُق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافه.

وفي رواية: أنهم منعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم وضعوه بجوار لحم خنزير فلم يذق منه شيئًا، ولما سألوه عن ذلك – مع أنه مضطر ويجوز له الأكل ..

فقال للطاغية: كرهت أن أشمتك في الإسلام[1].

٢- الكلم الطيب والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ٨].

فبالكلمة الطيبة يعزك الله، وبالعمل الصالح يرفعك الله.

---

(١) انظر الإصابة لابن حجر، وأسد الغابة لابن الأثير.

والكلمة الطيبة تشمل: حسن الخلق، وقراءة القرآن، وذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، والإصلاح بين الناس، ونحو ذلك، والعمل الصالح يشمل: الصلاة والصدقة والبر وحسن الجوار، وكفالة اليتيم ومساعدة الفقير، والسعي في قضاء حوائج الناس ونحو ذلك.

فالكلمة الطيبة والعمل الصالح يرفعان قدر صاحبهما في الدنيا وفي الآخرة،فبهما يحبك الله وترتفع منزلتك، وإذا أحبك الله وارتفعت منزلتك عنده أحبك الناس وارتفع منزلتك عندهم.

فأي عزة أعظم من ذلك؟ وأي رفعة وشرف أكرم من ذلك؟

٣- الصبر على الظلم، والعفو عن الظالم:

فمن ظُلم فصبر أعزه الله، ومن ظُلم فعفا وسامح وغفر للمسيء أعزه الله.

وفي ذلك يقول ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبدٌ مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًا، وما فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»(١).

وفي رواية ابن أبي الدنيا: ثلاثة أقسم عليهن: **ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظُلمها إلا زاده الله تعالى بها عزًا، فاعفوا يزدكم الله عزًا....»**(٢).

وفي هذين الحديثين يصحح النبي ﷺ مفهومًا خاطئًا بثه الشيطان في قلوب أوليائه ألا وهو أن الصبر على الظلم ضعف، وأن العفو عن الظالم ذِلّة!!

فيقول النبي ﷺ: «لا، بل ذلك عزة ويجلب العزة».

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب » وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

ولذلك كلما كانت النفس عزيزة كلما مالت إلى حب الصفح والتنازل عن الحق ولذلك جمع الله تعالى بين اسمه «العزيز» و «الغفور» في أكثر من موضع، منها قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢]، فهو سبحانه وتعالى عزيز غالب، قادرٌ على الانتقام وهو مع ذلك يغفر الزلات ويعفو عن الهفوات والغفلات.

فذو النفس العزيزة يبادر المسيء بالإحسان، ويبادر الظالم بالعفو، ولا يحتاج إلى اعتذار المعتذر، ومن فعل ذلك فقد تحلى بالأخلاق الجميلة وتخلى عن الأخلاق الرذيلة وتاجر مع الله.

٤- التواضع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من امرئ إلا وفي رأسه حَكمة، والحَكمة بيد مَلَك، إن تواضع، قيل للملك: ارفع حَكمته، وإن أراد أن يُرفع قيل للملك: ضع حَكمته»[٢].

وفي هذا الحديث بيان واضح بأن العز والذل إنما هو بيد الله سبحانه وتعالى.

صعد عمر بن الخطاب المنبر يومًا وقال:

«ياأيها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تواضع لله رفعه الله، فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبر وضعه الله، فهو في نفسه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي البزار في مسنده والمنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني.

كبير وفي أعين الناس صغير، حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير»[(١)].

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر	**على صفحات الماء وهو رفيع**
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه	**على طبقات الجو وهو وضيع**

٥- الاستغناء عن الناس:

من أعظم مصادر العزة: الاستغناء عن الناس واليأس مما في أيديهم وقطع الطمع فيما عندهم.

ولذلك أتى جبريل الأمين إلى الرسول الأمين فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مَجزيٌ به واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس»[(٢)].

فكلما استغنيت عن الناس كنت عندهم عزيزًا، وكنت في قلوبهم حبيبًا، وكلما احتجت إلى ما في أيديهم وطمعت فيما عندهم كرهوك وملّوا حديثك.

دخل رجل البصرة فقال: من سيد هذا البلد؟ قالوا: الحسن البصري، قال: بم سادهم؟ قالوا: استغنى عن دنياهم واحتاجوا إلى علمه فكان سيدهم[(٣)].

٦- العلم:

من أعظم المصادر الأصلية للعزة: حمل العلم الشرعي ونشره بين الناس.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۢ﴾ [المجادلة: ١١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ما لا يرفعه الملك

---

(١) رواه ابن الشهاب في مسنده وانظر السلسلة الصحيحة.

(٢) أخرجه الحاكم وأبو نعيم في الحلية والطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في الصحيحة.

(٣) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر.

ولا المال ولا غيرهما، فالعلم يزيد الشريف شرفًا، ويرفع العبد المملوك حتى يُجلسه مجالس الملوك، كما ثبت في الصحيح من حديث الزهري عن أبي الطفيل أن نافع بن عبد الحارث أتى عمر بن الخطاب بعُسفان، وكان عمر استعمله على أهل مكة، فقال عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفتُ عليهم ابنَ أبزى، فقال: من ابن أبزى؟ قال: رجل من موالينا، فقال عمر: اسخلفتَ عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عالمٌ بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»(١).

قال إبراهيم الحربي: «كان عطاء بن أبي رباح عبدًا أسود لامرأة من أهل مكة وكان أنفُه كأنه باقلاء، وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قُوما فقاما، فقال: يا بَني لاتنيا [أي لا تتوانيا] في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود»(٢).

وقال خيثمة بن سلمان: سمعت ابن أبي الحناجر يقول: كنا في مجلس يزيد بن هارون والناس قد اجتمعوا إليه، فمر أمير المؤمنين فوقف علينا في المجلس، وفي المجلس ألوف، فالتفت إلى أصحابه وقال: هذا المُلك(٣).

وقال سفيان الثوري: «من أراد الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم».

وقال: «إن هذا الحديث عز فمن أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مفتاح دار السعادة.

(٣) سير أعلام النبلاء / الذهبي.

(٤) مفتاح دار السعادة / ابن القيم.

وقال النضر بن شميل: «من أراد شرف الدنيا والآخرة فليتعلم العلم، وكفى بالمرء سعادة أن يوثَق به في دين الله ويكون بين الله وبين عباده»[١].

٧- الطاعة عمومًا.

فصاحب الطاعة عزيز بعزة الله، قوي بقوة الله، ولو لم يكن له أعوان، وصاحب المعصية ذليل وإن كانت له آلاف الأعوان.

وفي ذلك يقول ﷺ: «**وجُعل الذُل والصَّغار على من خالف أمري**»[٢].

وقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعِينة** [ضِرب من الربا] **ورضيتم بالزرع وتبعتم أذناب البقر** [كناية عن الانشغال بالدنيا] **وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذُلًا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»[٣].

إن الحالة الراهنة التي نعيشها الآن، حالة الذل والهوان والضعف التي تمر بها الأمة، سببها البدع والمعاصي والتفرق والتشرذم، سببها البعد عن طاعة الرحمن وسلوك سبيل الشيطان.

وفي دعاء القنوت: «**إنه لا يَذل من واليت ولا يَعز من عاديت**»[٤].

وكان من دعاء بعض السلف: «**اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك**»[٥].

قال الحسن: «اللهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه»[٦].

---

(١) السابق.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٥) الداء والدواء / ابن القيم.

(٦) السابق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود أن بحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة».

ثم قال: «ولمخالفيه الذِّلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة»[١].

رأيت الذنوب تميت القلوب	**وقد يورث الذلَّ إدمانُها**
وترك الذنوب حياة القلوب	**وخيرٌ لنفسك عصيانُها**

نحن في زمان الناس يتعرفون إلى ملوكهم وكبرائهم ويتقربون إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة، فتعرَّف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العزة والرفعة، فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز.

❃ ثالثًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه «العزيز»:

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تُضلني، أنت الحيُّ الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»[٢].

وعن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه أتى رسول الله ﷺ وبه وجعٌ كاد يهلكه، فقال رسول الله ﷺ: **امسح بيمينك سبع مرات، وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله تبارك وتعالى ماكان بي فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم**»[٣].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: **من قال إذا آوى إلى فراشه: الحمد**

---

(١) زاد المعاد.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي أطعمني وسقاني، الحمد لله الذي منّ عليّ وأفضل، اللهم إني أسألك بعزتك أن تنجيني من النار، فقد حمد الله بجميع محامد الخلق كلهم»[١].

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني في الصحيحة.

(١٣) الْــجَـــبَّـــارُ جل جلاله

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

✿ **اسم الله الْــجَـــبَّـــار له معنيان:**

☜ **الأول**: الإكراه والقهر.

☜ **الثاني**: الإصلاح والرحمة.

أما الأول:

فـ (الْـجَـــبَّـــارُ) جل جلاله هو الذي يَقْهَر ولا يُقْهَر، يَغلب ولا يُغلب، يُجير ولا يجار عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]، أي قاهرين غالبين.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، أي ما أنت بالذي تُجبرهم على الهدى وتُكرههم عليه،

فـ (الْـجَـــبَّـــارُ) جل جلاله هو الذي يُجبرُ عباده ويقهرهم على ما يريد.

○ **قال ابن القيم**: «فالجبر بهذا المعنى معناه القهر والقدرة وأنه سبحانه قادر على أن يفعل بعبده ما شاء وإذا شاء منه شيئا وقع ولا بد وإن لم يشأ لم يكن ليس كالعاجز الذي يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء»[1].

---

(١) شفاء العليل.

تــنــبيــه:

والمقصود من قهره لعباده على ما يريد هو ما يتعلق بأمره الكوني القدري، أما أمره الشرعي الديني، فإن الله تعالى أمرهم ونهاهم، فمن أطاع، كان من أهل طاعته، ومن عصى كان من أهل معصيته، فقد أعطاهم سبحانه المقدرة والاختيار، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠].

- **وقال:** ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر:٣٧].

- **وقال سبحانه:** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧:١٠].

- **وقال تعالى:** ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف:٢٩].

فلا يغترُّ مغترٌّ بقول الجبرية- الفرقة الضالة النارية - بأن الله تعالى أجبر عباده على معاصيه، فـ حاشاه سبحانه أن يُكره الخلق على التفريط في حقه، ولكن قد علم ما الخلق عاملون، فكتبه عليهم، وكلٌّ ميسَّر لما خلق له.

➢ المعنى الثاني:

(الْـجَــبَّــارُ) جل جلاله: «المصلح أمور خلقه ومُصَرِّفهم فيما فيه صلاحهم»(١).

فسبحانه يجبر الكسير، ويُغني الفقير، وييسر كل أمر عسير.

فسبحانه وتعالى جبارٌ جبْرَ قوةٍ، يقهر به الجبابرة، وجبارٌ جبر رحمةٍ، يصلح به حال عباده.

---

(١) تفسير الطبري.

➢ كيف نعبد الله تعالى باسمه (الْـجَــبَّــارُ)؟

❋ أولًا: أن نستشعر جبروته، وعزته، وقهره، وقوته سبحانه:

فـ (الْـجَــبَّــارُ) ﷻ إذا إراد شيئًا، كان كما أراد، لم يمتنع عليه شيءٌ، ولا يعجزه شيءٌ.

○ **كان ﷺ يدعو ويقول: «سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة»**[١].

فجبروته قهَر الجبابرة، وأذلَّ الأكاسرة، وأنصف المظلومين من الظالمين، وأكرم المؤمنين، وأهان الكفرة والمعاندين.

○ ويتجلى جبروته ﷻ يوم القيامة، يوم «يأخذُ الجبَّارُ سماواتِهِ، وأرضه بيدِيهِ، ويقول أنا الله، أنا الملك»[٢].

○ **ويقول ﷺ: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه -وفي رواية للدارقطني: حتى يضع الجبار تبارك وتعالى فيها قدمه- فتقول: قط قط -أي كفى- فهناك تمتلئ، وينزوي بعضها إلى بعض»**[٣].

وهذا المعنى يُلقي في قلب المؤمن المهابة والخوف، ويدعوه إلى الإحسان في عبادته ومعاملاته، ويجعل العبد كذلك فخورًا بربه معتزًا بالجبار الذي لا يغلبه غالبٌ، ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

○ **يقول الشيخ علي الطنطاوي:**

حدثني بعض مشايخي عمّن رأى بعينه وسمع بأذنه، قال:

---

(١) صحيح أبي داود.

(٢) رواه مسلم مرفوعا.

(٣) متفق عليه.

وقعت الصيحة في «حي الميدان»، أجلّ أحياء دمشق وأكبرها، صبيحة يوم من أيام سنة ١٨٣١ بأن إبراهيم باشا قادم لزيارة عالِم الشام الشيخ سعيد الحلبي في مسجده، وإبراهيم باشا مَن قد علمت في بطشه وجبروته، ومَن يدُه إلى السيف أسرع من لسانه إلى القول وعينه إلى النظر، ومَن كان جبارَ سورية وفاتحها وسيدها.

وقد لقي الشيخ سعيد الحلبي عالم الشام في عصره، وقد كان في درسه مادًّا رجله، فدخل عليه جبّار الشام إبراهيم باشا ابن محمد علي صاحب مصر، فلم يتحرك له ولم يقبض رجله ولم يبدل قعدته.

وتألم الباشا ولكنّه كتم ألمه، وذهب فبعث إليه بصرة فيها ألف ليرة ذهبية (وكانت يومئذ تعدل مليون ريال الآن)، فردّها الشيخ وقال للرسول الذي جاءه بها:

قل للباشا: إن الذي يمدّ رجله لا يمدّ يده!!»[1].

فسعيد الحلبي لا يخاف إلا الجبار ولا يخشى إلا القهار جلّت قدرته، وتعالت عظمته.

✵ ثانيًا: أن نستشعر جبره تعالى لعباده، ورحمته بهم:

فكم جبر سبحانه من فقير فأغناه!

وكم جبر من مريضٍ فشفاه وعافاه!

وكم جبر من خائف فأمّنه!

وكم جبر من مظلومٍ فأنصفه!

وكم جبر من حزين فأفرحه!

وكم جبر من مهزوم فثبته!

---

(١) قصص من التاريخ.

وكم جبر من خائب فوفقه!

وكم جبر من عاصٍ فتاب عليه وسخّر حملة عرشه يدعون له ولولده ولوالديه!

فالناس لا يملكون إصلاح مالا يصلحه الله، ولا جبر كسرٍ لم يأذن به الله، ولو كان ذلك في أهون الأمور وأيسرها، كإصلاحٍ بين زوجين أو متخاصمين!!

● **ولهذا قال تعالى:** ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء:٣٥].

فالإصلاح والجبر منسوبان إلى الله تعالى، وإن قاما على يد أحدٍ من خلقه.

○ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كمال إحسان الرب تعالى أن يذيق عبده مرارة الكسر قبل حلاوة الجبر، ويعرفه قدر نعمته عليه بأن يبتليه بضدها، فما كسر عبده المؤمن إلا ليجبره، ولا منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا نغصَّ عليه الدنيا إلا ليرغِّبه في الآخرة، ولا ابتلاه بجفاء الناس إلا ليرده إليه»[1].

☜ ويصَّدق قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ**»[2].

فجبْر الله تعالى لكسر عباده يدور مع حكمته البالغة، فكم من منعٍ وفقرٍ ومرضٍ هو عين الرحمة والجبر والعطاء!!

وكم من ضائقةٍ تستَّلُ روحك من ركام الدنيا إلى معارج السماء!!

❁ ثالثًا: الحذر كل الحذر من التجبر على الخلق أو التكبر عليهم:

فالوصف بالجبروت، وصفٌ خاصٌ بالله (جَلَّ جَلَالُهُ)، وهو وصف كمالٍ له يُمدحُ به، لكن بالنسبة للمخلوق وصفُ نقصٍ وعيب يُذمُّ عليه.

---

(١) الصواعق المرسلة.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

● **قال عزّ من قائل:** ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر:٣٥].

وقد توعَّد الله الجبابرة بالعذاب الشديد، حين قال: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم:١٥،١٦،١٧].

○ وقال ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثِرتُ بالمتكبرين، والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغِرَّتُهم؟ قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها**»(١).

☜ قال النووي – في شرح مسلم – هذا الحديث على ظاهره، وأن الله قد جعل في الجنة والنار تمييزًا يدركان به.

○ **وقال ﷺ: «يَخرجُ عُنقٌ من النَّارِ يومَ القِيامةِ له عينانِ تُبصِرانِ، وأُذُنانِ تَسْمَعانِ، ولِسانٌ يَنطِقُ، يقولُ: إنِّي وُكِلْتُ بثلاثةٍ: بِمن جعل مع اللهِ إلهًا آخرَ، وبكلِّ جَبَّارٍ عنِيدٍ، وبِالمُصوِّرِينَ»**(٢).

❋ رابعًا: أن نجبر كسر المكسورين ونسعى في قضاء حوائج المحتاجين وأن نغيث الملهوفين:

وبذلك نكون قد تخلقنا بأخلاق هذا الاسم الجليل.

☜ فكن جابرًا للمنكسرين، واعلم أن الجابر يُجبر، والراحم يُرحم، وأن مراعاة الآخرين خصلةٌ قد حثَّ عليها الدين، وجبر الخواطر وتطييبها – ولو بكلمة

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح الترمذي.

طيبة، أو حديث ماتع أو ثناء عاطر أو هدية بسيطة، أو بسمة رقيقة - لَخُلُقٌ قويمٌ ومكرمةٌ من مكارم المؤمنين الذين يرجون رحمة رب العالمين.

إذ أنه لا يحتاج إلى كثير جهدٍ ولا كبير طاقة..

☚لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ.

فليُسعد النطقُ إن لم تُسعد الحالُ ☛

☜ **تــأمــــل:**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء:٨].

فهؤلاء الأقارب والمساكين الذين لا حظَّ لهم في الميراث، ولا مال لهم، أحب الله تعالى تطييب خواطرهم بجزء ولو قليلٍ يُعطون إياه، تحلُّ بسببه البركة وتكثر به النعم.

▼ «ومن ذلك أنه إذا كان لك مالٌ تفرِّق منه بين أولادك وحضر أولاد الجيران، فأعطهم من هذا المال ما تُطيِّب به خواطرهم»(١).

▼ وإذا أردت أن تمنع أحدًا شيئًا، فكلِّل ذلك بالكلمات الطيبة.

كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء:٢٨].

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ، فَتَبِعَتْهُمُ ابْنَةُ حَمْزَةَ: يا عَمِّ يا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأَخَذَ بيدِهَا، وقَالَ لِفَاطِمَةَ دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ، فحَمَلَتْهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ، وزَيْدٌ، وجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أنَا أَحَقُّ بهَا وهي

---

(١) الإيناس في فتح قلوب الناس د سيد العفاني.

ابْنَةُ عَمِّي، وقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وخَالَتُهَا تَحْتِي، وقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أخِي، فَقَضَى بِهَا النبيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وقَالَ: الخَالَةُ بمَنْزِلَةِ الأُمِّ، وقَالَ لِعَلِيٍّ: أنْتَ مِنِّي وأَنَا مِنْكَ، وقَالَ لِجَعْفَرٍ: أشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي، وقَالَ لِزَيْدٍ: أنْتَ أخُونَا ومَوْلَانَا»(١).

فانظر كيف طيَّب النبي ﷺ خاطر كل أحدٍ منهم بما قال.

○ **عن بشر بن عَقْربة قال**: استُشهد أبي مع رسول الله صَلَّى(الله عليه وسلم) في بعض غَزواته فمرَّ بي النبيّ ﷺ وأنا أبكي، فقال لي: «**اسْكُتْ؛ أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَنَا أَبَاكَ وَعَائِشَةُ أُمَّكَ؟**«**قلت: بلى**»(٢).

○ **قال الأحنف بن قيس**: «لو جلستُ إلى مائة لأحببتُ أن ألتمسَ رضا كل واحدٍ منهم»(٣).

❋ خامسًا: أن ندعو الله تعالى باسم(الْـجَــبَّــار):

كما علمنا النبي ﷺ أن نقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وعافني وارزقني»(٤).

○ **عن أبي أمامة قال**: ما دنوت من نبيكم في صلاة مكتوبة أو تطوع إلا سمعته يدعو بهؤلاء الكلمات الدعوات، لا يزيد فيهن، ولا ينقص منهن: «**اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم أنعشني واجبرني، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت**»(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري في التاريخ وصححه الألباني في الصحيحة.

(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر.

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٥) رواه الطبراني وانظر صحيح الجامع.

فاللهم يا غافر الذنب ويا قابل التوب، ويا ميسِّر العسر ويا جابر الكسر، اجبر كسرنا وفرج كربنا، واقضِ حاجاتنا، وعوِّضنا عما حرمتنا، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

(١٤) المتكبر جل جلاله

قال الله جل جلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

وقرأ النبي ﷺ على المنبر قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] ثم قال: يقول الله عزو جل: «**أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا المتعال**، يمجِّد نفسه، قال ابن عمر: **فجعل رسول الله ﷺ يرددها حتى رجف به المنبر، حتى ظننا أنه سيخِرُّ به**»[١].

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(المتكبر) جل جلاله: هو الذي يتكبر على عُتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم»[٢].

والمعنى: أن من يرى نفسه أعلى من الناس وأعظم منهم، فإن الله تعالى يعامله بنقيض قصده، ويُذله في الدنيا قبل الآخرة.

فكم ممن كان ذا نفوذٍ وأملاكٍ، فتعالى على الخلق، فأذله الله بمرض، فأصبح لا يسيطر على حركة يديه ورجليه، فلو دفعه طِفلٌ لانكبّ على وجهه.

وهذا المعنى هو أظهر معاني اسم الله المتكبر، وهو المذكور في الحديث القدسي قال الله تعالى «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد وقال الأرناؤط.: صحيح على شرط مسلم.

(٢) شأن الدعاء: الخطابي.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وغيرهم وصححه الألباني.

فمن تكبر وتعالى على الخلق وأعجب بنفسه، وتفاخر بما مَنّ الله به عليه من مال أو علم أو جاهٍ أو غيرها، فقد نازع الله في كبريائه.

وقيل:

(**المتكبر**) ﷻ: «هو المتعالي عن صفات الخلق»[١].

أي تكبّر ﷻ عن كل نقصٍ وعيب، وشرٍ وضر، وكذلك تكبر عن تماثل صفاته مع صفات خلقه، حتى لو كانت تلك الصفات صفات كريمة كالرحمة أو الجود، فسبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

(**المتكبر**) ﷻ: هو الذي يرى الكل حقيرًا بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد، فإذا كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقًا، وكان صاحبها متكبراً حقًا، ولا يُتصور ذلك على الإطلاق إلا لله ﷻ، وإن كان ذلك التكبر والاستعظام باطلًا ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه كان التكبر باطلًا ومذمومًا»[٢].

كما هو الشأن في صفات المخلوقين.

وقيل:

(**المتكبر**) ﷻ: هو الذي تكبر وتعالى عن ظلم أحد من خلقه، حتى لو كانوا من أهل كفرانه.

وقيل:

(**المتكبر**) ﷻ: هو النافذ أمره في خلقه، فلا يجري في ملكه إلا ما يريد.

---

(١) شأن الدعاء: الخطابي.

(٢) المقصد الأسنى للغزالي.

متفـــــــردٌ بالكبريـــــــاء فلـــــيس يشـــــبهه أحـــــد
لـــــو شـــــاء أغلـــق بابـــه عمـــن عصـــاه ومـــن جحـــد
متوحـــــــد متكبـــــــر ســـــبحانه الفـــرد الصـــمد
ولـــه الكمـــال بغيـــر حـــدٍ والوجـــــود بـــــلا عـــــدد
طـــوبى لعبـــد صـــالح لجـــــلال ســـــيده ســـــجد

➢ **كيف نعبد الله باسمه «المتكبر»؟**

✵ أولًا: أن نستشعر استحقاقه تعالى للكبرياء والعظمة دون سواه:

قال الإمام الخطابي: والتاء في المتكبر تاء التفرد والتخصص بالكبر، لا تاء التعاطي والتكلف»[1].

والمعنى أن الكبرياء والعظمة صفة مستحقة لله، لا يشاركه فيها سواه، فليس ﷻ كالمخلوق الذي يتعظم وليس بعظيم أو المتكبر وليس بكبير، أو يتعالى وليس فيه علو، أو يتفاخر، وهو الضعيف العاجز.

فسبحانه! التكبر لا يليق إلا به؛ لأنه وحده الملك، وما سواه مملوك، وهو وحده المتفرد بصفات الكمال، والجمال والعظمة والجلال.

وسبحانه هو الكبير، وكل ما دونه صغير، وهو العظيم وكل ما دونه حقير إلا من كرَّمه تعالى وأعلى شأنه.

فقد تكبر سبحانه عن الزوجة والولد، والضد والند:

قال جل شأنه: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣].

---

(١) شأن الدعاء.

وقال جل شأنه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

وقال جل شأنه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الاسراء: ١١١].

وتكبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الموت والعناء:

قال جل شأنه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وتكبر سبحانه عن كل سوء وشر ونقص وضر:

قال جلت قدرته: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢].

وقال تعالت عظمته: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالتكبر صفة مستحقة لا تليق إلا به سبحانه، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «**ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل نازع الله رداءه، فإن رداءه الكبرياء، وإزاره العظمة، ورجل شك في أمر الله، والقنوط من رحمة الله**»(١).

وكان ﷺ يثني على ربه في ركوعه وسجوده ويمجده قائلًا: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»(٢).

❊ ثانيًا: أن نتواضع مع الله:

من عرف أن الكبرياء رداءُ الله، وأن العظمة إزاره، خضع له، وذل نفسه له، وعلم أن الذل لله عِز، والخضوع له عظمة، والفقر إليه غِنى، فمقام المخلوق مقام

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، وغيره وصححه الألباني.

(٢) صحيح سنن النسائي.

عبودية، وذل وانكسار للكبير المتعال ﷻ، وهذا هو السر في أننا ونحن نركع أو نسجد نقول: «الله أكبر»، وفي حال ركوعنا وسجودنا، نذكر كبرياءه وعظمته.

● **والتواضع مع الله: أن نقبل النصيحة، وننقاد للحق.**

فقد كان النبي ﷺ يقول: إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك، وإن أبغض الكلام إلى الله، أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك»(١).

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له النبي: «**كل بيمينك**»، فقال لا أستطيع. فقال: «**لا استطعت ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه**»(٢).

وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: «يخضع للحق، وينقاد له، ويقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبي قَبِله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله(٣).

❋ ثالثا: أن نتواضع مع الناس:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] أي لا تُعرض بوجهك عمن تكلمه، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

وقام النبي ﷺ في الناس خطيبًا فقال: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد»(٤).

● **ومن التواضع: تقدير الآخرين وإشعارهم بقيمتهم وإظهار فضائلهم حتى في غيابهم:**

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي.

(٤) رواه مسلم.

• لما أعتق أبو بكر رَضِوَلِيَّكَ عَنْهُ، بلال بن رباح، قال عمر: أبو بكر سيدُنا أعتق سيدَنا»[١].

قال محمد بن الحنفية - ابن عليّ بن أبي طالب -: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»[٢].

-حدّث رجل بحديث فاعترضه رجل آخر، فغضب عطاء بن رباح، وقال: ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الطباع؟ والله إن الرجل ليحدث بالحديث، لأنا أعلم به منه، وعسى أن يكون سمعه مني، فأنصت إليه، وأريه كأني لم أسمعه من قبل»[٣].

• **ومن التواضع: الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه:**

وإن حدثتك نفسك أن اعترافك أو اعتذارك قد يضع من قدرك، فاعلم أن هذه نفسٌ أمارة بالسوء، واحرص على الحق أكثر من حرصك على نفسك، فكم من كبراء أخطئوا وأجرموا؛ لكن ملأ الكبر قلوبهم، فلم يعترفوا بخطئهم ولم يعتذروا عن إجرامهم.

لما مَرّ أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال، قالوا: ما أخذَت سيوف الله من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ [قال ذلك تأليفًا لقلبه] فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم! لئن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك! فأتاهم أبوبكر فقال: يا إخوتاه، آغضبتكم؟ فقالوا: لا، يغفر الله لك يا أُخيّ**»[٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) طبقات ابن سعد.

(٤) رواه مسلم.

ومن التواضع:

- عدم التعالي على الناس في الحديث معهم.
- مجالسة الفقراء والاستماع إليهم – خاصة إذا كانوا من أهل الإيمان.
- هضم النفس، وعدم الثناء عليها لغير حاجة.
- ألَّا تخبر أحدًا بحقيقتك – إلا لحاجة – وخاصة إذا كنت صاحب منصب أو شهرة – واترك الناس يعاملونك حسب ما يرون.
- إجابة الدعوة ولو إلى شيء يسير.
- مؤاخاة المؤمنين أيا كانت رتبتهم.

❁ رابعًا: أن نحذر الكبر:

صفة قبيحة، من اتصف بها فسدت نفسه، وزال عنها صلاحها، وطُبع على قلبه، كما قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥].

وقال: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦] أي ليس بكبير ولا هي صفة له، ومع ذلك تكبر وتعالى وتعظَّم!!

«وعجبًا للمتكبر، وهو يعلم عجزه وذِلته وفقره لجميع الموجودات، وأن قرصة النملة والبرغوث تؤلمه، والمرحاض يطلبه لدفع ألم البول عنه، ويفتقر إلى كسرة خبز يدفع بها ألم الجوع عن نفسه، فمَنَ صفتُه هذه كل يوم وليلة، كيف يصح أن يدخل قلبه كبرياء؟ وما ذاك إلا للطبع الإلهي على قلبه»[1].

وحسبك قول النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2].

---

(١) فيض القدير.

(٢) رواه مسلم.

وقول النبي ﷺ: «يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولَس، يعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار طينةَ الخبال»[١].

قال الأحنف بن قيس: «عجبًا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين»[٢].

فيا من يتكبر بملكه أو مكانته الاجتماعية أو ماله أو قوته وصحته أو علمه أو جماله وحسن صورته:

الكبر من صفات اليهود، ومن أخلاق الكافرين، ومن خصال المنافقين، قال تعالى عن اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧].

وقال تعالى عن الكافرين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥].

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [المنافقون: ٥].

✵ خامسًا: أن ندعوا الله باسمه «المتكبر»:

كأن يقول العبد: «اللهم إني أسألك باسمك العزيز الجبار المتكبر أن تربط على قلبي وتهدي نفسي وتتولى أمري إنك على كل شيء قدير».

«اللهم إني أسألك باسمك المتكبر أن تجيرني من الكبر والعجب والغرور».

«اللهم إني أسألك باسمك المتكبر أن تجعلني من المتواضعين».

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) أدب الدنيا والدين: الماوردي.

(١٥) (١٦) (١٧) (١٨)
الخالق، الخلاق، البارئ المصوِّر جل جلاله

قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة: ٥٤].

➢ معنى هذه الأسماء في حق الله تعالى:

(الخالق) جل جلاله: هو الذي خلق كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

فما من شيء فوق السماء أو تحت الأرض أو بينهما إلا وهو من خلق الله سبحانه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** فكان يُعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية، فيسأل رسول الله، ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك؟

قال: صدق.

قال: فمن خلق السماء؟ **قال: الله.**

قال: فمن خلق الأرض؟ **قال: الله.**

قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ **قال: الله.**

قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض، ونصب الجبال، آلله أرسلك؟

قال: نعم.

قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا.

قال: صدق.

قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ **قال: نعم.**

قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟

قال: صدق.

قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: **نعم.**

قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سَنَتِنا؟

قال: صدق؟

قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: **نعم.**

قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلًا؟

قال: صدق.

ثم وَلّى، قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن، ولا أَنقص منهن؟

فقال ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة»[1].

(الخالق) ﷻ: هو الذي خلق الخلق من عدم.

كما قال الله لنبينا زكريا: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩﴾ [مريم: ٩].

(الخالق) ﷻ: هو الذي خلق الخلق على غير مثال سابق.

---

(١) رواه مسلم.

كما قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧].

قال ابن كثير: أي خالقهما على غير مثال سابق»[(١)].

فكل من يصنع أو يفكر، ينظر إلى ما صنعه غيره فيحاكيه ويقتبس منه، ويضيف ويُطوِّر، إلا الله، فقد خلق الخلق كلهم ولم يكن شيءٌ مثلُهم من قبلهم قط، فلم يكن قبل السماء سماء ليوازي رفعها، ولا قبل الأرض أرض ليحاكي بسطها، ولا قبل البشر أحدٌ ليخلق مثلهم، حاشاه سبحانه.

(الخالق) جل جلاله: هو الذي خلق الخلق وما عملوه.

كما سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال ﷺ: «**إن الله خالقٌ كل صانع وصنعته**»[(٢)].

قال الخطابي: «**الخالق:** هو المبدع للخلق المخترع له على غير مثال سابق، قال سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]»[(٣)].

أما (الخلاق) سبحانه: فهو من أفعال المبالغة الدالة على كثرة الخلق والإيجاد، فكم يحصل في اللحظة الواحدة من بلايين المخلوقات التي هي أثرٌ من آثار اسمه الخلاق سبحانه.

• **فائدة:** وخلْق الله سبحانه، ليس على هيئة واحدة، فمنهم من خلقه بيده ومنهم من خلقه بكلامه ومشيئته، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**خلق الله بيده: العرش وعدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء: كن فكان**»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) رواه الحاكم وانظر السلسة الصحيحة.

(٣) شأن الدعاء.

(٤) رواه الذهبي في مختصر العلو، وصححه الألباني.

أما (البارئ) ﷻ: فهو «الذي برأ الخلق فأوجدهم بقدرته»(١).

قال الزجاج: «والبرء: خلقٌ على صفة، فكل مبروء مخلوق، وليس كل مخلوقٍ مبروء..»(٢).

وقال ابن كثير: «الخلق هو التقرير، والبرء هو الفرْي، وهو التنفيذ وإبراز ما قرّره وقدره إلى الموجود، وليس كل من قدّر شيئًا ورتّبه يقدر على تنفيذه وإيجاد سوى الله ﷻ.

قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنــت تفــري مــا خلقــت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري(٣)

قال الحليمي: الباري: الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق، وهذا هو الذي يشير إليه ﷻ بقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢](٤).

سئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال: سبحان الله! ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة»(٥).

أما (المصور) ﷻ: «الذي إذا أراد شيئًا، قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار، قال: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨]»(٦).

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) تفسير الأسماء.

(٣) تفسير ابن كثير.

(٤) المنهاج، بتصرف.

(٥) تفسير ابن كثير.

(٦) تفسير ابن كثير.

(**المصور**) ﷻ: «هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، ليتعارفوا بها، فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]»[1].

(**المصور**) ﷻ: الذي صور جميع الموجودات، ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة مفردة يتميز بها، على اختلافها وكثرتها، فأنشأ خلقه على صور مختلفة وهيئات متباينة من الطول والقصر، والحسن والقبيح، والذكورة والأنوثة، لا يتماثل جنسان، ولا يتساوى نوعان وكما صوّر الأبدان فتعددت وتنوعت، كذلك صوّر الطبائع والسلوك والمذاهب والأفكار، فتنوعت وتعددت.

➢ **الفرق بين الأسماء الأربعة (الخالق، والخلاق، والبارئ، والمصور):**

● **الفرق بين «الخالق» «والخلاق»:**

أن الخالق: هو الذي ينشئ من العدم بتقدير وعلم، ثم بإيجاد وخلق عن قدرة وغنى.

أما «الخلاق»: فهو الذي يُبدع في خلقه كما أو كيفًا.

أما من حيث الكم، فسبحانه يخلق ما يشاء، قال سبحانه: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء: ١٣٣].

أما من حيث الكيف، فسبحانه وتعالى مبدعٌ في خلقه متقن في صنعه، كما قال ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨].

● **الفرق بين «الخالق والخلاق» وبين «البارئ» و «المصور».**

أن «الخالق»: هو المقدر قبل الإيجاد والظهور، جميع المخلوقات على صفاتها، على مقتضى حكمته الباهرة.

---

(١) شأن الدعاء: الخطابي.

و «**البارئ**»: هو الموجد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير.

و «**المصور**»: المشكِّل لكل موجود على الصورة التي أراد(١).

- **وقيل في الفرق بين «الخالق» و «البارئ»:**

أن البارئ هو «الخالق»، إلا أن «البارئ» مختص من جهة اللفظ بالحيوان – أي بالأحياء ذوات الأرواح – ولكن «الخالق» في ذوات الأرواح وغيرهم.

كان عليٌّ رضي الله عنه يقول في قسمه: «لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة»(٢).

هل يخلق أحدٌ كخلقه؟

تحدى الله تعالى – في أكثر من موضع من كتابه – الناس جميعًا، أن يخلقوا شيئًا، ولو كان حقيرًا، وأن يجتمعوا له، فظهر عجزهم، وبان ضعفهم وفقرهم، ولازال التحدي قائمًا.

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣،٧٤].

فكل ما يُدعى من دون الله، سواءٌ كانت أصنامًا أو أيَّ معبوداتٍ أخرى لن يستطيعوا خلق ذبابة واحدة، وهي مخلوق ضعيف صغير، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

---

(١) بتصرف من أضواء البيان.

(٢) رواه البخاري.

وقال ﷻ في الحديث القدسي: «ومن أظلمُ ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة، وليخلقوا ذرة»(١).

فأين ملاحدة اليوم؟

أين الملحد الأكبر؟ أين من قال: «﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤)﴾»؟

أين هامان؟ أين قارون؟ أين النمرود؟

أين من أنكر وجود الله؟

١- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)﴾ [الطور: ٣٥].

وهذا الدليل يُسمى بدليل وجود الخلق، وهو يشهد بوجود الخالق ﷻ.

٢-ألم يروا إتقان الخلق؟

ألم ينظروا إلى أنفسهم؟ ما من جارحة من جوارحهم إلا وقد أتقنها الله إتقانًا بديعًا، حتى تؤدي وظيفتها التي خلقت من أجلها على أكمل وجه ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾ [النمل: ٨٨].

٣-ثم إن الله تعالى خلق كل شيء بتقدير وحساب وترتيب، بحيث يتناسب مع مكان وجوده وزمانه، ويتلاءم مع غيره من الموجودات.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾ [القمر: ٤٩].

٤-ثم هدى الله كل مخلوق إلى ما يصلحه ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾ [طه: ٥٠]، حتى المولود يولد مَهْديا إلى التقام ثدي أمه**!!**

---

(١) رواه البخاري.

ثم يقولون: من خلق الله؟!!

وهل يقبل عقل أن يكون الخالق مخلوقًا؟

قال الإمام الخطابي: «قوله: من خلق ربك، كلام متهافت ينقض آخرهُ أوله؛ لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقًا، ثم لو كان السؤال متجهًا لاستلزم التسلسل وهو محال، وقد أثبت العقل أن المحدثات تفتقر إلى محدث، فلو كان هو مفتقرًا إلى محدث لكان من المحدثات»(١).

ولهذا دلنا النبي ﷺ على الطريق الأمثل للتخلص من هذه الوسوسة التي بدت من جديد جلية على ألسنة الملاحدة.

قال ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»(٢).

وعند أبي داود: «فإذا قالوا ذلك، فقولوا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، ثم ليتفل عن يساره، وليستعذ بالله من الشيطان»(٣).

➢ كيف نعبد الله بأسمائه «الخالق»، «الخلاق»، «البارىء»، «المصور»؟

❋ أولًا: أن يكون العبد على دراية بالحكمة العلية التي من أجلها خلقه رب البرية:

قال الله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦].

---

(١) فتح الباري لابن حجر.

(٢) رواه البخاري.

(٣) حسنه الألباني.

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

❃ ثانيًا: أن ننشغل بعبادته وأن نفرده بها:

وهذا ما احتج به الله تعالى على المشركين الذين يقرون بأنه الخالق الرازق وحده، ثم هم يعبدون غيره ممن لا يخلق ولا يرزق.

قال سبحانه: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

أي فكيف يفترون على الله الكذب، ويشركون به، ولا يفردونه بالعبادة، وقد أقروا بأنه الذي خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر؟

فلو استقر في قلب العبد أن الله خلقه وخلق هذا الكون، فمن المحال أن يتنصل من عبوديته، ولهذا كثيرًا ما يأمر عباده بالعبادة بعد أن يُذَكِّرهم بأنه خالقهم.

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

قال ابن كثير: «ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: «ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتك فاتك كلُّ شيء وأنا أَحبُّ إليك من كل شيء»[1].

ولهذا كان الشرك بالخالق أعظمَ الذنوب عند الله.

---

(١) تفسير ابن كثير.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «سألت النبي ﷺ: أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»(١).

وأبرز العلامات على فساد العقول وضعفها أن يُعبد المخلوق ويُترك الخالق، ويُرجى المرزوق ويُنسى الرازق.

ومن تمام العبودية للخالق سبحانه، لزوم التوبة وتجديدها، فقد قال سبحانه: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤].

❋ ثالثا: أن ينشغل العبد بإصلاح خُلُقه:

فإن حسن الخَلق إذا كان بغير حسن الخُلق، فلا معنى له.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «اللهم حسن خُلقي كما حسنت خَلقي»(٢).

❋ رابعًا: أن نتفكر في خلقه:

عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا! فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زرْ غبًا تزدد حبًا، فقالت: دعونا من رطانتكم هذه، فقال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فسكتت ثم بكت وقالت: لما كان ليلة من الليالي قال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي، قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرّك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حِجره، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذن بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد وسنده صحيح.

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾(١).

نظرة تفكر:

قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٠١].

وقال ﷺ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله»(٢).

إذا تفكر العبد في بديع خلق الله، وروعة نظامه، ودقة إحكامه، لامتلأ قلبه إيمانًا وعظمةً لله سبحانه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخير والسعادة في خزانة، مفتاحها التفكر، والفكر هو الذي ينقل من موت الغفلة إلى حياة اليقظة، ومن المكاره إلى المحاب، ومن مصيبة العَمى والصَّمم والبَكَم إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله»(٣).

إنها عبر وعظات وآيات منظورات، نقرؤها في صفحة هذا الكون فتملأ القلب إيمانًا ويقينًا.

انظر إلى السماوات:

انظر إلى السماوات من فوقك، هل ترها رُفعت بأعمدة؟ هل ترى فيها شقوقًا أو صدوعًا أو عيوبًا؟ ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾ [ق: ٦]، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾ [الملك: ٣-٤].

---

(١) رواه ابن حبان وغيره وصححه الألباني.

(٢) رواه الطبراني وانظر الصحيحة.

(٣) مفتاح دار السعادة.

هل تأملت ما في هذه السماء من نجوم وكواكب وأفلاك ومجرَّات؟ كم عددها؟ كم بينها من مسافات؟

كل هذه النجوم زيّن الله بها السماء الدنيا فقط، هذه السماء الدنيا التي هي بهذه الحجم العظيم، حجمها بالنسبة إلى السماء الثانية كحلْقة من حديد أُلقيت في صحراء، والثانية بالنسبة إلى الثالثة كذلك، وهكذا إلى السابعة، وفوق ذلك الكرسي الذي وسع السماوات والأرض، وفوق الكرسي عرش الله الذي هو أكبر من كل شيء، وفوق العرش رب العالمين، ورب العالمين يقبض هذه المخلوقات بيمينه يوم القيامة ويقول: «أنا الملك».

كم في هذه السماوات من مخلوقات وعجائب وآيات؟!

كم في هذه السماوات من راكع وساجد وقائم وقانت، لا يفترون ولا يعصون؟!

انظر إلى السحاب:

انظر إلى السحاب الذي هو كالجبال، كيف يسير؟ كيف يتكون؟

انظر إلى ما فيه من برق ورعد، ومطرٍ ينزل، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٨].

انظر إلى الطيور:

انظر إلى الطيور وهي تطير أسرابًا، انظر إلى أصنافها وأجناسها، لا يستطيع أحدٌ من الخلق عدَّها وحصرها، من يرزقها؟ كيف تتحرك في هذا الهواء وتسافر آلاف الأميال ثم ترجع إلى نفس المكان الذي خرجت منه؟ من يدبر أمرها؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: ١٩].

وما تراه وتعلمه أقل بكثير مما لا تراه ولا تعلمه ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩].

انظر إلى البحار:

عالم عجيب يمثل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، لا نعلم عنه إلا قليلًا من قليل.

كم فيه من جواهر وعجائب وأسرار؟

كيف تسبح عليه السفينة العملاقة؟

من الذي جعل بين البحرين حاجزًا مائيًا تختلف كثافة مائه عن كثافة البحرين؟

اسجد أيها العقل لربك، اسجد أيها القلب لخالقك، استسلمي أيتها الجوارح لرب هذا الوجود، أطيعي أمره، اجتنبي نهيه، احذري عقابه وغضبه.

انظر إلى الهواء:

نحسه ولا نراه، ألطف شيء في هذا الوجود، وقد يجعله الله أقسى شيء حين يأمره فيدمر به كلَّ شيء.

هذا الهواء يحمل الطائرات، وتقوم به حياة ما على الأرض من كائنات.

ماذا لو أمسكه الله عن الخلق دقائق قلائل؟

ماذا لو كان هذا الهواء يباع ويشتري ويتحكم فيه الناس؟

هل تفكرت أن الله تعالى جعل لك من هذا الهواء رزقًا معلومًا كُتب لك بالذرة، فإذا انتهى ما قدره الله، فعندئذٍ ستلقاه، فأنفاسك معدودة، فلا تُضيِّعْها في معصية الله.

انظر إلى الجبال:

تأمل صلابتها، وارتفاعها وعددها وكهوفها ومغاراتها، ومخلوقاتها.

هل تعلم أن الجبل الذي طوله ألف متر يكون له أصل في الأرض بمقدار ألفي متر؟ هل فهمت قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ: ٧].

ومع ذلك فهي رقيقة المشاعر، تُحب وتحَب، وتخشع وتذل، كما جاء في صحيح البخاري، قول النبي ﷺ: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**» ومن قبلُ قال سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨].

انظر إلى الأشجار:

تأملها في الحقول، والغابات والجبال والصحاري والوديان والسهول، تأمل اختلافها في أسمائها وأحجامها وأنواعها وأشكالها وألوانها وروائحتها وطعمها ومنافعها، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤].

كم عدد أوراق هذه الأشجار؟ كم عدد ثمارها؟ كيف يتحرك الماء داخلها؟ كيف تنمو وتكبر وتورِق وتُثمر؟ كيف تتنفس ثم تعيد الأكسجين إلى الجو، وتجدد الهواء في الدنيا؟ من أَرْوَعَ منافعها؟ من خلقها؟ من هيأها؟

إنه الخالق الخلاق البارئ المصور.

انظر إلى نفسك:

انظر بعين عقلك وبصيرة قلبك إلى هؤلاء البشر – وأنت واحدٌ منهم – ملايين الملايين لا يُحصِى عددَهم إلا الله، كلٌّ منهم يحمل في رأسه آلامًا وأمالًا وأفكارًا وخواطر وشهوات ورغبات، من ذا الذي يحيط بها علمًا؟ من ذا الذي يدبر أمورهم؟ ويُدرُّ عليهم أرزاقهم؟ من ذا الذي يستجيب لهم ويعطيهم سؤالاتهم؟

من الذي يشفي مريضهم؟ ويفرج كروبهم ويقضي حاجاتهم؟

تأمل في اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأحجامهم وصورهم وأشكالهم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢].

منذ خلق الله آدم لم يتطابق اثنان من كل وجه، بصمة الإصبع لا يتشابه فيها اثنان، بصمة الصوت كذلك!!

من الذي أوجد كل إنسان بصفة وهيئة تميزه عن غيره؟

الآن، في هذه اللحظة، كم من إنسان يولد؟ كم من إنسان يموت؟ كم من مريض كم من صحيح؟ كم من حزين وكم من سعيد؟ كم في بحر وكم في بر وكم في جو؟ من الذي يعلم تفاصيل ذلك؟

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [النجم: ٤٤ -٤٩].

فسبحان من يدبر الأمر، ويغير الحال من فقر إلى غنى، ومن غنى إلى فقر، ومن ضحك إلى بكاء، ومن سعادة إلى شقاء، ومن إيمان إلى كفر، يُميت ويحيي، يُسعد ويُشقي، يُعز ويذل.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

كل عضو في جسدك فيه آيات لا حصر لها، أجهزة دقيقة في جسم الإنسان تعمل ليل نهار، مصانع تهضم الطعام، وأخرى تحلل الأكسجين، وثالثة تَضخ الدم إلى أنحاء الجسم، ورابعة وخامسة ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾

من الذي سوَّاك جنينًا وأنت في بطن أمك؟

من الذي نمّى أعضاءك الداخلة والخارجة حيث لا تراك العيون ولا تصل إليك الأيدي؟

من الذي سوّى هذه الأعضاء وهداها لوظائفها المختلفة؟

من الذي يرعى قلبك ليعمل؟

أرأيت هذه الأعصاب والأوردة والشرايين، لو اختل عمل واحدٍ منها كيف تكون حياتك؟

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٧٤].

لله في الآفاق آيات لعل ... أقلها هو ما إليه هداكا

ولعل ما في النفس من آياته ... عجبٌ عجاب لو ترى عيناكا

الكون مشحون بأسرار إذا ... حاولت تفسيرًا لها أعياكا

قل للطبيب تخطفته يد الردى ... يا شافي الأمراض من أرداكا؟

قل للمريض نجا وعوفي بعد ... ما عجزت فنون الطب من

قل للصحيح يموت لا من علة ... من يا صحيح بالمنايا دهاكا؟

قل للبصير كان يحذر حفرة ... فهوى بها، من ذا الذي أهواكا؟

بل سائل الأعمى خطا بين الزحام ... بلا صطدام، من يقود خطاكا؟

قل للجنين يعيش معزولًا بلا ... راع ومرعى، من الذي أبكاكا؟

قل للوليد بكا وأجهش في البكا عند الولادة من الذي أبكاكا؟

وإذ ترى الثعبان ينفث سمه فاسأله من ذا بالسموم حشاكا؟

واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاكا؟

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهدًا وقل للشهد من حلاكا؟

بل سائل اللبن المصفى كان بين فرث ودم من الذي صفاكا؟

وإذا رأيت الحي يخرج من حنايا ميْت فاسأله من أحياكا؟

وإذا ترى ابن السود أبيض ناصعًا فاسأله من أين البياض أتاكا؟

وإذا ترى ابن البيض أسود فاحمًا فاسأله من ذا بالسواد طلاكا؟

قل للنبات يجف بعد تعهد ورعاية من بالجفاف رماكا؟

وإذ رأيت النبت في الصحراء يربو وحده فاسأله من أرباكا؟

وإذا رأيت البدر يسري ناشرًا أنواره فاسأله من أسراكا؟

واسأل شعاع الشمس يدنو وهي أبعد كلِّ شيء، ما الذي أدناكا؟

قل للمرير من الثمار من الذي بالمر من دون الثمار غذاكا؟

وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأله من يا نخل شق نواكا؟

وإذا رأيت النار شب لهيبها فاسأل لهيب النار من أوراكا؟

وإذا ترى الجبل الأشم مناطحًا قمم السحاب فسله من أرساكا؟

وإذا رأيت النهر بالعذب الذلال جرى فسله من الذي أجراكا؟

وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج طغى فسله من الذي أطغاكا؟

وإذا رأيت الليل يغشى داجيًا فاسأله من بالليل حاك دجاكا؟

وإذا رأيت الصبح يُسفر ضاحيًا   فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا؟
هذي عجائب طالمًا أخذت بها   عيناك وانفتحت بها أذناكا؟
والله في كل العجائب ماثلٌ   إلم تكن تراه فهو يراكا
يا أيها الانسان مهلًا ما الذي   بالله جَلَّ جَلَالُهُ أغراكا؟

التفكر في خلق الله والتأمل في آياته، هدي السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال بشر بن الحارث: «لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله»(١).

قال أبو سليمان الداراني: «إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله فيه نعمة ولي فيه عبرة»(٢).

وقال وهب بن منبه: «ما طالت فكرة امرئٍ قط إلا علم، وما علم امرؤٌ قط إلا عمل»(٣).

قال سفيان بن عيينة: «إذا المرء كانت له فكرة... ففي كل شيء له عبرة»(٤).

تأمل في نبات الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لُجين شاخصات   بأحداق هي الذهب السبيك.
على قصب الزبرجد شاهدات   بأن الله ليس له شريك(٥).

ثمرة هذا التفكر:

التفكر في خلق الله، والتأمل في آياته له ثمراته الكثيرة وفوائده الغزيرة منها:

---

(١) الإحياء للغزالي.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) الإحياء للغزالي.

(٤) الإحياء للغزالي.

(٥) الشعر لأحمد الزيات واللجين: الفضة الذائبة.

-معرفة قدر الله، وسعة عمله بخلقه وبأحوالهم.

-معرفة العبد بسعة رحمة الله، وسعة إحسانه على خلقه، وعظم حكمته، وحسن تقديره.

-معرفة العبد بقدر نفسه، وأنه مفتقر إلى الله تعالى، وأنه قليل الحيلة، عديم الوسيلة.

-علم الإنسان بحق ربه عليه، وفضله عليه.

-استقرار عظمة الله، وقدره في قلب المتأمل، بالإضافة إلى استقرار تفرد الله بالخلق، وبالتدبير، وبالتكلف برزق الخلق، فينقاد العبد ويخضع له، وينصرف إلى عبادته وحده.

-وأخيرًا، زيادة الإيمان واليقين، فثمرة التفكر، التذكر.

❁ خامسًا: أن نستشعر المنة في إبداع الله في خلقه وتصويره لهم:

فقد امتن الله علينا بأن صورنا فأحسن صورنا، حين قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التغابن: ٣].

فقد خلق الله آدم بيده، وصوره، ثم نفخ فيه الروح، وأسجد له ملائكته، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

قال ابن كثير: «إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل، فنصب القامة وسوَّى الأخلاق وحسَّنها»[(١)].

ولهذا أمرنا النبي ﷺ بتكريم ما صوّره الله، ونهانا عن إهانته: فقال ﷺ: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل قبّح الله وجهك ووجه من يشبهُ وجهك،**

(١) تفسير ابن كثير.

فإن الله ﷻ خلق آدم على صورته»[١].

❋ سادسًا: أن نحذر التصوير إذ هو من خصائص الله في خلقه:

قال الله تعالى – في الحديث القدسي –: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»[٢].

وقوله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» أي راح يصور تصويرًا يشابه خلقي، وهو استفهام للإنكار والنفي، أي لا أحد أظلم منه.

وقوله: «فليخلقوا ذرة» وهذا نوع من التحدي، والمعنى: لا يفعلوا ذلك؛ لأنها مشابَهة في غير محلها؛ لأنه لا يخلق إلا الله، بدليل عدم قدرتهم على خلق ذرة وهي النملة الصغيرة، أو خلق حبة طعام صغيرة.

وقال ﷺ: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله»[٣].

أي يصنعون شيئًا يشابهون به خلق الله مما لا مجال فيه للمشابهة.

والمشابهة [المضاهاة] حاصلة بغض النظر عن النية، فلو قال قائل: أنا ألبس لباسًا خاصا بالكفار؛ لكن لا أقصد التشبه، لقلنا: حصل التشبه قصدت أو لم تقصد.

وقال ﷺ: «كل مصوِّر في النار يُجعل له بكل صورة صوّرها نفسٌ يُعذب بها في جهنم»[٤].

والمعنى أنه يُعذب في جهنم كثيرًا بسبب هذه الصور، صُور الأنفس التي صوَّرها.

---

(١) أخرجه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الأدب المفرد.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

وقال ﷺ: «من صوّر صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»(١).

أي لن يقدر على ذلك، فيكون في هذا تبكيتا وتعذيبًا معنويًا، فوق التعذيب البدني.

وقال ﷺ: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصوِّرون»(٢).

وقال ﷺ: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»(٣).

وقال ﷺ: «إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا تصاوير»(٤).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمَّوها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت»(٥).

من تأمل هذه الأحاديث وغيرها علم أن التصاوير إنما حُرمت لعلل، أهمها:

١ - مضاهاة خلق الله.

٢ - أنها مظنة لأن تعبد من دون الله.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

واعلم أن التصوير له أربع صور:

الأولى: تصوير ما له ظل، أي جسم على هيئة إنسان أو حيوان – التماثيل- وهذا مجمع على تحريمه، وأنه مضاهاة لخلق الله، وهو المقصود من أكثر الأحاديث الواردة في هذا الباب، كما سيأتي.

الثانية: الرسم باليد، صورة ذات روح، بلون أو خيط أو نحوها، فهذا محرم كذلك لأحاديث كثيرة منها حديث النمرقة – كما في صحيح البخاري – أن عائشة ﵂ اشترت نمرقة – وسادة – فيها تصاوير، لرسول الله ﷺ، فلما رآها قام على الباب فلم يدخل، قالت:فعرفت في وجهه الكراهة، فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله، وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ فقال: **ما هذه النمرقة؟ قالت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتُوسَّدَها، فقال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**».

الثالثة: التصوير الفوتوغرافي الملتقط بأشعة معينة، أو الفيديو، فهذا لم يكن معروفًا على عهد رسول الله ﷺ، وهو محل خلاف بين العلماء المعاصرين.

فقال قوم بالمنع؛ لأنه يُعد تصويرًا فيدخل في العموم.

وقال الأكثرون: إنه ليس تصويرًا؛ لأن التصوير فعل المصور، والتصوير الفوتوغرافي ذلك، ليس من فعل المصور، ولذلك لا ينسب إليه، إنما هو حبس ظل لصورة صورها الله.

ودليل ذلك: أننا لو صورنا كتابًا في آلة تصوير، فإن الصورة الخارجة لا تنسب إلى صاحب الآلة أو إلى مُشَغِّلها والمحرك لها، وإنما تنسب الصورة لصاحب الكتاب، فكذلك.

الرابعة: تصوير ما لا روح فيه، كالأشجار والبيوت، ونحوها، فالجمهور على جوازه.

❁ سابعًا: ألا نعيب شيئًا خلقه الله، أو صورة صورها الله:

لأن العيب في الصنعة عيب في الصانع، والعيب في الصورة عيب في المصور، فالإنسان إنما يُذم ويمدح، فيما كان له فيه اختيار وإرداة.

ولقد تبع النبي ﷺ رجلًا من ثقيف، حتى هرول في أثره، فأخذ ثوبه، فقال: ارفع إزارك، فكشف الرجل عن ركبتيه وقال: يا رسول الله، إني أحنف [في ساقي ميل] **وتصطك ركبتاي، فقال ﷺ: «كل خلق الله ﷻ حسن، ولم يُر ذلك الرجل إلا وإزاره إلى أنصاف ساقيه حتى مات»**[1].

❁ ثامنًا: أن يرضى العبد بهيئته التي خلقه الله عليها، وصورته التي صوره الله بها:

ومن ثمّ، فلا يحاول تغيير خلق الله في قليل أو كثير، فقد قال سبحانه عن الشيطان: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩].

فتغيير خلق الله من عمل الشيطان، ومن تعدي الإنسان على الله.

وقد قال ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، النامصات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»[2].

---

(١) أخرجه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٢) متفق عليه.

وإذا كان ذلك اللعن تعرضت له المرأة، فكيف بالرجل إذا غير خلق الله.

تاسعًا: أن ندعو الله تعالى بهذه الأسماء:

فيضع العبد بين يدي دعائه ما يناس حاجته من هذه الأسماء، وقد ورد عن النبي ﷺ في نحو ذلك أدعية كثيرة، منها:

- عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**». قَالَ: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(١).

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا، لَكَ مَحْيَاهَا وَمَمَاتُهَا، فَإِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا**». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: سَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ قَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللهِ، ﷺ(٢).

- عن سهيلُ بنُ أبي صالح، عن أبيهِ، قال: سمعتُ رجلًا من أسلمَ، قال: كنْتُ جالسًا عندَ رسولِ الله - ﷺ -، فجاء رجلٌ مِن أصحابِه، فقال: يا رسولَ اللهِ، لُدِغتُ الليلةَ، فلم أنَمْ حتى أصبحتُ، قال: «**ماذا؟**» قال: عقربٌ، قال: «**أما إنَّك لو قلت حين أمسَيْتَ: أعُوذُ بِكلِماتِ الله التَّاماتِ من شرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّك إنْ شاءَ اللهُ**»(٣).

- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا سجد فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيّ

(٢) رواه مسلم

(٣) صحيح سنن أبي داود

قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ أَنْتَ رَبِّي سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تبَارَكَ الله أحسن الخالقين**»[١].

وكان يقول ذلك عليه الصلاة والسلام بين يدي مطالبه.

(١) صحيح ابن حبان

(١٩)(٢٠) الأول، الآخِر جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** كان النبي ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: **«اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»**(١).

➢ معنى الاسمين في حق الله تعالى

(الأول) جل جلاله: هو الذي لم يسبقْه في الوجود شيء.

(الأول) جل جلاله: هو الذي لا يحتاج إلى غيره؛ فكل ما يحتاج إلى غيره ليس أولًا؛ فالمنضدة تحتاج إلى خشبة؛ إذن ليست هي الأول، والخشب يحتاج إلى أن ينبت؛ إذن ليس هو الأول، والنبات يحتاج إلى بذر؛ إذن ليس هو الأول، والبذر يحتاج إلى نبات يخرج منه؛ إذن ليس هو الأول، وهكذا كل شيء يحتاج إلى غيره لا يكون أولًا(٢).

(الأول) جل جلاله: المستغني بنفسه في وجوده.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: «الأول هو السابق للأشياء كلها... فاستَحَقَّ الأولوية؛ إذ كان موجودًا ولا شيء قبله ولا معه»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أسماء الله الحسنى، محمد راتب النابلسي بتصرّف.

(٣) شأن الدعاء.

قال الإمام البيهقي: «الأول هو الذي لا ابتداء لوجوده»[١].

إشكال:

فإن قيل: إذا كان الله هو الأول الذي ليس قبله شيء؛ فهل يعني ذلك أنه كان معطلًا عن الفعل، ثم أصبح خالقًا فاعلًا قادرًا بعد أن لم يكن[٢]؟

فالجواب: إن الله تعالى موصوف بأنه مريدٌ فعال، يفعل ما يشاء وقتما يشاء؛ فمشيئته مطلقة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج:١٥،١٦].

وقد بيّن الله ﷻ أنه قبل وجود السموات والأرض لم يكن سوى العرش والماء، كما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧].

وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذِّكْر كل شيء»[٣].

فإن قيل: وماذا كان قبل العرش والماء؟

فالجواب: أن الله قد شاء أن يوقف عِلْمَنا عند بداية المخلوقات عند العرش والماء؛ فقال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال سليمان التيمي: «لو سُئلتُ أين الله؟ لقُلْتُ: في السماء؛ فإن قال السائل: أين كان عرشه قبل السماء؟ لقُلْتُ: على الماء؛ فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟

(١) الاعتقاد.

(٢) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة للرضواني، بتصرّف.

(٣) رواه البخاري.

لقلتُ: لا أعلم»[١].

و(الآخِر)ﷻ: الباقي بعد فناء خلْقه.

(الآخِر)ﷻ: هو الذي لا انتهاء لوجوده[٢].

قال الإمام الخطابي: «فليس معنى الآخِر: ما له انتهاء، كما ليس معنى الأول ما له ابتداء»[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبَق كلَّ شيء بأوّليّته، وبَقِيَ بعد كلِّ شيء بآخِرِيَّته»[٤].

قال ابن جرير: «هوَ الأوَّل قبلَ كلِّ شيءٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ نِهَايَةٍ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ مَوْجُودٌ سِوَاهُ، وَهُوَ كَائِنٌ بَعْدَ فَنَاءِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]»[٥].

وأيْسر التعريفات واكْمَلُها لهذين الاسمين: ما عرَّفهما به النبي ﷺ حين قال: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخِر فليس بعدك شيء**»[٦].

➢ كيف نعبد اللهَ باسمه الأوّل؟

✵ أولًا: أن يعتقد العبدُ أنّ أوصافه – سبحانه – أوَّليَّةٌ بأوَّليَّةٍ ذاتة.

فلم يكتسب ﷻ وصفًا كان مفقودًا، أو كمالًا لم يكن موجودًا، كما هو الحال بين المخلوقات في اكتساب أوصاف الكمال.

---

(١) خلق أفعال العباد، للإمام البخاري.

(٢) الاعتقاد للبيهقي.

(٣) شأن الدعاء.

(٤) مدارج السالكين.

(٥) تفسير الطبري.

(٦) رواه مسلم.

❁ ثانيًا: أن يستشعر العبدُ أوَّليَّةَ الله تعالى وسبْقَه بالفضل والنِّعَم والإحسان، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣] أي: مبتَدَؤُها منه سبحانه، وهو الذي أوْصَلها إلى عبده بواسطة أو بغير واسطةٍ.

إن هذا الاستشعار يدعو إلى شُكْره سبحانه بالقلب اعترافًا بأن النِّعَم منه وحده، وباللسان ذِكْرًا وثناءً على المنعم جَلَّ جَلَالُهُ وبالجوارح تسخيرًا للنعم في طاعاته ومراضيه.

❁ ثالثًا: أن نؤمن بالقدر ونَرْضى بالقضاء؛ لأن الأول جَلَّ جَلَالُهُ هو مسبِّب كلِّ سبَبٍ:

أحيانا يقع حَدَثٌ، له سببه، وسبَبُه له سببٌ، وسببُه له سبَبٌ؛ حتى يعود ذلك إلى مسبِّب الأسباب (الأول) جَلَّ جَلَالُهُ.

وقَعَ زلزالٌ، يبحث الناسُ عن السبب؛ فإذا باضطرابات معيَّنةٍ في القشرة الأرضيَّة، جعلَ الأرض تضطرب؟ مَن أذِنَ لها بذلك؟ مسبِّبُ الأسباب (الأول) جَلَّ جَلَالُهُ.

أحيانا يتلقى الإنسان ضربًا بعصا، هل يحقد على العصا أم على الذي ضَرَبَه؟

يجب أن تعلم أن الناس جميعًا – قَوِيَّهُم وشِرِّيرَهم – إنما هم عصا بيد الله سبحانه.

لو أن مجموعة وحوش كاسرة مربوطة بأزمَّةٍ، هذه الأزمَّةُ بيد إنسان؛ فمن تخاف؟ أتخاف الوحوش، أم ممن يملك ناصيتَها؟

المؤمن يخاف من الذي يملك النواصي (الأول) جَلَّ جَلَالُهُ.

فتَصَالَحْ مع مَن بيَدِه أزمَّةُ الأمور، تصالَحْ مع مَن بيده ملكوت كل شيء (الأول) جَلَّ جَلَالُهُ.

قال تعالى على لسان نبيه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٥،٥٦].

أنت في دار الأسباب، ومأمور بفعل الأسباب المشروعة، فافعلها تُؤجَر عليها، ولكن لا تركن إليها، اركن إلى الأول قبلها، وتعلَّقْ بالآخِر بعدها.

❋ رابعًا: كن أوَّلَ الناس سبْقًا إلى الخير:

أن تعْلُوَ همَّةُ العبد فيكون أوّل الناس وأسْبَقَهم إلى ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

قال عز من قائل: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وقال تعالى عن عباده المؤمنين، كما في سورة المؤمنون: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١].

وقال تعالى عن أنبيائه المكرَّمين الذي أجاب دعاءهم وأعطاهم من فضله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

➢ كيف نعبد الله باسمه الآخِر؟

– أن نفِرَّ بقلوبنا من دار الفناء إلى دار البقاء؛ لنبقى ذاكرين اليوم الآخر مستعدّين له:

قال – عز من قائل –: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجمعة:٨].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وكان النبي ﷺ يقول لأصحابه: «إخواني، لمثل هذا فأعدُّوا»(١).

فالعاقل يعمل لله بقدر حاجته إليه، ويعمل للدنيا بقدر بقائه فيها، ويعمل للآخرة بقدر مُقامه فيها، ويعمل للجنة بقدر اشتياقه إليها، ويعمل للنار بقدر تحمُّله لها.

لكـل شـيء إذا مـا تـمَّ نقصـانُ ... فـلا يُغَـرُّ بطيـب العـيش إنسـانُ
هـي الأمـور كمـا شـاهدتها دُوَلٌ ... مَـن سـرَّه زمـنٌ سـاءتْه أزمـانُ
وهـذه الـدار لا تبقـى علـى أحـد ... ولا يـدوم علـى حـال لهـا شـانُ

➢ كيف نعبد اللهَ بالاسميْن معا؟

أولًا: إذا وجَد العبدُ في نفسه وساوسَ، أو في قلبه شكوكًا؛ فليذكر هذه الأسماءَ، وليستحضرْ معانيَها؛ فإن فيها قمعًا للوساوس المهلكة، والشكوك الفاتكة التي يُلقيها الشيطانُ في قلب الإنسان بُغيةَ إهلاكه وصرْفه عن الإيمان:

فعن أبي زُميل سمّاك بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «سألتُ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فقلتُ: ما شيءٌ أجِدُه في صدْري، قال: ما هو؟ قلتُ: والله ما أتكلّم به؛ فقال لي: أشيءٌ من الشَّكِّ؟ ما نجا من ذلك أحدٌ؛ إذا وجدتَ في نفسك شيئا فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣]»(٢).

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه، وصحّحه الألباني.

(٢) صحيح أبي داود.

ثانيًا: أن ندعُوَ الله تعالى بهذين الاسميْن؟

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يدعو بهذه الكلمات: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَا شَيْءَ قَبْلَكَ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَا شَيْءَ بَعْدَكَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ نَاصِيَتُهَا بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْكَسَلِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ، وَالْمَغْرَمِ، اللَّهُمَّ نَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي، وَبَيْنَ خَطِيئَتِي كَمَا بعَّدتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»(١).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط، وقال الحاكم: هذه حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢١)(٢٢)الظاهر والباطن جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيم، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(١).

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

(الظاهر) جل جلاله: هو الغالب الذي لا يقع شيء في الكون إلا بإرادته وإذنه.

(الظاهر) جل جلاله: هو الذي علا كل شيء دونه، ولا شيء أعلى منه.

(الظاهر) جل جلاله: هو الذي ظهَر للخلْق؛ لكثْرَة البراهين الدالَّة عليه، والدلائل المشيرة إليه، كما قال أعرابي: «إن البعر يدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير؛ فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!(٢).

ولهذا يقسم الذين كفروا وجحدوا يوم القيامة أنهم ما أشركوا، وما كفروا؛ اقرأ قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [الأنعام:٢٣،٢٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) معارج القبول، لحافظ حكمي.

(الظاهر) ﷻ: هو الذي يُظهر ما يشاء من العلوم وغيرها، ويُظهر من يشاء من عباده، كما قال تعالى عن السّر الذي أخبر النبي ﷺ به إحدى نسائه؛ فحدَّثتْ به؛ فأطْلَع الله رسولَه على ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [التحريم:٣] وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٧،٢٧] ومنه قول الله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف:١٤].

(الظاهر) ﷻ: هو الذي أظهر دينه وأعلاه، وأعلى أهله، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

و**(الباطن)** ﷻ: هو المحتجب عن أبصار الخلائق؛ فلا يُرى في الدنيا؛ لجلاله وعظَمَتِه، وإنما يُرى في الآخرة إكرامًا وجزاءً لأهل طاعته، وزيادةً في النعيم لأهل محبّته، كما قال – عز من قائل -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٣، ٢٣].

(الباطن) ﷻ: هو العليم ببواطن الأمور وظواهرها، المطّلع على السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا، ودقائق الأشياء وأسرارها[1].

➢ كيف نعبد اللهَ باسمه الظاهر؟

❋ أولًا: أن نُقبل عليه ﷻ بالكلية:

لأنه الربُّ قبل كل شيء، وهو الغالب العليُّ سبحانه، الظاهر لخلقه، القادر وحده على إظهارهم ونصْرهم، وإعزازهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «والمقصود أن التعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود، ويجعله له ربًا يقصده، وصمدًا يصمد إليه في حوائجه، وملجأً يلجأ إليه؛

---

(١) الجامع لأسماء الله الحسنى، ماهر مقدم.

فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر؛ استقامت له عبوديته، وصار له معقلٌ وموئلٌ يلجأ إليه ويهرب إليه، ويفر كل وقت إليه...»(١).

هذا الإقبال على الله سبحانه كان النبي ﷺ يعلّمه أصحابه؛ فعَنْ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا، تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»(٢).

❃ ثانيًا: أن نُظهر لربنا جل جلاله القول الجميل، والعمل الجميل، والخُلق الجميل:

فإن العبد إذا أظهر لربه ما يحب؛ أظهر ه الله تعالى وأعانه، وأيّده ونَصَره، وأحياه حياة طيبة، قال – عز من قائل –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠،٧١].

وقال سبحانه: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

➢ كيف نعبد الله تعالى باسمه الباطن؟

أولًا: أن نجمّل لله بواطننا، كما نجمّل للناس ظواهرنا:

إن البواطن محلّ نظر الرب سبحانه؛ فالعاقل الذكيُّ يعتني بإصلاحها أكثر من اعتنائه بإصلاح ظواهره.

---

(١) طريق الهجرتين.

(٢) رواه النسائي والترمذي، وصحّحه الألباني.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١].

وقال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صُوَركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأشار بأصابعه إلى صدْره»(١).

وفي رواية له: «ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وقال ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا الله هَبَاءً مَنْثُورًا» قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. فقَالَ ﷺ:: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما التعبد باسمه الباطن فإذا شهدت إحاطته بالعوالم وقرب البعيد منه، وظهور البواطن له وبدوّ السرائر، وأنه لا شيء بينه وبينها؛ فعاملْه بمقتضى هذا الشهود، وطهِّرْ له سريرتك؛ فإنها عنده علانية، وأصْلِحْ له غيبك؛ فإنه عنده شهادة، وزَكِّ له باطنك؛ فإنه عنده ظاهر»(٣).

ثانيًا: أن نجاهد أنفسنا في الوصول إلى عمق قلوبنا، ونجعله محلًا لرضا الله، وإن كان مثقال ذرة:

فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر**»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه، وصحّحه الألباني.

(٣) طريق الهجرتين.

(٤) رواه مسلم

➢ **كيف نعبد الله تعالى بالاسمين معا؟**

❋ **أولًا: أن يستشعر العبد إحاطة الله الكاملة بخلقه، ورقابته الصارمة على خلْقه:**

فإن ذلك يوجب للعبد تمام معرفةٍ، وصحَّة مراقبة؛ فمدار هذه الأسماء الأربعة على بيان إحاطة الرب – تبارك وتعالى – بخلقه، وهي إحاطتان:

زمانية ومكانية؛ فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد؛ فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته؛ فأوَّلية الله ﷻ سابقة على أوّليّة كل شيء، وآخريّته سبحانه بقاؤه بعد كل شيء؛ فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر؛ فما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده؛ فهو – جل وعلا – الأول؛ فليس شيء قبله، والآخِر؛ فليس شيء بعده، وهذه إحاطة زمانية.

وأما الإحاطة المكانية فقد أحاطت ظاهريّتُه وباطنيّته بكل ظاهر وباطنٍ؛ فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه(١).

ثانيًا: إذا وجَد العبدُ في نفسه وساوسَ، أو في قلبه شكوكا؛ فليذكر هذه الأسماءَ، ويستشعر معانيَها؛ فإن فيها قمعا للوساوس المهلكة، والشكوك المرْدية التي يُلقيها الشيطانُ في قلب الإنسان بُغيةَ إهلاكه وصرْفه عن الإيمان:

فعن أبي زُميل سمّاك بن الوليد رضي الله عنه **قال:** «سألتُ ابن عباس رضي الله عنهما فقلتُ: ما شيءٌ أجِدُه في صدْري. قال: ما هو؟ قلتُ: والله ما أتكلّم به؛ فقال: أشيءٌ من الشَّكِّ؟ ما نجا من ذلك أحدٌ؛ إذا وجدتَ في نفسك شيئا فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]»(٢).

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم بتصرّف.

(٢) صحيح أبي داود.

فَأَرْشَدَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَى بُطْلَانِ التَّسَلْسُلِ الْبَاطِلِ – أي: يأتيه الشيطان ويقول: مَن خلَق كذا؟ من خلق كذا؟... إلى أن يقول: مَن خلَق الله؟ – فَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ(١).

❋ ثالثا: أن ندعو الله بهذين الاسمين:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(٢).

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم.

(٢) رواه مسلم.

(٢٣) السميع جل جلاله

رجلان من قريش يجلسان في جوف الليل تحت جدار الكعبة، وقد هدأت العيون ونامت الجفون، أرخى الليل سدوله وشاع سكونه، قاما يتذاكران ويخططان، وظنا أن السميع البصير الحي القيوم لا يعلم كثيرًا مما يعلمون.

جلسا يتذاكران مُصابهم في بدر، فقال أحدهما وهو صفوان: والله ما في العيش خير بعد قتلى بدر، فقال له صاحبه عمير: صدقت، والله لولا دَيْن عليّ ليس له قضاء وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة لركبت إلى محمد حتى أقتله.

اغتنم صفوان هذا الانشغال، وذلك التأثر وقال: عليّ دينك، وعيالك عيالي.

فقال عمير: فاكتم شأني وشأنك لا يعلم بذلك أحد، قال صفوان: أفعل.

فقام عمير وشحذ سيفه وسمَّه سائرًا في المدينة قاصدًا قتل رسول الله ﷺ.فلما وصل المسجد، فإذا بعمر بن الخطاب في نفر من المسلمين، فقال عمر: عدو الله!!

والله ما جاء إلا لشر، فدخل عمر على رسول الله وأخبره بخبره، فقال رسول الله ﷺ: «**أدخله عليّ، ثم قال: ما جاء بك يا عمير؟ - وكان له أسيرٌ عند رسول الله ﷺ - فقال: جئت لهذا الأسير فاحسنوا به، فقال رسول الله: ما بال السيف في عنقك؟**»

قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئًا؟

فقال ﷺ: «**اصدقني يا عمير، ما الذي جاء بك؟ قال: ما جئت إلا لذلك**».

فقال ﷺ: «**بل قعدت مع صفوان في حجر الكعبة، في ليلة كذا، وقال لك كذا**

وكذا، وتعهد لك بدَينك وعيالك، والله حائلٌ بيني وبينك».

فقال عمير: «أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. ثم قال: هذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان، والله إني لأعلم أن ما أتاك به الآن إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام، فقال ﷺ: «**فقِّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا**»(١).

من الذي سمع هذه المكيدة الليلية وأخبر بها رسوله ﷺ؟

إنه السميع ﷻ، الذي يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء، فسبحانه قال وهو أصدق القائلين:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

فسمع الله تعالى ليس كسمع أحد من خلقه، فإن الخلق وإن وُصفوا بالسميع والبصير كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢**﴾ [الإنسان: ٢].

لكن هيهات أن يكون سمعهم أو بصرهم كسمع وبصر خالقهم ﷻ، فسمع الله تعالى وبصره مستغرق لجميع المسموعات والمرئيات لا يعزب عن سمعه مسموع ولا يخفى عن بصره مرئيٌ ظاهرًا كان أو باطنًا خفيًا أو جليًا.

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال: «**اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا ولكن تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا**».

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، السيرة النبوية:ابن هشام. والقصة أخرجها الطبراني في الكبير عن عروة بن الزبير وعن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة، وإسنادها جيد كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد.

والمعنى: ارفقوا بأنفسكم فلا تكفلوها برفع أصواتكم فإنه لا حاجة إلى ذلك فإن من تكبرونه سميعٌ بصيرٌ، يسمع الأصوات الخفية كما يسمع الجهرية.

معنى الاسم في حق الله:

(**السميع** ﷻ): هو الذي يسمع السر والنجوى، وسواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت»[1].

كما قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه **قال**: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي، كثيرةٌ شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢][2].

السميع ﷻ: هو الذي يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحالات فالسر عنده علانية، والبعيد عنده قريب»[3].

عن خولة بنت ثعلبة قالت: ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: **اتقي الله فإنه ابن**

---

(١) شأن الدعاء / الخطابي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) توضيح الكافية الشافية / السعدي.

عمك، فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ [المجادلة: ١، ٢]»[١].

وعن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكوا إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾[٢].

السميع ﷻ: هو الذي يستجيب لعباده إذا تضرعوا إليه بالطلب وتوجهوا إليه بالدعاء.

هو الذي يسمع نداء المضطرين ويجيب السائلين ويعطي المحتاجين ويغيث الملهوفين.

هو الذي يسمع حمد الحامدين وذكر الذاكرين ودعاء الداعين فيثيبهم عليه ويستجيب لهم ومن ذلك قول الخليل عليه السلام: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [ابراهيم: ٣٩].

فيكون السمع هنا بمعنى الإجابة والقبول، كما كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع**»[٣].

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني وانظر الإرواء.

(٣) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني.

اقتران اسم الله «السميع» باسم الله «البصير»:

كثيرًا ما يقترن هذان الاسمان «السميع» و «البصير»، وذلك يدل على الإحاطة التامة والرقابة الصارمة؛ لأنه لا يخرج شيء من هذا الكون عن جملة المسموعات والمرئيات، فسبحانه وتعالى يسمع جميع الأصوات ويرى جميع الخفيات والجليات، ومن ثم فقد أحاط بالخلق من كل وجه، يسمع كلامهم ويرى أعمالهم، لا تخفى عنه خافية، ولا تغيب عنه غائبة سبحانه.

اقتران اسم الله «السميع» باسم الله «العليم»:

فاسم الله «العليم» يزيد اسم «السميع» بيانًا وإيضاحًا، فإن صفة العلم تنبئ بتجاوز «السميع» حدود البعد المادي للمسموعات، فحصل من اقتران الاسمين صفة كمال أخري ودل بها على إحاطة أتم.

اقتران اسم الله «السميع» باسم الله «القريب»:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ: ٥].

فالله تعالى يسمع ما يصدر عن العباد وهو قريب منهم.

وكذلك حينما يتفوه الإنسان بما لا يرضي الله فإنه تعالى قادر على أخذه لا يحتاج إلى زمان حتى يصل إليه، وإنما يأخذه في أقل من طرفة عين.

➢ **كيف نعبد الله باسمه «السميع»؟**

❁ أولًا: أن نراقب الله تعالى في أقوالنا فلا نقول إلا ما يُرضي الله ولا نتكلم إلا بما يقربنا إلى الله:

فإيمان العبد بأن ربه «سميع» يورثه حفظًا للسانه وصيانة لكلامه من سبٍ أو

شتم أو سخرية أو غيبة ونميمة أو بهتان أو كذب أو نشر لباطل ونحو ذلك.

فالكلمة في الإسلام لها خطورة شديدة.

فبكلمة تدخل دين الله، وبكلمة تخرج من دين الله، وبكلمة تنال رضوان الله، وبكلمة تتعرض لسخط الله، وبكلمة تبني بيتًا، وبكلمة تهدم بيتًا!!

كم بهذه الكلمات تفرقت قلوب ونزفت دماء وقتُل أبرياء وطلقت نساء، ونهبت أموال، وقذفت محصنات!!

وكم ذي معاص نال منهن لذة ... فمات وخلاها وذاق الدواهيا

تصرَّمُ لذات المعاصي وتنقضي ... وتبقى تِباعات المعاصي كما هيا

فواسوأتا والله راء وسامعٌ ... لعبد بعين الله يغشى المعاصيا

المؤمن الذي استقر الإيمان في قلبه، قبل أن يتكلم يستشعر أن الله يسمعه، فإذا فعل ذلك وزن الحروف وحاسب نفسه قبل أن ينطق:

هل هو صدق أو كذب؟ هل هذه الكلمة يحبها الله ويثيب عليها أم يبغضها ويعاقب عليها؟ أسئلة كثيرة ينبغي أن يتساءلها العبد قبل أن يتكلم.

فالعاقبة وخيمة فتأمل:

قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، أي حافظ حاضر، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥].

وعن بلال بن الحارث ﵁ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله** ﷻ **بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط لله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب**

الله ﷻ عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه» قال علقمة: فانظر ويحك ماذا تقول؟ وماذا تكلم به؟ فرُب كلام قد منعني أن أتكلم به ما سمعت من بلال بن الحارث»(١).

وقال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار»(٢).

وعن معاذ ﷺ أنه قال: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»(٣).

❋ ثانيًا: أن نصبر على أذى الخلق:

خاصة إذا كان هذا الأذى متوجهًا إلينا من المنافقين والفاسقين، فالله تعالى يسمعهم - يسمع سبابهم وشتمهم، يسمع تهكمهم وسخريتهم، يسمع كذبهم وظلمهم وافتراءهم - ولا يخفى عليه أمرهم وسينصف عباده المؤمنين منهم عاجلًا أو آجلًا، قال عز من قائل لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه:٤٦].

وفي حديث عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، يعرض عليهم الإسلام ويرغبهم في الإيمان، وكيف آذوه وأعرضوا عنه، فأرسل الله تعالى إليه الملك قائلًا: «**إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك...**»(٤).

❋ ثالثًا: أن نلجأ إلى الله تعالى دائمًا وأبدًا في جميع حوائجنا:

لأنه تعالى وحده السميع لدعاء عباده، المجيب لهم، المفرِّج لكرباتهم.

---

(١) صحيح ابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) متفق عليه.

وهذا المعنى يُسكب في القلب الطمأنينة والأنس بالله وحسن الظن به سبحانه والرجاء فيما عنده.

وكان الأنبياء والصالحون يُقبلون على الله تعالى يرجونه يدعونه يعبدونه بهذا الاسم.

– **فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قالا وهما يرفعان قواعد البيت:** ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة:١٢٧].

-وها هو خليل الله – بعد أن رزقه الله الولد – يقول ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [ابراهيم: ٣٩].

فالسميع القريب المجيب لا يخيب من رجاه ولا يضيع من دعاه.

فإذا رجوت الولد، فتوجه إلى السميع، فهو وحده الذي يسمع ذلك.

إذا أصابك الفقر فتوجه إلى السميع، فهو وحده الذي يرفع ذلك.

إذا أصابك الضر والمرض والبلاء فتوجه إلى السميع فهو وحده الذي يملك دفع ذلك.

حين دعا يوسف عليه السلام أن يصرف عنه الله كيد النسوة اللائي تعرضن له، قال الله: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٤].

وأمرنا الله تعالى أن نلجأ إلى السميع العليم عمومًا وعند حصول التربص من الجن والإنس خصوصًا،

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

❊ رابعًا: أن ندعو الله تعالى باسمه «السميع»:

كما دعا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام قائلًا كما قال الله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ

ﭐلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

وكما دعا بذلك زكريا عليه السلام، ومريم عليها السلام كما قال سبحانه: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٨].

وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ». فَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالَجٍ فَجَعَلَ الرَّجُلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ(١).

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْن مَاجَه وَأَبُو دَاوُد وصححه الألباني.

(٢٤) البصير جل جلاله

-قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: ٢].

أي بصير بالمؤمن والكافر والصالح والطالح والمخلص والمرائي ويجزي كلا بما يستحق.

-قال تعالى:: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٤٠].

أي كل الذي يصدر منكم ولو كان نظرة أو همسة أو لمزًا أو همزًا فالله تعالى بصير به وسيجازيكم يومًا ما عليه.

-وقال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

يُنبه الله تعلى بأنه تعالى بصير بأحوال عباده خبير بها بصير بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، بصير بمن يصلحه الغنى ممن يفسده.

-وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة: ١١٠].

وعدٌ من الله تعالى ألا يضيع عنده شيء من أعمال الخير التي قدمها أصحابها لأنفسهم وأنه بصير بهم وسيثيبهم على ذلك عظيم الثواب.

-وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء: ١٧].

معنى الاسم في حق الله:

البصير جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الظاهرة والباطنة وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان الماء في أغصان الشجرة وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها ودقتها وصغرها..»(١).

وهـو البصـير يـرى دبيـب النملـة	**السوداء تحت الصخر والصَّوَّان**
ويرى مجاري القوت في أعضائها	**ويـــرى عـــروق بياضـــها بعيـــان**
ويـرى خيانـات العيـون بلحظهـا	**ويـرى كـذاك تقلـب الأجفـان**(٢)

البصير جَلَّ جَلَالُهُ: الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها ويرى دبيبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع...»(٣).

البصير جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي ينظر إلى المؤمنين بكرمه ورحمته، ويَمُن عليهم بنعمته وجنته ويزيدهم كرمًا بلقائه ورؤيته، ولا ينظر إلى الكافرين تحقيقًا لعقوبته، فهم مخلدون في العذاب محجوبون عن رؤيته، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥].، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧](٤).

---

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين: السعدي.

(٢) نونية ابن القيم.

(٣) طريق الهجرتين: ابن القيم.

(٤) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة. / الرضواني.

بل قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب»(١).

والمسبل: هو الذي يطيل ثوبه ويرسله إلى الأرض اختيالًا.

وقال ﷺ: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: أُشيمطٌ [أبيض شعر الرأس] **زانٍ، وعائلٌ مستكبر، ورجلٌ جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه»**(٢).

ومما يجب الإيمان به أنه ﷻ يبصر بعينين تليقان بجلاله وكماله، كما قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لربنا عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى وما في الأرض وما بينهما من صغير وكبير لا يخفى عليه خافية فهو تعالى يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي هو مستوٍ عليه»(٣).

قال تعالى حكاية عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، فسّر ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الآية حيث أشار بيده إلى عينيه» تحقيقًا وإثباتًا لهذه الصفة الكريمة(٤).

وفي الصحيحين قال ﷺ: «إن الله تعالى لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور (وأشار إلى عينيه) وأن المسيح الدجال أعور عينِ اليمنى»(٥).

وفيه أن هذه الإشارة ليست تشبيهًا أو تمثيلًا وإنما هي إثباتًا وتحقيقًا.

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) التوحيد لابن خزيمة.

(٤) انظر أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكائي.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

➢ **كيف نعبد الله باسمه «البصير»؟#٢٥٤#**

❊ أولًا: من عرف البصير ﷻ زيّن باطنه بالمراقبة وظاهره بالمحاسبة واستحيا من الله حق الحياء:

حين نختفي عن الناس لابد أن نتذكر أن الله بصير بنا..

حين نظن أن أحدًا من البشر لا يرانا، لابد أن نوقن أن الله يرانا..

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ [البقرة: ٢٣٣].

فإن أروع شيء، أن تطيع في خلوتك من لا تغيبُ عن بصره طرفة عين، فذلك دليلٌ على صدق إيمانك وعلامةٌ على إخلاصك..

أطعه في خلوتك كما تطيعه في جلوتك، أطعه في سرك كما تطيعه في علانيتك فإنك لا تغيب عن بصره طرفة عين.

«كان لأحد العلماء جمع من التلاميذ، وكان يخص أحدهم بمزيد من الاهتمام والعناية فسئل عن سبب ذلك فقال: سأبينه لكم، وبعد حينٍ أعطى كل واحد من تلاميذه طائرًا، وقال لكل واحد منهم: اذبح هذا الطائر حيث لا يراك أحد، فمضى كلٌ منهم إلى جهة ثم رجع إلى شيخه وقد ذبح الطائر عدا هذا التلميذ فقد رجع إلى شيخه والطائر في يده، فسأله شيخه: هل ذبحت الطائر؟

فأجابه التلميذ: لقد أمرتني أن أذبح الطائر حيث لا يراني أحد، ولم أجد موضعًا لا يراني الله فيه، فالتفت الشيخ إلى تلاميذه قائلًا: «من أجل هذا خصصته بمزيد من العناية»».

قال عزّ من قائل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ [الحديد: ٤].

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: كيف أترك معصية الله؟ قال: تذكر خمسًا إن

عملت بهن لن تقع في معصية الله، وإن زلت قدمك سرعان ما ستعود إلى الله، فقال الرجل: هاتها.

قال ابراهيم: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه!! قال كيف والأرزاق كلها بيده، قال: أما تستحي أن تعصي الله وأنت تأكل من رزقه؟

قال هات الثانية:

قال: إذا أردت أن تعصي الله فابحث عن مكان ليس في ملك الله واعص الله فيه!!

قال: كيف والأرض أرضه والسماء سماؤه والملك ملكه.. قال: وهل يُعصى الملكُ في ملكه؟ قال: هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصي الله فابحث عن مكان لا يراك فيه الله!!

قال كيف والله يسمع ويرى.. قال: أما تستحي أن تعصي الله وأنت على يقين أنه يراك.

قال: يرحمك الله هات الرابعة:

قال: إذا أردت أن تعصي الله، فإذا جاءك ملك الموت لقبض روحك، فقل له، أخرني ساعة أتوب!! قال: كيف وإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال: هات الخامسة.

قال: إذا أردت أن تعصي الله، فإذا جاءتك زبانية جهنم لتجرك إلى النار، فلا تذهب!! فبكى الرجل وعاهد نفسه على الطاعة..

إنك لو صعدت على أعلى مكان في القاهرة – مثلاُ – المقطم، لأبصرت مساكن القاهرة، لظهرت لعينيك أبنيتها وهي مضيئة تتلألأ..

ماذا بداخل هذه الأبنية؟ ماذا بداخل هذه الفنادق والشقق؟ أصلوات أم موبقات؟ أنكاح أم سفاح؟ من يبصر ذلك؟ من الذي يرى ذلك؟ من الذي يحيط به علمًا؟ إنه «البصير جل جلاله»؟

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) ﴾ [الإسراء: ١٧].

-«راود رجلٌ امرأة ليلًا فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب؟ قالت: فأين مكوكبها؟

-أَكره رجل امرأة على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب، وقال: هل بقى باب لم يغلق؟ قالت: نعم الباب الذي بيننا وبين الله، فلم يتعرّض لها.

-رأى بعض العارفين رجلًا يكلم امرأة، فقال: إن الله يراكما سترنا الله وإياكما»(١).

إذا دعتك النفس لريبة ... والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني

❁ ثانيًا: من عرف أن الله تعالى «بصير» غض بصره عن محارم الله:

قال الربيع بن خثيم: إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا نظرت فاذكر نظر الله إليك، وإذا هممت فاذكر علم الله بك، وإذا تفكرت فانظر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) ﴾ [الإسراء: ٣٦](٢).

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها / ابن رجب الحنبلي.

(٢) صفة الصفوة / ابن الجوزي.

ما خلق الله لك عينيك لتنظر بهما إلى العاهرات الفاجرات أو الكاسيات العاريات!

سَمّى الله تعالى العينين بالكريمتين ففي الحديث الإلهي، قال الله تعالى: «**إذا سَلَبتُ من عبدي كريمتيه، ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة**» **وفي رواية**: «**لم أرض له ثوابًا إلا الجنة**»(١).

فهاتان الكريمتان لا يُنظر بهما إلى الحرام، بل يُنظر بهما إلى عظيم خلقه وسعة كونه، وصفحات كتابه.

سئل الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «بم يستعان على غض البصر؟» – فالأمر شاق والفتن كثيرة وخطافة، في الطرقات والمدارس والجامعات والمصالح الحكومية وغيرها – قال: «بعلمك أن الله ينظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه»(٢).

✵ ثالثا: من عرف الله «البصير» أحسن عبادته لله وأخلص فيها لمولاه:

تأمل الموظّف حينما يكون المدير قائمًا عليه، كيف يكون اجتهاده وإنجازه وإتقانه؟

العبد في جميع أحواله بمرأى ومسمع من الله تعالى، فكيف يكون اجتهاده وإتقانه؟

فإذا عبَد الله، اجتهد أن تكون العبادة من صلاة وغيرها كأحسن ما تكون.

وإذا عمل عملًا دنيويًا في تجارة أو وظيفة لا يعتبر أن القضية هي رقابة المسئول عنه، وإنما يدرك رقابة الله عليه ونظر الله إليه.

---

(١) انظر صحيح الجامع.

(٢) كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلي، وإحياء علوم الدين.

-إن معايير الجودة الشاملة تتحقق في العمل الدنيوي أو الوظيفي أو العائلي أو التعبدي، حينما يستشعر المؤمن أنه لا يغيب عن ربه لحظة ولا طرفة عين ولا أقل من ذلك(١).

وهذا هو معنى قول النبي ﷺ حينما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان. «**قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(٢).

✓ تصلي كأنك تراه، تصوم كأنك تراه، تخرج زكاة مالك وكأنك تراه، تؤدي مناسك الحج والعمرة وكأنك تراه، تذكر الله وكأنك تراه، تُبرّ والديك، وتصل رحمك، وتحسن إلى جارك، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الله، وكأنك تراه.

إذا استشعر العبد هذا المعنى ضَبط الظاهر والباطن؛ لأن الله ينظر إليه.

فإن لم يفعل العبد ذلك – إن لم يقم بالعبادة وكأنه يرى الله – فلا أقل من أن يعبده على سبيل المراقبة «فإنه يراك».

❋ رابعًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه «البصير»:

كما دعا بذلك موسى عليه السلام حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٥-٣٦].

وكما قال مؤمن آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ

(١) مع الله: سلمان العودة، بتصرف.

(٢) رواه مسلم.

إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر: ٤٤، ٤٥].

وكأن يقول العبد: اللهم يا بصير نوِّر لي بصري وبصيرتي واقض لي حاجتي.

(٢٥)(٢٦)الوليُّ – الموْلَى جَلَّ جَلَالُهُ

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨] وقال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٩] وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال:٤٠].

معنى الاسمين في حق الله:

(الولي) جَلَّ جَلَالُهُ: المتولي للأمر، والقائم به كولِيِّ اليتيم، ووليِّ المرأة في عقْد النكاح عليها[١].

(الوليُّ) جَلَّ جَلَالُهُ: المتولي لأمور خلْقه، القائم على تدبير مُلْكه الذي يُمسك السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ﴾ [الحج:٦٥] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾ [الرعد:٣٣].

وولايةُ الله لعباده على وجهين:

الوجه الأول: الولاية العامة، وهي تولّيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لشؤون سائر عباده وتكفُّله بأرزاقهم، وتدبيره لأحوالهم، وتمكينهم من الفعل والاستطاعة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي.

الوجه الثاني: الولاية الخاصة، وهي توَلّيه سبحانه وتعالى لشؤون عباده الصالحين، بالمحبة والتوفيق والنصرة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة:٢٥٧].

قال ابن حبان: «الله ولي الذين آمنوا: نصيرُهم وظهيرُهم، يتولاهم بعوْنه وتوفيقه، يُخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان»[١].

وقال الزجَّاج: «وهو تعالى وليُّهم بأنه يتولى نَصْرَهم وإرشادهم كما يتولَّى ذلك من الصبيِّ وليُّه، وهو يتولَّى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم»[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف:١٩٦].

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذِكْرُه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد للمشركين من عَبَدَة الأوثان: إن وليّي ونصيري ومُعيني وظهيري عليكم: اللهُ الذي نزَّل الكتاب عليَّ بالحق، وهو يتولى من صلح عملُه لطاعته من خلْقه»[٣].

أما (المولى) جل جلاله: فهو الذي يَركن إليه الموحِّدون، ويعتمد عليه المؤمنون في الشدة والرخاء، والسراء والضراء؛ ولذلك خصَّ الولاية هنا بالمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [محمد:١١] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال:٤٠] وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة:٥١][٤].

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) تفسير الأسماء الحسنى.

(٣) تفسير الطبري.

(٤) الأسماء الحسنى للرضواني.

فالفرق بين الوليِّ والمولى: ان الوليَّ غالبا ما يدلُّ على الولاية العامة، والمولى غالبا ما يدل على الولاية الخاصة.

➢ كيف نعبد الله تعالى باسمَيْه «الوليِّ» و «المولي»؟

❋ أولًا: أن يجاهد العبدُ نفسه في طاعة وليّه ومولاه ﷻ

فالمؤمن لا يعصي لوليِّه أمرًا ولا يردُّ لمولاه خبرًا، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

❋ ثانيًا: ألا يُشرك العبدُ بوليّه أحدا في ولايته:

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعام:١٤] أيسوغ عقلًا أن أتَّخذ غير الله وليًّا يتولى أمري، ويرعى حالي، ويتعهَّد شأني، وغيره تعالى لا يملك مثقال ذرَّة في السماوات والأرض؟ وربُّ العالمين – سبحانه – هو فاطر السماوات والأرض؛ يرزق عباده ويتولاهم، وهو غنيٌّ عنهم؟!

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت:٤١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾ [الكهف:٥٠].

❁ ثالثًا: أن تُحب المؤمنين وتواليهم، وتكره الكافرين وتعاديهم:

فالمؤمن يحب المؤمنين ويواليهم، ويكره الكافرين ويعاديهم؛ متعبدا بذلك لله ﷻ الذي يحبّ المؤمنين ويواليهم، ويكره الكافرين ويعاديهم.

فمن أراد أن يعلم هل هو من أولياء الله أم لا؛ فلينظر كيف ولاؤه لمن والاه، وكيف عدواتُه لمن عاداه.

والموالاة هي المحبة والقرْب والنُّصرة، ورعاية المصالح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥، ٥٦].

فالمؤمنون يحبون الله، وينصرون دينه، ويحبون الرسول، وينصرون سنَّته، ويحب بعضُهم بعضا، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٢].

وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثَل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهَر والحمّى»(١).

وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا وشبَّك بين أصابعه»(٢).

وقال ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوما؛ فكيف ننصره ظالما؟ قال: تحجزه - أو تمنعه - من الظلم؛ فإن ذلك نصْرُه»(٣).

وعن عمرو بن العاص أنه قال: «سمعْتُ النبي ﷺ جهارًا غير سرّ يقول: إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي؛ إنما وليّي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رَحِمٌ أبلّها

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

ببلالها[١]». أي: أَصِلُها.

وفي المقابل يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة:١].

قال القرطبي: «يجب على المؤمنين قطْعُ ولاية الكافرين، وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران:٢٨] وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة:٥١].

أي: لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء تنصرونهم وينصرونكم، تؤاخونهم وتعاشرونهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في ترْك موالاة أعداء الدين مطلقًا.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: «إن لي كاتبا نصرانيا؛ فقال: ما لك قاتلك الله! أما سمعْتَ الله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:٥١] ألا اتَّخذْتَ حنيفًا؟! قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابتُه، وله دينُه؛ قال: لا أكْرمُهم إذ أهانهم الله، ولا أُعزّهم إذ أذلَّهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله»[٢].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

❊ رابعًا: أن تُحسن فيما ولّاك الله:

فيجب على مَن ولّاه الله على عمل، أو على قوم، أو على شيء أن يُحسن فيما ولّاه الله، وأن يكون مراقبا لله، وألا يُضَيِّع ما تحته من أمانات، يقول ﷺ: «**ما من أمير يلي أمْر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح؛ إلا لم يدخل معهم الجنة**»(١).

ويقول ﷺ: «**مَن ولِيَ من أمور المسلمين شيئا فاحتَجَب دون خَلَّتهم وحاجتهم وفقْرهم؛ احتَجَب الله عنه يوم القيامة دون خَلّته وحاجته وفاقته وفقره**»(٢).

وقال ﷺ: «**اللهمّ من وَلِيَ من أمْر أمَّتي شيئا فشَقَّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولِيَ من أمر أمتي شيئا فرَفَق بهم؛ فارفُق به**»(٣).

وقال ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكْمهم وأهليهم وما وُلُّوا**»(٤).

وقال ﷺ: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيّته...**»(٥).

وقال ﷺ: «**ما من عبد استرعاه الله رعيَّة ولم يحطها بنُصحه؛ إلا لم يجد رائحة الجنة**»(٦).

وقال ﷺ: «**من وَلِي من هذه البنات شيئا؛ فأحسَن إليهن كُنَّ له سترا من النار**»(٧).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود، وانظر الصحيحة، وصحيح الجامع.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه البخاري.

(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد، وصحّحه الألباني.

❁ خامسًا: أن نطمئن بالله، ونثق في الله، ونتوكّل على الله:

فمن عرَف أن الله وليُّه ومولاه وناصرُه كيف لا ينام قريرَ العين هادئ البال؟ كيف لا يطمئن بالله، ويثق في الله، ويتوكل على الله؟ وإذا حصَل ذلك؛ حصَل الرضا بما قضاه الله.

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١].

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا سفيان قال يوم أحد: إن لنا العزّى ولا عُزَّى لكم؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا تُجيبوه؟**» قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قولوا: **الله مولانا، ولا مولى لكم**»(١).

وتأمَّلْ قوْل الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه عبد الله -يوم الجمل-: «يا بني، إن عجزت عن شيء منه – الدَّيْن – فاستعِن عليه بمولاي، قال: فوالله ما دريْتُ ما أراد، حتى قلْتُ: يا أبت، من موْلاك؟ قال: الله؛ فوالله ما وقعْتُ في كربة من دَيْنِه إلا قلْتُ: يا مولى الزبير، اقْضِ عنه ديْنَه فيقضيه...»(٢).

❁ سادسًا: أن نكون أولياء لله:

الوليُّ: هو العارف بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته، المبتعد عن معصيته.

قال القُشَيريُّ: «الوليُّ: هو من تَوالتْ طاعاتُه من غير أن يتخلّلها عصيانٌ»(٣).

فوليُّ الله ليس كما يصوّره الجاهلون أنه الدرويش الأبله المنسحب من صخَب

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) لطائف الإشارات.

الحياة إلى صومعته؛ إنما وليُّ الله المجاهدُ في بحار الحياة المتلاطمة الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم، ويأخذ بأيدي الخلق إلى الحق، بعيدا عن أجواء الباطل.

فليست الولاية منصبا من المناصب يحتلُّه مبتدعة وجهَّال الصوفية، وليست حِرْفةً لعمَل الموالد وجلْب الأموال؛ إنما الوليُّ هو من يلتزم أوامر الله حق الالتزام في سائر الميادين، كميدان الاجتماع، والسياسة، والإدارة، والاقتصاد، والتربية، والتعليم، وغيرها.

ماذا يُعطي اللهُ لأوليائه؟

الجواب:

١- لا خوف عليهم ولا حزْن، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] أي: لا يخافون من المستقبل ولا في الآخرة؛ لأن الله تعالى حافظُهم ومتولّيهم، ولا يحزنون في هذه الدنيا على شيء؛ لأن الله تعالى يختار لهم الاحسن، ويُصلح شؤونهم.

٢- يُخرجهم من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة:٢٥٧] يخرجهم الله تعالى من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الفسوق والعصيان، إلى نور الهداية والإيمان.

٣- يتولّاهم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦].

لما قيل لعمر بن عبد العزيز وهو بمَرَضه: «تركْتَ أولادك الثلاثة عشر فقراء، لا دينار لهم ولا درهم؛ قال: لم أمنعهم حقا لهم، ولم أُعطهم حقا لغيرهم، وإنما ولدي أحد رجلين: إما مطيعٌ لله؛ فالله يكفيه، وهو يتولى الصالحين، وإما عاصٍ لله؛ فلا أبالي علام وقَع»(١).

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيثمي.

كيف يُحصِّل العبدُ ولاية الله؟

١- بالإيمان والتقوى، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

فكلُّ مؤمن تقيٍّ هو لله تعالى وليٌّ، وتمام التقوى أن يتقي اللهَ العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرَّة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا[١].

٢- المحافظة على النوافل بعد الفرائض.

كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب عبدي إلي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه؛ فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجْله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيتُه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه...»[٢].

والمعنى: أنه إذا كان وليًّا لله ﷻ فالله يحفظه ويسدّده ويوفقه؛ حتى لا يسمع إلا ما يُرضي مولاه، ولا ينظر إلا إلى ما يحبه مولاه، ولا تبطش يداه إلا فيما يُرضي الله، ولا تمشي قدماه إلا إلى الطاعات؛ فهو مُوَفَّق مُسَدَّد مهتَدٍ مُلْهَم من المولى ﷻ[٣].

❋ سابعًا: أن ندعو الله تعالى بهذين الاسمين:

فقد علَّمَنا الله تعالى في كتابه أن ندعوه بهذا الاسم، قال تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥] ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء:٧٥].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) غاية المنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، إبراهيم عبد المنعم الشربيني.

وعلَّمنا النبي ﷺ دعاء الوتر، وفيه: «اللهم اهدني فيمن هديْتَ، وتولَّني فيمن تولَّيْتَ...»(١).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها؛ أنت وليُّها ومولاها...»(٢).

ومن دعائه: «اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله، ثبِّتْني حتى ألقاك»(٣).

وفي رواية: «يا وليَّ الإسلام وأهله، مسِّكْني بالإسلام حتى ألقاك»(٤).

---

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم، وسنده صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وانظر الصحيحة.

(٤) الصحيحة.

(٢٧) النصير جل جلاله

-قال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

-**قال ابن القيم** رحمه الله: «أي متى اعتصمتم به تولاكم ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان وهما العدُوّان اللدودان اللذان لا يفارقان العبد وعداوتهما أضر من عداوة العدو الخارج، فالنصر على هذا العدّو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصرة على العدوّ بحسب كمال الاعتصام به»[١].

-**وقال تعالى**: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠].

-أي أيقنوا أيها المؤمنون أن الله ناصركم على عدوكم، فالله نعم المولى لِمن والاه ونعم الناصر لمن نصره، فمن والاه فاز، ومن نصره انتصر»[٢].

-**وقال تعالى**: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

-**وقال تعالى**: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٥٠].

معنى الاسم في حق الله:

(النصير) جل جلاله: هو الذي ينصر رسله وأنبياءه وأولياءه وعباده **الصالحين** في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) المختصر في التفسير: بتصرف.

(النصير) جل جلاله: هو الذي يؤيد بنصره من يشاء متى شاء كيف يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣﴾ [آل عمران: ١٣]، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الروم: ٥].

فسبحانه ينصر من يشاء متى شاء كيف يشاء، ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣٠].

فالريح من جند الله هزمت الأحزاب وكانت نصرًا للمؤمنين، والنار من جند الله كانت بردًا وسلامًا على إبراهيم وكانت غيظًا على الكافرين، والبحر من جند الله سخره لموسى ومن معه، وأغرق فرعون اللعين.

(النصير) جل جلاله: هو الذي لا غالب لمن نصره ولا ناصر لمن خذله، كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

(النصير) جل جلاله: هو الذي ينصر المستضعفين، ويرفع الظلم عن المظلومين ويجير المضطرين، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج: ٣٩].

➢ كيف نعبد الله باسمه «النصير»؟

❃ أولًا: يجب أن نعتقد يقينًا أن الله تعالى ناصرٌ دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين:

وأن التمكين للإسلام في الأرض سيتم بِعزِّ عزيز أو بذل ذليل، وعدُ الله، ولن يُخلف اللهُ وعده.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾ [الصف:٨-٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر: ٥١].

وقال ﷺ: «إن الله زَوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها»[١].

وقال ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدرٍ ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًا يعز الله به الإسلام وذلًا يذل الله به الكفر»[٢].

وقال ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا[٣] **ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»**[٤].

ومن ظن خلاف ذلك فقد ظن بالله ظن السَّوْء، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥)﴾ [الحج: ١٥].

أي فليمدد بحبل إلى سماء بيته ثم ليختنق به بقطع نفسه عن الأرض ثم لينظر هل يُذهب ذلك ما يجده في نفسه من الغيظ، فالله ناصر نبيه ودينه شاء المعاند أم أبى[٥].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

(٣) يعضّ بعض أهله بعضًا كعض الكلاب (مرقاة المفاتيح).

(٤) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

(٥) المختصر في التفسير.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن ظن بأنه لا يَنصر رسوله ولا يُتم أمره ولا يؤيده، وأنه لا ينصر دينه وكتابه فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يُذل حزبُه وجنده وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله»(١).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واليوم وإن كان المسلمون مصابين بضعف شديد والأعداء يتربصون بهم الدوائر، هذه الحالة أوجدت من بينهم أناسًا ضعيفي الإيمان ضعيفي الرأي والقوة والشجاعة، يتشاءمون بأن الأمل في رفعة الإسلام قد ضاع وأن المسلمين إلى ذهاب واضمحلال فهؤلاء قد غلطوا أشد غلط، فإن هذا الضعف عارض له أسباب وبالسعي في زوال أسبابه تعود صحة الإسلام كما كانت وتعود إليه قوته التي فقدها منذ أجيال وما ضعف المسلمون إلا لأنهم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ..»(٢).

فينبغي أن نشيع روح التفاؤل عمومًا وفي مثل هذه الأوقات القاسية خصوصًا، وأن نوقن بأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا.

فقد أتى خبَّاب بن الأرت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مكروب النفس محزون الصدر من شدة ما لاقى من المشركين فوجد النبي ﷺ متوسدًا بُردةً له في ظل الكعبة، فقال: يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعوا الله لنا؟ فقعد النبي ﷺ وقد احمرَّ وجهه فقال: «**لقد كان من قبلكم ليُمشّط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مِفرق رأسه فيُشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى**

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد.

(٢) وجوب التعاون بين المسلمين.

حضرموت[١] ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[٢].

لكن قد يتأخر النصر:

▪ **ابتلاءً وامتحانًا وتمحيصًا لهم كما قال تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٣].

وقد يتأخر النصر بسبب انتشار الذنوب والمعاصي والمجاهرة بها مع قلة التوبة والاستغفار، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «.... **ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط عليهم عدوًا من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم**»[٣].

انهزم المسلمون في أحد، وسَمَّى الله ما وقع لهم مصيبة (**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**) [آل عمران: ١٦٥].

خالفت مجموعة صغيرة من الرماة – لا تتعدى الخمسين رجلًا من جيش قوامه سبعمائة مقاتل – خالفوا أمر النبي ﷺ، فكانت سببًا للهزيمة، ولم يشفع لهم وجود رسول الله ﷺ بينهم وفي صفوفهم، بل أصابه من شظايا هذه الهزيمة فكُسرت رباعيته، ووقع في كمين، وشُجَّ رأسه ﷺ.

ولما تساءل المسلمون: كيف ننهزم ونحن على الحق وهم على الباطل؟ فجاء الجواب من السماء: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، فتعلم المسلمون الدرس وعرفوا

---

(١) صنعاء: عاصمة اليمن، حضرموت: موضع بأقصى اليمن.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع.

سنة الله وفهموا أن الله تعالى يعامل هذه الأمة كجماعة واحدة وجسد واحد[1].

▪ وقد يتأخر النصر، لأن الله قد علم أن هؤلاء لو انتصروا لن يقوموا بتكاليف الانتصار من إقامة حكم الله في الأرض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الصلاة ونحو ذلك، وهذا مما يُفهم من قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

❋ ثانيًا: إذا أردنا أن ينصرنا الله يجب أن نأخذ بأسباب النصر والتمكين:

إن سؤالًا حائرًا يتبادر على ذهن كثير من المقهورين المغلوبين على أمرهم، أو على ذهن أولئك الذين أُخرجوا من ديارهم بغير ذنب جنَوه سوى أنهم قالوا: ربنا الله!!

ولم يشفع لهم ضعفهم عند عدوهم كي يرحمهم، أو لدى الإنسانية كي تنظر إليهم بعين العطف فتستجيب لأنينهم ودموعهم!! ودمائهم!!

وقد يتردد هذا السؤال على ألسنة كثير من المسلمين وهم يرون الصراع بين الحق والباطل قد بلغ أشدَّه وأن ملل الكفر قد جمعت كل إمكاناتها ضد عدوٍّ واحد ألا وهو الإسلام وأهله ودعاته الصادقون!!

متى نصر الله؟

هذا السؤال لهج به الصحابة، خير الناس وهم في صحبة سيد الناس، يوم اجتمعت عليهم الأحزاب من فوقهم ومن أسفل منهم وبلغت القلوب الحناجر وظن بعضهم بالله الظنونا ونزل في ذلك قول الله تعالى:

---

(١) متى نصر الله؟ / إيهاب فتحي عاشور.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)﴾ [البقرة: ٢١٤].

أفادت الآية أن الجنة هي الغاية، وأن النصر سبيل للوصول إلى تلك الغاية، فالنصر لا معنى له في هذه الدنيا إلم يوصل إلى نصر الآخرة والفوز بها.

عودٌ على بدء:

متى نصر الله؟

أجاب الله تعالى على هذا التساؤل بكلمات قلائل لكنها ضياء لمن أراد النصر على سائر الأعداء – الداخلية (النفس والدنيا والهوى والشيطان) وكذلك الخارجية – المحارِبة للدين والإنسانية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾ [محمد: ٧].

والمعنى: ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا دين الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإخلاص له في العبادة والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموالاة المؤمنين ونصرتهم ومعاداة الكافرين، ينصركم على أعدائكم ويعزِّكم ويُعد إليكم مجدكم ويجعل العاقبة لكم.

فنصر المؤمنين لله كما قال الإمام الشنقيطي – عليه رحمة الله –: «نصرهم لدينه ولكتابه وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمة الله هي العليا وأن تقام حدوده في أرضه وتُمتثل أوامره وتُجتنب نواهيه....»(١).

كم أضاع أكثر الإسلاميين أعمارًا في مطالبة الحكومات بتقنين الشريعة

---

(١) أضواء البيان.

وتطبيقها قبل أن يقوموا هم بواجبهم تجاه تحكيمها والتحاكم العام لها، الشامل لصحة الاعتقاد والاحتكام لأحكام الحلال والحرام، مع التحلي بمكارم الأخلاق التي بُعثت الرسل لتتميمها والعمل على نشرها.

نحن أمام دعوة لا خيار فيها، وشرطٍ لا مناص عنه، إذا أردنا الفوز بالنصر في الدنيا والآخرة، أن نطبق شريعة الله ونقيم دين الله في أنفسنا وأهلينا ومن وُلينا.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

«**القويّ**»: قادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينصر الحق ويُبطل الباطل ويزيله بلا أسباب فهو الذي يقول للشيء: كن فيكون، ولكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

«**عزيز**»: اقتضت حكمته ومشيئته وعزته أن نأخذ بأسباب النصر والتمكين حتى ينصرنا ويُمكن لنا.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

فهل يعي هذا المسلمون؟!! فيتركون الالتجاء إلى الشرق والغرب، طلبًا للقوة والنصرة، ويلجئون إلى الله القوي العزيز القدير النصير!!

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله القبلة ثم مَدّ يديه فجعل يهتف بربه «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني،**

اللهم إن تُهلك هذه العِصابة من أهل الإسلام لا تُعبدْ في الأرض» فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبلًا القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربَّك، فإنه سيُنجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩]»[(١)].

فانظر إلى النبي ﷺ وهو الموعود من ربه بالنصر، قام بالأسباب المقدور عليها وألح على ربه بالدعاء فجاء النصر.

وقد روى البخاري أن قريشًا في صلح الحديبية ألزمت رسول الله ﷺ بأشياءَ لم يرغب فيها عمر رضي الله عنه، فقال للنبي ﷺ ألستَ نبيَّ الله حقًا؟

قال: بلى.

قال: فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذًا؟

قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قال: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟

قال: بلى لكن هل أخبرتك أنا سنأتيه هذا العام؟

فقال: لا.

قال: فإنك آتيه ومطوِّف به.

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبيَّ الله حقًا؟ فقال أبو بكر: بلى، قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قال: فلم نعطي الدنية في ديننا؟

---

(١) متتابعين.

قال: أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسِك بِغرزِه، تنجو، فوالله إنك على الحق، قال: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى، أفأخبرك أنك ستأتيه هذا العام؟

قال: لا. قال: فإنك آتيه ومطوِّف به»(١).

أرسل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتابًا إلى سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: «لا يغرنك من الله أن قيل: خال رسول الله وصاحب رسول الله، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ منذ بُعث إلى أن فارقنا فالزمه. فإنه الأمر، هذه عظتي إياك إن تركتَها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين»(٢).

ألا وإن من أعظم أسباب النصر: اجتماع كلمة المسلمين ونبذ الفرقة والتنازع:

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥]. في الدنيا والآخرة.

ولا تجتمع كلمة المسلمين حتى يجتمعوا على تطبيق هذا الدين في أنفسهم وبين بعضهم البعض، وتقصير الناس في أجزاء من هذا الدين يؤدي إلى الفرقة والتنازع.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: ١٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير.

ومما يجب التنبيه عليه أن غاية المؤمن أن يعمل، لا أن يرى النصر، بل قد تراه الأجيال بعده، وخير شاهد على ذلك قصة الغلام والساحر -التي رواها الإمام مسلم في صحيحه- حيث أسلم الناس، لما ضحى الغلام بنفسه، فوقع النصر بعد موته، وكان ما فعله تثبيتًا للناس في أن ما دعاهم إليه هو الحق ووقع ما يخشاه الملك من إيمان الناس إيمانًا حقًا أُدخلوا لأجله في الأخاديد المضرمة بالنيران فصبروا واقتحموا.

إشكال أجاب عنه الله:

ماذا لو أن الناس لم يغيروا ما بأنفسهم، ولم ينصروا دين الله؟

هل معنى ذلك أن نصر الله لن يأتي؟

الجواب: كلا فلابد أن يتحقق نصر الله، ولكن يستبدل الله هذا الجيل بجيل آخر يحبهم ويحبونه ينصرون دين الله فينصرهم الله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم (٣٨)﴾ [محمد: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ [التوبة: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

❋ ثالثًا: أن ننصر المظلوم ونقف بجوار المستضعف:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا، فكيف نصره ظالمًا؟ قال: تأخذ

فوق يديه»(١).

وقال ﷺ: «ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن يُنتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلمًا في موطن يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»(٢).

❁ رابعًا: دعاء الله تعالى باسمه «النصير»:

ذكر الله تعالى دعاء المؤمنين بهذا الاسم في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل»(٣).

وكان من دعائه: «وانصرنا على من عادنا»(٤).

وكان من دعائه: «وانصرني على من ظلمني»(٥).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) صحيح أبي داود.

(٤) صحيح الترمذي.

(٥) رواه الحاكم وانظر الصحيحة.

(٢٨)العفوُّ جل جلاله

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩] والمعنى: فليكن العفو من أخلاقكم، لعل الله أن يعفو عنكم.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج:٦٠].

أي: كان ينبغي أن يحصُل العفو من ذلك الجاني المعتدي البادئ؛ حتى يعفو الله عنه.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة:٢] وذلك في الذين يظاهرون من نسائهم؛ فقد شرع الله لهم الكفارة، ليعفو عنهم، ويغفر لهم.

وقال تعالى: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣] أي: مِن عفْوه سبحانه وتعالى سهَّل لكم دينكم، ولم يجعل عليكم فيه من حرج؛ فشرَع المسْح على الخفين والجوربين بدلًا من غسل الرجلين؛ إكرامًا منه ورخصة.

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(العفوّ) جل جلاله: هو الذي يعفو عن الذنوب، ويترك العقوبة عليها.

(العفوّ) جل جلاله: هو الكثير الصَّفْح عن ذنوب عباده إلى ما لا نهاية؛ فهو – جل وعلا – يتجاوز عن الذنوب، ويزيل آثارها بالكلية؛ فلا يطالب بها العباد يوم القيامة، ويمحوها من ديوان الكرام الكاتبين، بل وينسيها من قلوبهم؛ كي يخجلوا عن تذكّرها.

قال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩] ويثبت مكان كل سيئة حسنة.

قال سبحانه: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ [الفرقان:٧٠][١].

(العفوّ) ﷻ: «الواضع عن عباده تَبِعات خطاياهم؛ فلا يستوفيها منهم، وذلك إذا تابوا واستغفروا، أو تركوا لوجهه أعظم مما فعلوا؛ فيكفِّر عنهم ما فعلوا بما تركوا...»[٢].

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥].

(العفوّ) ﷻ: هو الذي يقبل العفو، أي: اليسير السهل.

إذًا: العفْوُ في حق الله تعالى له معنيان:

الأول: المحْوُ والإزالة؛ فسبحانه وتعالى يمحو السيئات، ويزيل العثرات، ويعفو عن الكثير من الزلل، قال عز من قائل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥].

وهو العفوُّ فعَفْوُه وسِعَ الورَى ... لولاه غار الأرض بالسكان

وقال – عز من قائل –: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

الثاني: الفضل؛ فسبحانه يقبل القليل، ويعطي عليه الكثير، ويهب الفضل الجزيل، يبتدئ عباده بالنعم قبل استحقاقها.

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى للرازي.

(٢) الأسماء الحسنى للبيهقي.

الفرق بين العفو والغفور:

العفُوُّ: هو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغُ؛ فإن الغفران يُنبئُ عن السّتْر، والعفو ينبئ عن المحْو، والمحْو أبلغُ من السّتْر(١).

وقولهم في الدعاء: اللهم إني أسألك العفو والعافية، أي: ترك العقوبة، والسلامة(٢).

وقيل: «إن العفْو يكون عن ترْك الواجبات، والمغفرة عن فعل المحرمات»(٣).

وهذا كله عند الاقتران، أما عند الانفراد فإن كلا منهما يتناول معنى الآخَر.

➢ **كيف نعبد الله باسمه العفوّ؟**

كيف يحصل العبد على عفْو الله؟

❁ أولًا: أن نتخلَّق بخلق العفو:

فالعفو صفة من صفات رب العالمين، وخُلُق كريم من أخلاق النبيين والصالحين، وأمّتنا الإسلامية أحوج إلى العفو من حاجة الظمآن إلى الماء، والمريض إلى الدواء؛ لأن الانتقام – الذي هو عكس العفْو – كم جَرَّ من ويلاتٍ، وكم فرّق من جماعات، وكم هيّج من عداوات!

وحقيقة العفْو: أن يكون للإنسان حقٌّ من قصاص أو غرامة، أو نحو ذلك من أمور معنوية؛ فيتنازل عن ذلك، ويتجاوز ويعفو وقد يُحسن.

قال تعالى آمرًا نبيه ﷺ أن يعفو عن زلات المؤمنين، ويتجاوز عن أخطائهم:

---

(١) المقصد الأسنى للإمام الغزالي.

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني.

(٣) شرح الواسطية للعثيمين.

﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة:١٣]

وقال تعالى وهو يَصِف عباده المتقين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣، ١٣٤].

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران:١٣٤] يدخل في ذلك: العفْو عن كل من أساء إليك بقوْلٍ أو فِعْلٍ، وهذا إنما يكون ممّن تخلّق بالأخلاق الجميلة، وتخلّى عن الاخلاق الرذيلة، وتاجر مع الله سبحانه.

وقال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠].

في هذه الآية إشارةٌ إلى أن أجر الله على العفو أكبر من أن يأخذ العبدُ حقّه في الدنيا، أو ينتقم؛ فالعبد الأبيُّ يعامل الخلق بما يحبّ أن يعامله الله به؛ فمن أحبّ أن يغفر الله له فليغفر، ومن أحبّ أن يعفو الله عنه فليعف، ومن أحبّ أن يسامحه الله فليسامح.

وثمَّة إشارة مهمة كذلك في هذه الآية، وهي أن «شرْطَ الله في العفو: الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

وذلك لأن الجزاء من جنس العمل.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للعلامة السعدي.

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾ [النور:٢٢].

وقد نزلَتْ هذه الآيةُ في الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حلف ألا يُنفق على مِسطح بن أثاثة – وكان من ذوي رحمه الفقراء – بعد أن خاض مع الخائضين في حديث الإفك، ونزل القرآن ببراءة الصّدّيقة؛ فأنزل الله هذه الآية يعاتب فيها أبا بكر﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور:٢٢] فعند ذلك قال الصّدّيق: بلى والله؛ إنا نحب أن يغفر الله لنا، ثم أعاد على مِسطح ما كان يُنفقه عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

وقال تعالى في معرض الكلام عن المشاكل الزوجية وما تؤدي إليه من طلاق وحقوق: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة:٢٣٧].

وقال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

جمعَتِ الآيةُ صنوفَ الخير وقواعدَ الأخلاق؛ حتى قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ، تَضَمَّنَتْ قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ فِي الْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ. فَقَوْلُهُ: (خُذِ الْعَفْوَ) دَخَلَ فِيهِ صِلَةُ الْقَاطِعِينَ، وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، وَالرِّفْقُ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُطِيعِينَ وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) صِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَتَقْوَى اللهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَغَضُّ الْأَبْصَارِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِدَارِ الْقَرَارِ. وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ (وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ) الْحَضُّ عَلَى التَّعَلُّقِ بِالْعِلْمِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ مُنَازَعَةِ السُّفَهَاءِ، وَمُسَاوَاةِ الْجَهَلَةِ الْأَغْبِيَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ»[١].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن.

وكان النبي ﷺ يقول: «ما نقصتْ صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفَعه الله»(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فَصَمَت، ثم أعاد عليه الكلام؛ فصَمتَ؛ فلمّا كان في الثالثة قال: **اعفوا عنه في كل يومٍ سبعين مرة»**(٢).

فإذا كان الرجل يعفو عن خادمه في اليوم سبعين مرة؛ فكم يعفو الزوج عن زوجته! وكم تعفو الزوجة عن زوجها! وكم يعفو الصاحب عن صاحبه! وكم يعفو الوالد عن ولده! والولد عن والده! وكم يعفو الناسُ بعضهم عن بعض!

وعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رجُلا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا؛ فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ»، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَنَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، فتَجَاوَزُوا عَنْهُ»**(٣).

قال الحسن: «أفضل أخلاق المؤمن العفْوُ»(٤).

وعن أيوب قال: «لا ينبُل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم»(٥).

قال الأحنف: «إياك وحمية الأوغاد - جمع وغد وهو الخفيف الأحمق - قيل: وما هي؟ قال: يروْن العفو مغرمًا، والتحمل مغنمًا!».

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبوداود والترمذي وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح.

(٥) روضة العقلاء لابن حبان.

عفا النبي ﷺ عن أهل مكة بعد أن مكّنه الله منهم.

وعفا ﷺ عن أهل ثقيف بعد أن آذوه وخذلوه وطردوه.

وعفا ﷺ عن اليهودي الذي سَحَرَه.

وعفا ﷺ عن يهودية وضَعَتْ له السم في الشاة.

وعفا ﷺ عن مشرك أراد قتْلَه.

فهل نتأسّى بالنبي ﷺ حتى نكون ممن يرجو الله واليومَ الآخِر؟

عفا أبو بكر رضي الله عنه عن رجل انتهك حرْمَته وخاض في عِرْضِه.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: «كل الناس مني في حِلٍّ»[١].

وكان عثمان رضي الله عنه يقول: «أستغفر الله إن كنتُ ظلمْتُ، وقد عفوْتُ إن كنتُ ظُلِمْتُ[٢].

ابن مسعود رضي الله عنه جلَس يومًا في السوق يشتري طعامًا، ثم أتى ليُخرج الدراهم وكانت في عمامته، فقال: لقد جلسْتُ وإنها لمعي؛ فجعل الناسُ يدعون على مَن أَخَذَها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق، اللهم افعل به كذا وكذا؛ فقال ابن مسعود: اللهم إن كان حَمَله على أخْذِها حاجةٌ فبارِكْ له فيها، وإن كان حَمَلَتْه جرأةُ الذنب فاجعلْه آخِر ذنوبه[٣].

ألَا ما أحوجنا إلى التقرّب إلى الله بهذا الخلُق النبيل؛ ليكون سلوكًا عامًا، نتعايش به فيما بيننا؛ فنرى أثره في سلامة صدورنا، وراحة قلوبنا، وفي الآخرة عفو ربنا.

اجعل شعارك:

سألزم نفسي الصفح عَن كل ... وإن كثُرت منه إليّ الجرائمُ

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح.

(٢) سيرة عثمان، لعلي الصلابي، نقلا عن تاريخ خليفة بن خياط.

(٣) إحياء علوم الدين.

فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلي مقاومُ
فأما الذي فوقي فأعرف فضله ... وأتَّبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قَالَ صُنتُ عَن ... إجابته عِرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا ... تفضلت إن الحلم للفضل

ثانيًا: أن نسأل الله العفْوَ:

عن رفاعة بن رافع قال: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، عَلَى المِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَامَ الأَوَّلِ عَلَى المِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى؛ فَقَالَ: «**سلُوا الله العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ**»(٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** أتي النبيَّ ﷺ رجل فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**» **ثُمَّ أَتَاهُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:** «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»(٣).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت:** قلتُ: يا رسول الله، إن علمتُ أيّ ليلة ليلةَ القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»(٤).

يا رب إن عظُمتْ ذنوبي كثرة ... فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يرجو ويدعو المجرم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إني مسلم

---

(١) الشاعر: منصور الكريزي، انظر: روضة العقلاء.
(٢) صحيح الترمذي.
(٣) صحيح الأدب المفرد.
(٤) صحيح الترمذي.

(٢٩)(٣٠)(٣١) القادر..القدير..المقتدر..جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك، فلما نزلت:** ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ **قال: هاتان أهون أو هاتان أيسر**»(١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف:٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

➢ **معنى الاسم في حق الله:**

(القادر) جَلَّ جَلَالُهُ:

هو صاحب القدرة التامة الكاملة الذي لا يعجزه معها شيء في الأرض ولا في السماء، فقدرته تعالى مطلقة لا يُحدُّها شيء ولا تحتاج إلى مقدمات ولا إلى أسباب، يدبر شئون هذا الكون بقدره وقدرته وحكمته ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ٢٣﴾ فسبحانه إذا قدّر شيئًا قدَر على تنفيذه.

(القادر) جَلَّ جَلَالُهُ:

بقدرته أوجد الموجودات وبقدرته دبّرها وبقدرته سوّاها وأحكمها وبقدرته يحيي ويميت ويبعث العباد للجزاء ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

(القادر) جَلَّ جَلَالُهُ:

الذي أمره وقضاؤه وقدره بين الكاف والنون، إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

(القادر) جَلَّ جَلَالُهُ:

هو الذي يهب القدرة ويهب أسبابها لكل صاحب قدرة من الخلق، وهو القادر على سببها أنّى شاء.

و**(القدير)** صيغة مبالغة للقدرة.

و**(المقتدر)** أبلغ.

➢ **من مظاهر قدرة الله:**

١- خلْق الخلق ثم إماتتهم ثم إعادتهم:

ولا يقدر على ذلك غيره سبحانه، قال وهو أصدق القائلين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ٦٦﴾ [الحج:٦٦].

﴿لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ نسي أن الله تعالى خلقه ولم يك شيئًا، ونسي أن الله سيميته بغتة ونسي أن الله سيحيه مرة ثانية للسؤال والجزاء.

وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨].

أي إلا كخلق نفسٍ وحدة، فسبحانه لا يشق عليه شيء، القليل والكثير عنده سواء، وحين سئل عليٌّ رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الناس جميعًا في وقت واحد؟ قال: كما يرزقهم جميعًا في وقت واحد[1].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [الروم:٢٧].

وكل شيء مهما عظم فهو على الله تعالى هيِّن.

لما قال زكريا لربه: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ [مريم:٨-٩].

ولما قالت مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم:٢٠-٢١].

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٥٤].

٢-اختلافُ صور الخلق وعدم تشابههم:

قال ابن حزم: «من عجيب قدرة الله تعالى كثرة الخلق ثم لا ترى أحدًا يشبه

(١) تفسير ابن جزي، العقائد الإسلامية: سيد سابق.

آخر شبهًا لا يكون بينهما فيه فرق»[١].

وتأمل هذا جيدًا لتتعرف على قدرة القدير جل جلاله، فمنذ آلاف السنين وعبر عشرات المليارات من البشر الذين خلقهم الله والذين سوف يخلقهم، فإن من المحال أن نجد اثنين من الخلق متشابهين في الخلقة تمامًا وهذا قمة الإعجاز الذي لا ينتبه له أكثر الناس[٢].

بل انظر إلى هذه الأعداد الهائلة من بني آدم منذ بداية الخلق وإلى قيام الساعة لا يوجد بينهما تشابه في بصمات الأصابع!!

فيالها من قدرة عجيبة لا يمكن لبشر استيعابها إلا أن يقول: سبحان الله.

قال الله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة:٣-٤].

٣- إحياءالموتى:

وقد وقع ذلك في دنيا الناس مرارًا في صور باهرة تَشفي القلوب الحائرة.

ومن ذلك ما قصه الله تعالى علينا في كتابه في سورة البقرة حين قال عز من قائل:

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

---

(١) مداواة النفوس.

(٢) هنيئًالمن عرف ربه: خالد أبو شادي.

وأَوْجُه قدرة الله في هذه الآية متعددة وكل منها أعظم من الآخر:

الوجه الأول: أن الله تعالى أمات عزيرًا مائة عام ليتحلل جسده بالكلية ثم بعثه بعد الموت في سابقة لا تحدث إلا يوم القيامة.

الوجه الثاني: سأله الله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ ليظهر له عجزه عن الإحاطة بأحواله وشئونه ويعرِّفه قصور علمه بنفسه فضلًا عن غيره مع كمال إحاطة الله بكل شيء.

الوجه الثالث: أن الله لم يشعره بطول الزمان فمرت عليه المائة عام كأنها يوم أو بعض يوم وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى بيده أن يغيِّر نواميس الكون ويقلب هذه الحياة رأسًا على عقب ويغير لونها ونظامها وأهلها.

الوجه الرابع: من بدائع قدرة الله حفظه للطعام أعوامًا طويلة دون تغير.

الوجه الخامس: أن بدنه صار ترابًا وكذلك حماره، فتأثير الزمان على الأبدان اختلف عن تأثيره على الطعام فقد أذن الله للزمان أن يُحدث أثره المتعارف عليه بين الناس في تحلل الجسد، فمَن غير القدير أذن للزمن أن يحدث أثره على الأبدان ومنع تأثيره على الطعام؟

الوجه السادس: أحيا الله حماره أمام عينيه فراح يقول معترفًا: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ »[1].

٤- تقليب القلوب:

فمهما بلغت قدرة المخلوق وسطوته وقهره فلا يقوى بشر على تغيير ما في قلب البشر، فلو امتلأ قلبك بمحبة أحد فلا يستطيع كائن أن يقلب محبتك كرهًا إلا

---

(١) هنيئًا لمن عرف ربه: بتصرف.

أن يشاء الله، ولو كرهتَ أحدًا فلن تستطيع قوى الأرض مجتمعة أن تسيطر على قلبك وتُرغمه على محبته، ولا تتحول هذه الكراهية إلى محبة بضغطة ذر، ولكن الله يفعل[١].

انظر إلى (فضالة بن عمير) الذي كان مشركًا عازمًا على قتل النبي ﷺ بعد أن امتلأ قلبه حقدًا وبغضًا للإسلام ورسوله.

دخل يومًا يطوف بالبيت مخططًا لقتل الرسول ﷺ، فدنا منه النبي ﷺ وقال: أفضالة؟ قال: نعم، فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟

قال: لا شيء، كنت أذكر الله يا رسول الله، فضحك رسول الله وقال: «**استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول:** «**والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إليّ منه**»[٢].

من الذي حول قلب فضالة بهذه الصورة الكلية الضخمة وفي هذه اللحظة القليلة العابرة؟

إنه الله القادر القدير المقتدر.

وانظر إلى (ثمامة بن أثال) حين نطق بالتوحيد ماذا قال؟

يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحبّ الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ»[٣].

---

(١) هنيئا لمن عرف ربه.

(٢) سيرة ابن كثير، السيرة النبوية لابن هشام.

(٣) دلائل النبوة: البيهقي.

ما ذاك؟ إنه الله القادر على قلب القلوب وتحويل الأمور وتغيير الأحوال سبحانه.

كيف لا؟

وقد كان النبي ﷺ يحلف ويقول: «لا ومقلب القلوب»[(١)].

كيف لا؟

ومُقلب القلوب ﷻ يحول بين المرء وقلبه، كما قال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤].

قال ابن القيم: «القدير الذي لكمال قدرته يهدي من يشاء ويجعل المؤمن مؤمنًا والكافر كافرًا والبرّ برًا والفاجر فاجرًا، وهو الذي جعل إبراهيم وآله أئمة يدعون إليه ويهدون بأمره وجعل فرعون وقومه أئمة يدعون إلى النار»[(٢)].

٥- قدرته تعالى على إهلاك المجرمين والانتقام من الظالمين:

ولا يظنَّن مجرم أو ظالم أن الله تعالى أهمله إنما أمهله، ليأخذه أخذ عزيز مقتدر كما قال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، **ثم قرأ** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[(٣)].

وإهلاك الله المجرمين وانتقامه من الظالمين أكثر من أن يُحصى، وحسبك قول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر:٤٤].

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) طريق الهجرتين.

(٣) متفق عليه.

وكما أن الله تعالى قادر قدير مقتدر على إهلاك المجرمين الظالمين فهو قادر مقتدر على نصر أوليائه وعباده الصالحين مهما كانوا قليلي العدد أو العدة أو مستضعفين، قال رب العالمين: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

٦- إظهار قدرته في الآخرة:

وقد ذكر لنا النبي ﷺ طرفًا من ذلك حين قال:

«**يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[1].

فهذه السماوات وهذه الأرضون على سعتها وقوتها وعظمتها وعجيب خلقها يطويها القادر المقتدر بقدرته، يطويها بيده.

بل أعجب حين يقول النبي ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفًا مشاة وصنفًا ركبانًا وصنفًا على وجوههم**»، فقال رجل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ فقال ﷺ: «**إن الذي أمشاهم على أرجلهم في الدنيا قادر على أن يُمشيهم على وجوههم يوم القيامة**»[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع.

عجز الإنسان وضعفه:

مع ثبوت قدرة القادر المقتدر ﷻ يثبت عجز الإنسان وضعفه، فقدرة الإنسان عطاءٌ من الله سبحانه قادرٌ أن يسلبها منه متى شاء، وقدرة الإنسان محدودة تتناول بعض الجوانب دون بعض وتكون في بعض الأوقات دون بعض، وقدرة الإنسان مصيرها إلى انهيار وذلك بالحوادث والأمراض وإلا فبالهِرَم وسوء الكبر، وقدرة الإنسان لا تتم ولا تقوم إلا إذا استعان بمن حوله من أسباب وأعوان وخبراء،

فمثلًا: يُكمل الإنسان ضعف بصره بالميكرسكوب ويكمل قصر بصره بالتليسكوب ويكمل بطء سيره بالمركبة أو القطار أو الطائرة ويكمل ضعف يده (بالمفك والبنسة)!

لكنَّ قدرة الله تعالى تامة وافية كاملة لا يُحِدُّها حد، لا تحتاج إلى مقدمات أو أسباب أو أعوان أو خبراء، سبحانه القائل: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨١].

➢ **كيف نعبد الله بأسمائه «القدر» و«القدير» و«المقتدر»؟**

✵ أولًا: صدق التوكل عليه ودوام الالتجاء إليه:

من عرف القادر المقتدر ﷻ، لا يتوكل إلا عليه ولا يعتصم بأحد سواه ولا يمتنع إلا به ولا يُفوِّض أموره إلا إليه لأن مقاليد الأمور كلها بيده فلا يعجزه شيء ولا يتعصي عليه شيء.

ويلفت القرآن الكريم أنظارنا في ثنايا قصة موسى عليه السلام مع فرعون – عليه اللعنة- أن من ركن إلى القادر المقتدر وتعلق به فكل الخلائق أضعف وأقل من أن يُحدثوا به أذىً أو مكروهًا، فأمام إصرار فرعون وتبجُّحِه وسخريته من موسى

ودعوته وقوله: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر:٢٦].

كيف تصرّف موسى في هذه اللحظة؟ ماذا قال؟

تعلق بالقادر المقتدر وركن إلى القوي المتين (وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) [غافر:٢٧].

وقد فصّل لنا ربنا في كتابه القول ليعرِّفنا بقدرته حتى يستقر هذا في قلوبنا فتخضع له سبحانه القلوب وتتوجه إليه الوجوه.

انظر إلى الحشد الهائل الذي ساقه الله تعالى في كتابه مدللًا به على قدرته واقتداره ووحدانيته: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [النجم ٤٢-٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس:٢٤-٣٢].

وتلك هي العقيدة الصحيحة التي كان النبي ﷺ حريصًا على غرسها في نفوس الصغار قبل الكبار.

عن ابن عباس قال: «كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال لي: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك**

إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف»(١).

✵ ثانيًا: أن يظل العبد على حذر من قدرة الله ﷻ:

فلا يسترسل في المعاصي ولا ينقاد لشهوته، لأن عين القادر المقتدر لا تنام وأعمال العبد تُحصى عليه، ثم يحاسب عليها في الدنيا والآخرة.

فمن عرف أن مولاه قادر ومقتدر خشي عقوبته وحَذَرَ بطشه وابتعد عن ارتكاب مخالفته، ومن تجرأ على حدود الله فلا يلومن إلا نفسه.

✵ ثالثا: أن نبتعد عن الظلم بشتى صوره:

وبخاصة ظلم العباد، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، لأن الإيمان بقدرة الله تعالى وانتقامه للمظلومين من الظالمين يجعل العبد يرتدع عن الظلم والعدوان(٢).

أحيانًا ترى الإنسان يتطاول ويطغى ويتعدى وكأن الله غير موجود مع أن الله جل جلاله يقول: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج:١٢].

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلامًا لي فسمعت من خلفي صوتًا: «**اعلم أبا مسعود: لَلهُ أقدر عليك منك عليه**»، فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله هو حرٌ لوجه الله، فقال ﷺ: «**أما لو لم تفعل لَلَفَحتْك النار**»(٣).

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

«إذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئًا إلا كان زائلًا عنهم باقيًا عليك واعلم أن الله عز جل آخذٌ للمظلومين من

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

(٢) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها / عبد العزيز ناصر الجليل.

(٣) رواه مسلم.

الظالمين والسلام»[١].

ومن أحسن ما اشتُهر على الألسنة من الكلمات الآمنة:

«إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك».

لاتظلمــن إذا مــا كنــت مقتــدرًا فــالظلم ترجــع عقبـاه إلـى النـدمِ

تنــام عينــاك والمظلــوم منتبــهٌ يــدعو عليـك وعـين الله لـم تـنـمِ

❁ رابعًا: ألا يقول العبد مستحيل:

من عرف الله القادر القدير، لم ينظر إلى شيءٍ على أنه مستحيل، ولهذا كان من آثار الإيمان باسم الله القادر أن تتقوى عزيمة العبد وإرادته في الحرص على الخير وطلبه والابتعاد عن الشر والهرب منه.

وهو ما عناه النبي ﷺ بقوله: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...»[٢].

استعن بالله القادر أن تتحلى بالخصال الحميدة مهما رأيتها صعبة أو بعيدة.

استعن بالله القادر أن تقلع عن عاداتك السيئة مهما كنت مدمنًا.

استعن بالله القادر أن تكون مبدعًا.

استعن بالله القادر أن تكون منتجًا.

استعن بالله القادر أن تكون لك يَدٌ عليا في الخير.

استعن بالله القادر أن تكون أنت إضافة طيبة في هذه الحياة.

❁ خامسًا: ألا يغتر العبد بقدرته أيًا كان نوعها:

فبين عشيةٍ وضحاها أو غمضة عين وانتباهتها يحول القادر القدير المقتدر

---

(١) إحياء علوم الدين.

(٢) رواه مسلم.

الغِنى إلى فقر والعزة إلى ذلة والصحة إلى مرض والحياة إلى موت.

بل على العبد أن يتبرأ دائمًا من حوله وقوته لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولهذا علمنا النبي ﷺ أن نستخير الله تعالى في أمورنا كلها، لأننا أضعف من أن نستقل بأخذ قرار أو أن نُقْدم على شيء لا نعلم مآله أو مصيره.

علمنا النبي ﷺ ان نقول: «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب....»[(١)].

سادسًا: من عرف أن مولاه قادر قدير مقتدر حاد عن الانتقام ثقةً منه بأن صنع الله تعالى وانتقامه له أتم من انتقامه لنفسه:

سابعًا: أن ندعو الله تعالى بأسمائه «القادر» و«القدير» و«المقتدر»:

اطلب ما تريد من الخير وتضرّع إلى الله تعالى وهو قادر سبحانه أن يعطيك سؤلك ويجيب دعاءك، ولا يعجز سبحانه عن إعطاء من شاء ما شاء في أي وقت شاء.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجلٌ يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين فتُرفع له شجرة فيقول الله: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟

فيقول: لا يا رب ويعاهده ألا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا

(١) البخاري.

أسألك غيرها.

فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني ألا تسالني غيرها؟

فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده ألا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولَيين.

فيقول: يا رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها.

فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟

قال: بلى يا رب لا أسألك غيرها.

وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيسمع أصوات أهل الجنة.

فيقول: يا رب أدخلنيها.

فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك [ما يقطع مسألتك] **أيُرضيك أن أُعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين.**

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟

قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟

قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

فيقول: لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير»[1].

فمهما دعوت الله تعالى وتضرعت إليه فهو سبحانه قادر أن يعطيك سؤلك ويجيب دعاءك.

---

(١) رواه مسلم.

عن مطرِّف بن عبد الله بن الشخير قال: تذكرت جماع الخير فإذا الخير كثير: الصوم والصلاة وإذا هو في يد الله وإذا أنت لم تقدر على ما في يد الله ﷻ إلا أن تسأله فيعطيك فإذا جماع الخير الدعاء»[١].

وحبذا لو دعوته ﷻ باسمه القدير كما كان النبي ﷺ يقول «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي**»[٢].

---

(١) الزهد / أحمد بن حنبل.

(٢) رواه النسائي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣٢) اللطيف جل جلاله

اللطيف جل جلاله من الأسماء الجميلة التي يتلذذ بها السمع والقلب ويتملاّها العقل والفكر..

قال تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الأنعام:١٠٣].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(اللطيف) جل جلاله: هو الذي يعلم دقائق الأمور وغوامضها والمخفي منها، فيعلم ما ينفعك ليجلبه لك – وقد يكون ظاهره الضرر – ويعلم ما يضرك فيصرفه عنك – وقد يكون ظاهره النفع – وأقرب أقربائك وأحب أحبائك لا يعلمون ذلك، ولذلك ربما آذوك من حيث أرادوا أن ينفعوك! لأنهم لا يعلمون دقائق المصالح وغوامضها ولهذا غالبًا ما يقترن اسم الله (اللطيف) باسم الله (الخبير) فقد جاء ذكر (اللطيف) في القرآن في سبعة مواضع، جاء مقترنًا ب (الخبير) في خمسة منها، والسر في ذلك أن اللطف وهو العلم بدقائق الأمور وغوامضها، لا يحصل إلا بالخبرة وكلما زادت الخبرة زاد العلم بما خفي، ذاك هو الله (اللطيف).

قال الشوكاني – عليه رحمة الله: «إن الله لطيف لا تخفى عليه خافية بل يصل علمه إلى كل خفيّ»[1].

---

(١) فتح القدير.

قال الغزالي – عليه رحمة الله –: «إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دقّ منها وما لطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستحق سبيل الرفق دون العنف»[١].

(اللطيف) جل جلاله: هو الذي يعلم مصالحك كلَّها من أولها إلى آخرها، وليست مصالحك أنت فقط، ولكن مصالح الدنيا والآخرة والجن والإنس والطير والحيوان والجماد والنبات ومصالح كل خلقه، ثم يسلك سبيل الرفق في إيصال هذه المصالح إلى مستحقيها...»[٢].

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ التي هي غاية في الصغر ونهاية في الدقة ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ أي: يعلم مكانها ومستقرها ومستودعها ويقدر على الإتيان بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣﴾ [لقمان: ١٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

اللطيف جل جلاله:

هو «الذي يَلطف لهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون»[٣].

إنه الإحسان الخفي، ما علمنا منه وما لم نعلم،

خذ النحل مثالًا: لولا النحل لما نضجت ثمرة من الثمار! لأن النحل هو القائم بمهمة تلقيح الأزهار وهذا ما لم نكتشفه إلا حديثًا.

---

(١) المقصد الأسنى.

(٢) الفتوحات الإلهية شرح الأسماء الحسنى للذات العلية: محمد الدبيسى.

(٣) شأن الدعاء: أبو سليمان الخطابي.

وكائنات حقيرة كثيرة لا نعلم سبب إيجادها حتى اليوم ولعلها لو اختفت لأدت إلى اختلال في التوازن البيئى يؤدى إلى وقوع أبلغ الضرر بحياة الإنسان[١].

وكم لله من لطف خفىّ — يَدِقُّ خفاه عن فهم الذكىّ
وكم يسرٍ أتى من بعد عسر — ففرج كربة القلب الشجىّ
وكم أمر تُساء به صباحًا — وتأتيك المسرة بالعشىّ
إذا ضاقت بك الأحوال يومًا — فثق بالواحد الفرد العلىّ[٢]

◆ **مثال:**

يوسف عليه السلام، يلطف به الله عز وجل من حيث لا يعلم، ويسوق إليه نعمة التمكين في الأرض من حيث لا يحتسب، ومن كان يفكر ويوسفُ عليه السلام يعانى صنوفًا من المحن والابتلاءات أن ذلك سيكون سببًا في التمكين له في الأرض والتحكم في أقوات الناس؟

لقد تواترت عليه محنٌ شتى، محنة كيد إخوته، ومحنة الجب والخوف والترويع فيه ومحنة الرق وهو يتنقل كالسلعة من يد إلى يد على غير إرادة منه ولا حماية ولا رعاية من أبويه ولا من أهله، ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة وقبلها محنة الإغراء والفتنة والشهوة، ومحنة السجن بعد رغد العيش في قصر العزيز ومحنة المشاعر البشرية وهو يلقى بعد ذلك إخوته الذين ألقوه في الجب وكانوا السبب الظاهر في المحن والابتلاءات[٣].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾

---

(١) هنيئًا لمن عرف ربه: خالد أبو شادى.

(٢) نسب إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه.

(٣) المنهاج الأسنى: زين شحاتة.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: ٩٩-١٠٠].

فيوسف عليه السلام يلخص محنته وابتلاءه وقصته في هذه الكلمة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ أراد به الخير وهو لا يعلم وأوصل إليه المصلحة والفضل وهو لا يحتسب.

يقول ابن القيم – عليه رحمة الله –:

«واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية»[1].

وقال رحمه الله:

وهو اللطيف بعبده ولعبده	**واللطف في أوصافه نوعان**
إدراك أسرار الأمور بخبرة	**واللطف عند مواقع الإحسان**
فيريك عزته ويبدى لطفه	**والعبد في الغفلات عن ذا الشان**[2]

➢ **كيف نعبد الله باسمه «اللطيف»؟:**

❋ **أولًا: أن نستشعر لطفه جل جلاله بعباده:**

من لطف الله بعباده:

(١) أنك لا تراه ولا تستطيع أن تراه، ولكن تستشعر وجوده وترى نعمه وإحسانه وفضله وبرّه ورحمته.

قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣].

---

(١) شفاء العليل.

(٢) نونية ابن القيم.

(٢) أنه لا يُشعرك برقابة الملائكة التي وُكلت بك من كتبة وحفظة وغيرهم، وتخيل أن عليك حراسة خاصة من البشر يلازمونك في كل تحركاتك وانتقالاتك لشعرت أنك أسيرٌ مقيّد ولما أطقت ذلك، وتخيل لو أن هذه الحراسة من الملائكة، واستشعر لطف الله بك.

(٣) أنك لا تسمع أنفاسك المترددة على مدار يومك ولا ضربات قلبك ولو سمعتها لما طاب لك عيش ولا قرّت لك عين.

(٤) أنْ أخفى عليك حالك في الآخرة لأنك لو علمت أنك من أهل النار ليئست وتركت العمل، وكذلك الحال في إخفاء الخاتمة، وكذلك الحال في إخفاء الأجل نفسه.

(٥) أن يصرف عنك مالًا معينًا أو منصبًا لعلمه أن ذلك يؤثر سلبًا على دينك ولو علم العبد ما حماه الله منه لحمد الله وأثنى عليه.

قال ﷺ: «إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»[(١)].

(٦) أنه إذا أنزل على عبده المؤمن البلاء أنزل عليه الصبر والاحتساب فتخف عنده المصيبة ويكون له الأجر.

(٧) أنه تعالى يفعل ما يريد برفق.

عندما أراد اللطيف أن يُخرج يوسف عليه السلام من السجن لم يدكدك جدران السجن، ولم يأمر ملكًا أن ينزع الحياة من أجساد الظلمة، ولم يأذن لصاعقة من السماء أن تقتلع القفل الحديدى، فقط جعل الملِك يرى رؤيا في المنام تكون سببا

(١) رواه أحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

خفيًا لطيفًا يُستنقذ به يوسف من أصفاد الظلم!

ولما شاء اللطيف أن يُعيد موسى إلى أمه لم يجعل حربًا تقوم يتزعمها ثوارُ بنى إسرائيل ضد طغيان فرعون يعود بعدها المظلومون إلى سابق عهدهم، لا، بل جعل فم موسى لا يستسيغ حليب المرضعات، بهذا الأمر الخفيّ يعود موسى إلى أمه بعد أن صار فؤادها فارغًا!

ولما شاء اللطيف أن يُخرج رسولنا عليه الصلاة والسلام ومن معه من عذابات شِعب بنى هاشم لم يرسل صيحة تزلزل ظلم قريش، فقط أرسل الأَرَضة تأكل أطراف وثيقة الظلم وعبارات التحالف الخبيث[١].

(٨) إنقاذه لك في اللحظة الحاسمة: تأمل حينما تدخل الغرفة في اللحظة التي كاد طفلك أن يسقط فيها من على السرير وتساءل: لماذا الآن بالذات دخلت الغرفة؟

تأمل ذاتك يوم أن تدخل المطبخ لتشرب الماء فإذا بك تسمع أزيز الكهرباء من فيش الثلاجة مثلًا فتفصله، وأدخنة الحريق كانت في بدايتها وتساءل: ما الذي أدخلك في هذه اللحظة بالذات؟ لماذا لم تتأخر خمس دقائق فقط؟[٢].

(٩) أن يصرف عنك المعصية مع وجود أسبابها، ويوفقك للطاعة مع غياب أسبابها ويجعلك مستعصمًا بطوق الدعاء في لجج الشدائد وهي الثلاث منح التي وهبها الله تعالى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عند مراودة امرأة العزيز له، فصرف عنه الفحشاء مع أن كل أسبابها كانت مهيأة لها، ووفقه للعفة مع غياب أسبابها عنه واستخرج منه الافتقار بالدعاء عند أحلك الأوقات: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾»[٣].

---

(١) لأنك الله: على بن جابر الفيفى.

(٢) لأنك الله: على بن جابر الفيفى.

(٣) هنيئًا لمن عرف ربه: خالد أبو شادى.

(١٠) أنه إذا مالت نفس عبده الحبيب إليه مع شهوات النفس الضارة أن ينغصها عليه فلا يكاد يتناول منها شيئًا، كما أن من لطفه به أن يلذذ له القربات ويحلي له الطاعات ليميل إليها كل الميل[١].

(١١) **أن يُيسِّر لك الأسباب ولو بعدت:** فاللطيف ﷻ إذا أراد حصول شيءٍ هيأ أسبابه ويسرها وإن كانت في غاية الصعوبة والبعد، قالها يوسف بعد أن تذوقها بصورة عملية في كل مواقفه الحياتية: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾

فلولا تآمر إخوة يوسف عليه لما أُلقى في الجب... ولولا إلقاؤه في الجب ما أخذته السيارة... ولولا أخذ السيارة له وزهدهم فيه لما باعوه لعزيز مصر...ولولا بيعه لعزيز مصر لما راودته امرأة العزيز.. ولولا هذه المراودة لما دخل السجن ولولا دخوله السجن ما التقى بصاحبيه ولولا التقاؤه بهما وتأويله لهما ما رأياه في منامهما ما وصل أمره إلى الملك.... ولولا وصول أمره إلى الملك ما خرج من السجن ولا وَلِي خزائن الأرض...

فكل هذه أسباب ربما تكون في غاية البعد والصعوبة إلا أن الله تعالى بلطفه يسرها وهيأها لأنه أراد أن يُمكن ليوسف في الأرض...

وكان الأقرب إلى العقول أن يموت مهمشًا عند إلقائه في الجب... أو يهلك جوعًا وعطشًا لو تُرك فيه... أو تتخذه السيارة خادمًا فيعيش طوال حياته ذليلًا مهانًا..

ولكن سبحانه ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾.

ومن ملامح لطف الله تعالى هنا:

أن البلاء بحسب قوة المبتلَى، فالبئر مناسب ليوسف الطفل.. والسجن لا

---

(١) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: عبد العزيز ناصر الجليل.

يقوى عليه إلا يوسف النبيّ.. والمُلك لا يفتن يوسف الصديق..[(١)].

(١٢) أن يُقدر لك رزقك بحسب علمه بمصلحتك: لا بحسب مرادك، فقد تريد شيئًا وغيره أصلح فيقدِّر لك الأصلح وإن كرهْتَه لطفًا بك وبرًا وإحسانًا.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى: ١٩].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ [الشورى: ٢٧][(٢)].

(١٣) أن يرزقك صحبة صالحة من أهل العلم والإيمان تتربى بينهم وتتأدب بأدبهم، فإن ذلك من أعظم لطف الله بعبده.

فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة منها بل من أعظمها أن يلطف الله بك ويرزقك الصحبة الصالحة التي إذا جهلت علموك وإذا أُصبت واسوك وإذا نسيت ذكروك وإذا غفلت أيقظوك، وحسبك قول الله لنبيه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

(١٤) أن يجعل رزقك حلالًا، ويقنعك به، فلا تنشغل به عما خُلقت له من العبادة والعلم والعمل:

فهذا والذي نفسى بيده لمن أعظم مظاهر لطف الله بعبده، فقليل من الحلال يشكره العبد فيأتيه من الله المزيد، خير من كثير من الحرام أو الشبهات يشغل العبد عن الله ويحل بسببه سخط الله.

---

(١) هنيئًا لمن عرف ربه: بتصرف يسير.

(٢) ولله الأسما الحسنى: عبد العزيز ناصر الجليل.

(١٥) أن أعطاك فوق الكفاية وكلفك دون الطاقة:

فإذا نظرت إلى ما كلفك الله به وإلى ما أعطاك تجدِ الله تعالى كلفك بالقليل الذي هو أقل بكثير من طاقتك، وأعطاك الكثير الذي هو فوق كفايتك.

فمثلًا: كلفك الله بخمس صلوات مقسمة على مدار اليوم تستطيع الإتيان بها بل وبأكثر منها بلا تعب ولا تكلف.

كذلك كلفك أن تخرج من مالك إذا بلغ النصاب المحدد وحال عليه الحول ربع العشر وانظر إلى ما أعطاك لا تستطيع حسابه، أعطاك عقلًا وقلبًا وسمعًا وبصرًا وصحة وقوة، تأمل ذلك واستشعر لطف الله تعالى بك، وأحسن كما أحسن الله إليك..

(١٦) أن يَسَّر لك الوصول إلى سعادة الأبد بسعي خفيف في مدة قصيرة:

وهى العمر، تقوم بحق الله تعالى، تفعل الواجبات وتجتنب المحظورات وتخلص عملك لرب الأرض والسماوات ستين سنة أو أقل، فتسعد سعادة الأبد في جنة عرضها السماوات والأرض، لا تموت فيها أبدًا ولا تجوع فيها أبدًا ولا تمرض فيها أبدًا بل لك فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(١٧) أن يسّر لك شريعته وعبادته:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

و «ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا»[(١)].

ولو تأمل العبد مظاهر لطف الله به في نفسه وما حوله لما توقف لسانه عن الحمد والتسبيح والثناء على اللطيف الخبير.

ولو جمعت كل لطف الناس بك وعلى رأسهم الوالدان فلن يساوي ذلك

---

(١) متفق عليه.

قطرة في بحر لطف الله بك فاقصده في حاجتك واجتنب مغاضبه...

❁ ثانيًا: أن تتلطف بالمسلمين:

وتحنو على اليتامى والضعفاء والمساكين، وتسعى للوفاق بين المتخاصمين، وتنتقى لطائف القول في حديثك مع الآخرين.

وهذا اللطف يكافئك الله عليه بلطف أعظم في الدنيا والآخرة، في الدنيا يلطف بك ويرفق معك، وفي الآخرة، قال ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يَحرُم على النار ومن تَحرم عليه النار؟ كل قريب هين سهل**»(١).

وأحق الناس باللطف والرفق واللين، أهلك وذوو رحمك، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق»(٢).

ولا يقتصر سلوك المؤمن تجاه إخوانه على اللطف بهم والرفق واللين معهم وإنما يتجاوز ذلك إلى رعاية مصالحهم وقضاء حوائجهم عسى الله أن يرعى مصلحته ويقضى حاجته.

وقد ذكر العلماء في ذلك المعنى حديث جابر رضي الله عنه أنه باع جمله إلى النبي ﷺ قبل أن يدخلا المدينة فاشترط عليه جابر ظهره – أي: يركبه إلى المدينة –

يقول جابر رضي الله عنه: «فلما رجع النبى ﷺ المدينة أعطاه جمله وأعطاه ثمنه»(٣).

وفي رواية مسلم قال النبي ﷺ: «**يا جابر أَتوَفَّيت الثمن؟** [أقبضته تامًا وافيًا] **قلت: نعم، قال: لك الثمن ولك الجمل**»...

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٣) والقصة مطوّلة فى الصحيحين.

❋ ثالثا: أن نرضى به ونتوكل عليه:

لأنه تعالى أعلم بمصلحتك من نفسك، فأنت لا ترى إلا تحت قدميك لكن الله تعالى يعلم دقائق الأمور وخفاياها وجميع زواياها.

قال أبو حامد الغزالي – عليه رحمة الله –: «من عرف خفيّ لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال».

وقال: «واعلم أن كل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الطبيب الحاذق الشفيق لم يصح توكله»(١).

فعجيب منك أن تثق في كلام طبيب يحتمل الصواب والخطأ وتلتزم بأمره حرصًا على صحتك ولا تثق في اختيار اللطيف لك، فارض به وتوكل عليه.

❋ رابعًا: ألا نغفل عنه طرفة عين:

لأننا على عينه التي لا تنام وتحت رقابته الصارمة.

فسبحانه لا يفوته من العلم شيء وإن دق وصغُر وخفي وكان في مكان سحيق قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: ١٦].

فإذا علم العبد أن ربه متصف بدقة العلم محيط بكل صغيرة وكبيرة فكيف يغفل عنه طرفة عين؟! وكيف يعصيه قيد أنملة؟!

---

(١) إحياء علوم الدين.

ثم إن الله تعالى يجازي الناس يوم الدين على أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم ونواياهم لا المحسن يضيع من إحسانه شيء ولا المسيء يضيع من سيئاته شيء.

قال الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

خامسًا: أن ندعو الله تعالى باسمه اللطيف:

كأن يقول العبد: «اللهم يا لطيف الطف بنا والطف لنا وقدّر لنا من ألطافك الرحيمة ما تقوِّم به عوج نفوسنا وتهدي به ضال قلوبنا وتُجمل به شعث حياتنا».

«اللهم إنك لطيف لما تشاء وأنت العليم الحكيم ارفع عنا البلاء والشقاء وأعذنا من الشيطان الرجيم».

وبهذه المناسبة: اشتهر على ألسنة الناس دعاءٌ لا يصح سندًا ولا معنى وهو: «اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ولكنى أسألك اللطف فيه».

فكونه لا يصح سندًا، لم يثبت عن النبي ﷺ.

وكونه لا يصح معنى فهو معارَض بقول النبي ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»[1].

وقول النبي ﷺ في دعاء الوتر: «وقنى شر ما قضيت»[2].

---

(١) رواه الترمذى وصححه الألبانى.

(٢) صحيح أبى داود.

(٣٣)(٣٤) «العليم» «الخبير» جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦] وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤] وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٧٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٨١]وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣] وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣].

وعن محمد بن قيس بن مخرمة قال: «سمعْتُ عائشة رضي الله عنها قالت: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ؛ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ رُوَيْدًا فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا؛ فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشُ؟ حَشْيَا – بفتح الحاء وسكون الشين، معناه: وقع عليكِ الحشا، وهو الربو الذي يعرض للمسرع في مشْيه من ارتفاع النفس وتواتره – رَابِيَةً – أي: مرتفعة البطن**» قُلْتُ: يا رسول الله، لَا شَيْءَ، قَالَ: «**لَتُخْبِرِنِّي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «**فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟**» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ

النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ...»[١].

معنى الاسمين في حق الله تعالى، والفرق بينهما:

(العليم) ﷻ هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، والواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل؛ فلا يخفى عليه شيء من الأشياء»[٢].

و**(الخبير)**: من الخِبرة، والخِبرة أبلغ من العلم؛ لأنها علم وزيادة، والخبير بالشيء: مَن علِمَه وأحاط بتفاصيله الدقيقة، وألَمَّ بكيفية وصْفه على الحقيقة.

(الخبير) ﷻ: هو الذي انتهى علْمُه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها، كما أحاط بظواهرها[٣].

(الخبير) ﷻ: هُوَ الَّذِي لَا تعزب عَنهُ الْأَخْبَار الْبَاطِنَة؛ فَلَا يجْرِي فِي الْملك والملكوت شَيْء، وَلَا تتحرك ذرة، وَلَا يسكن وَلَا يضطرب نفْس وَلَا يطمئِن إِلَّا وَيكون عِنْده خَبرَه، وَهُوَ بِمَعْنى الْعَلِيم، وَلَكِن الْعلْم إِذا أضيف إِلَى الخفايا الْبَاطِنَة سُمِّي خبْرَة، وَسُمِّيَ صَاحبهَا خَبِيرا»[٤].

سعة علْمه وشمول إحاطته سبحانه:

سبحانه! كمُل علْمُه، وشملتْ إحاطتُه؛ قال – عز من قائل –: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢] وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) تفسير السعدي.

(٣) الصواعق المرسلة لابن القيم.

(٤) المقصد الأسنى للغزالي.

وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ:٣] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الحديد:٤] وقال ربي: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴾ [طه:٩٨] وقال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:٨٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران:١٢٠] وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر:٧].

ولئن كانت رحمته تعالى واسعة؛ إلا أنه تعالى قد قيَّدها – قصَرَها على المتقين – لكنّ علْمه وسِع كل شيء؛ فسبحانه! يعلم عدد ما في صحاري الأرض من حبات الرمل! ويعلم عدد ما في بحار الدنيا من قطرات الماء! ويعلم عدد ما في الأشجار من أوراق! ويعلم عدد ما في الأغصان من ثمار، ويعلم عدد ما في السنابل من حبات، ويعلم ما ظهر وما بطن ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩].

وسبحانه اختصّ بمفاتيح الغيب:

قال – عز من قائل -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان:٣٤].

فهذه الخمس لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ومَن ادَّعى علْم شيء منها فقد افترى على الله الكذب؛ فقد قال ﷺ: **«مفاتيح الغيبِ خَمْسٌ لا يَعلَمُها إلا الله، لا يَعلَمُ ما في غدٍ إلا الله، ولا يَعلَمُ ما تغيض الأَرحامُ إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا**

الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعةُ إلا الله»(١).

وسُميت مفاتيح الغيب؛ لأنها مفاتيح لما بعدها؛ فقيام الساعة مفتاح لليوم الآخِر وما فيه، ونزول الغيث مفتاح لحياة الأرض، وعلم ما في الأرحام مفتاح لحياة المخلوقات، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا مفتاح للأرزاق، وما تدري نفس بأي أرض تموت مفتاح للقيامة الصغرى لكل إنسان.

وسبحانه! عَلِم مكنونات القلوب وخفاياها:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

وسبحانه! يعلم الأشياء قبل وقوعها، وله الحكمة البالغة في تقديرها:

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

وقال ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرْشُه على الماء»(٢).

وسبحانه! يعلم مناجاة الناس وما يدور بينهم:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

وسبحانه! يعلم جميع أحوال عباده:

يعلم التقيّ من الشقيّ، والبار من الفاجر، والمؤمن من المنافق، والغَني من الفقير، وغير ذلك من الفوارق، وذلك قبل أن يخلقهم ويكلفهم، وأن توفيقه لمن يشاء وخذلانه لمن يشاء إنما يكون عن حكمة بالغة، وعلْمٍ بأحوالهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج:٧٥].

وسبحانه! مهما أوتي الناس من علوم ومعارف؛ فعلومهم مقيَّدة، ومعارفهم محدودة:

قال – عز من قائل –: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥].

وسبحانه! لا يعلم العباد علما إلا بتعليمه، قالت الملائكة: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة:٣٢] وقال تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] وقال عن محمد ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ [النساء:١١٣] وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف:١٠١] وقال عن داود: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ﴾ [الأنبياء:٨٠] وقال عن الخضر: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ [الكهف:٦٥].

فما من علْمٍ ديني أو دنيوي عَلِمَه عبدٌ؛ إلا وقد علَّمه الله له ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٥] فسبحانه! عَلِمَ ما كان، وما هو كائن، وما سيكون إلى يوم القيامة.

➢ **كيف نعبد الله تعالى باسمَيْه «العليم» و«الخبير»؟**

✵ **أولًا: أن نُراقبه جل جلاله ونخشاه في سرّنا وعلانيتنا:**

مَن عَلِم أن الله عليم بكل شيء حتى بخطَرات الضمائر ووساوس الخواطر؛ دفَعَه ذلك إلى أن يستحيي منه، ويكفَّ عن معاصيه، ولا يغترَّ بجميل ستره،

ويخشى بغتات قهره، ومفاجآت مكْرِه؛ فإن له جنودًا لا يعلمها إلا هو ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨].

ولو قيل لأهلِ بلدٍ: إن أميرَ ذلك البلدِ يَبِيتُ عَالِمًا بِكُلِّ ما يفعلونَه في الليلِ من الخسائسِ؛ لَبَاتُوا مُتَأَدِّبِينَ، وهذا خالقُ السماواتِ والأرضِ، الْمَلِكُ الجبارُ، يُخْبِرُهُمْ في آياتِ كتابِه، لاَ تكادُ تَقْلِبُ ورقةً واحدةً من أوراقِ المصحفِ الكريمِ إلا وجدتَ فيها هذا الواعظَ الأكبرَ والزاجرَ الأعظمَ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ﴾ [البقرة:٢٣٥][(١)].

وهذه الآية فيها «إرشادٌ إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آيةٍ من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله ﷺ، أو تصورٍ وبحثٍ في علم ينفعه، أو تفكرٍ في مخلوقات الله ونعمه، أو نصحٍ لعباد الله»[(٢)].

من أيقن أن الله تعالى عليم خبير، عليم بحاله، خبير بظاهره وباطنه؛ دَفَعَه ذلك إلى الاستقامة على أمر الله ظاهرًا وباطنًا؛ فلا يقول قولًا يُغضِب الله، ولا يفعل فعلًا يُغضِب الله، ولا يُضمر في قلبه أو نفسه شيئًا يُغضب الله؛ فَتَزْكو أعمال قلبه وجوارحه، ويصل إلى مرتبة الإحسان الذي قال عنه النبي ﷺ «**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

❃ ثانيًا: أن نطمئن ونَرضى:

فإذا أيقن العبدُ أن الرب جل جلاله عليم بالأمور قبل وقوعها، وكتَبها عنده قبل خلْقها؛

---

(١) العذب النمير للشنقيطي بتصرّف.

(٢) تفسير السعدي.

أثمر ذلك عنده طمأنينة ورضا لما يقضيه الله تعالى ويقدره؛ قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد:٢٢، ٢٣].

ولهذا نجد نبيّ الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يذكر اسمَ الله العليم مقترنًا باسم الله الحكيم كعزاءٍ له فيما يواجهه من مصائب وآلام؛ فها هو يقول عندما فقَد أبناءه الثلاثة: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف:٨٣] وها هو الله العليم جَلَّ جَلَالُهُ يقول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦].

فالمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، كما كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ما أبالي على أي حال أصبحْتُ، على ما أحب أم على ما أكره؛ ذلك بأني لا أدري الخير فيما أحبُّ أم فيما أَكْرَه»[١].

❋ ثالثا: أن يستخير العبدُ ربَّه في كل صغيرة وكبيرة من أمره:

فإذا عرف العبدُ الله العليم الخبير سلَّم له جميع شؤونه؛ ثقة في كمال تدبيره، وهنا شَرَع الله تعالى الاستخارة؛ فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ؛ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ** –أي: حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلها، والنافع منها والضَّارّ– **وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ –**

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي.

فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي به، وَيُسَمِّي حَاجَتَه»[(١)].

❁ رابعًا: أن نحرص على العلم النافع:

لأن الله العيم يحب العلم والعلماء، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله سُبْحَانَهُ عليم يحب كل عليم وَإِنَّمَا يضع علمه عِنْد من يُحِبهُ فَمن أحب الْعلم وأهله فقد أحب مَا أحب الله وَذَلِكَ مِمَّا يدان به»[(٢)].

وقال أيضًا: «أحب الخلق إليه: من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكريم من عباده، عالم يحب العلماء، والعلماء المقصودون هنا هم العلماء العاملون بعلمهم، الداعون إليه، الخائفون من الله، المتواضعون للحق وللخلق، أما من أدى به علمه إلى التكبر والفخر والمباهاة دون العمل والخشية؛ فليس بعالم ولا محبوب لله عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)].

العلم ضرورة شرعية؛ إذ هو من أهم الخطوات في طريق السير إلى الله؛ فمن لم يصحبها من أول قدم يضعها في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليها؛ فسلوكه على غير الطريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، مسدود عنه سبُل الهدى والفلاح.

علم العليم وعقل العاقل اختلفا	**من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا**
فالعقل قال: أنا أحرزت غايته	**والعلم قال: أنا الرحمن بي عرفا**
فأفصح العلم إفصاحًا وقال له:	**بأينا الله في فرقانه اتصفا**

---

(١) رواه البخاري.

(٢) مفتاح دار السعادة.

(٣) أسماء الله الحسنى، لعبد العزيز ناصر الجليل.

فبــان للعقــل أن العلــم ســيِّده   فقبَّل العقل رأس العلم وانصرفا

خامسًا: أن يتواضع العالم لربه:

فيعلم أن علْمه وعلْم العالمين لا يساوي قطرة في بحر علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما أحسن ما وصف به الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ علْم الإنسان بالنسبة إلى علم الله، حينما قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر**»[١].

ويعلم كذلك أن علمه إنما علّمه الله له؛ ليتقي الله فيه، ويعمل به، ويبلّغه الناسَ؛ فإن المعالِم إذا لم يخلص في علْمه ويتقي اللهَ فيه؛ فعِلْمه سبب هلكته.

«**من تعَلَّم العلم ليباهي به العلماء، أو يُماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه؛ أدخله الله جهنم**»[٢].

وكلما كان علْمُ العبد ابتغاء وجه الله؛ كلما ازداد خشية وتقوى لله، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

وفي الحديث: «والله إني لأعْلَمُكم بالله عَزَّوَجَلَّ وأتقاكم له قلبًا»[٣].

وليعلم كذلك أنه مهما عظُم عِلْمه؛ فهناك من هو أعلم منه، وليعتبر بقصة موسى والخضر، وليعلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: **لا أدري؛ فقد سأل رجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي البقاع شرٌّ؟ قال: لا أدري حتى أسأل جبريلَ؛ فسأل جبريلَ فجاء فقال: خير البقاع المساجد، وشرُّها الأسواق**»[٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه ابن ماجه مرفوعا، وصحَّحه الألباني.

(٣) رواه البخاري وأحمد، واللفظ له.

(٤) رواه ابن حبان، وصحَّحه الألباني.

سادسًا: أن نتوسل إلى الله بصفة العلم:

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه **قال:** قال لي رسول الله ﷺ: **«يا شداد بن أوس، إذا رأيتَ الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة؛ فاكنِز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسالك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسالك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، واسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب»**[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَها»**[2].

والشاهد قوله: «أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك» وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن لأحد حصْرُه، ولا الإحاطةُ به.

قال ابن القيم: « في الحديث دليلٌ على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره»[3].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وقال الالباني في الصحيحة: إسناده جيّد.

(٢) رواه أحمد والحاكم وابن حبان، وصحَّحه الالباني في الصحيحة.

(٣) شفاء العليل.

(٣٥) الحيي جل جلاله

-عن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبَراز[١] بلا إزار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**إن الله عز وجل حَيِيٌّ ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[٢].

-وعن سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن ربكم تبارك وتعالى حييٌ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يده أن يردهما صِفرًا»[٣].

قال المبار كفوري: «إن الله حييّ أي كثير الحياء ووصفه تعالى بالحياء يُحمل على ما يليق به كسائر صفاته نؤمن بها ولا نكيِّفها»[٤] ولا نشَبهُها بصفات المخلوقين.

-وعن أبي واقدٍ الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فُرجة في الحلْقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبًا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة. أما أحدهما فأوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه**»[٥].

وقوله: «فاستحيا منه» أي رحمه ولم يعاقبه[٦].

---

(١) البَراز: بالفتح الفضاء الواسع، انظر مختار الصحاح.

(٢) رواه أبوداود والنسائي وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٤) تحفة الأحوزي.

(٥) متفق عليه.

(٦) شرح الزرقاني على الموطأ.

وقيل: جازاه بالثواب[١].

وقال العثيمين: «في هذا الحديث إثبات الحياء لله عز وجل ولكنه ليس كحياء المخلوقين بل هو حياء الكمال يليق بالله عز وجل»[٢].

➢ معنى الاسم في حق الله:

(الحيي) جل جلاله:

هو الذي يستحيي ألا يجيب عباده وألا يعطيهم ما سألوا[٣].

هو الذي يستحيي من هتك العاصي وفضيحته وإحلال العقوبة به، فيستره ويعفو عنه ويغفر له ويتحبب إليه بالنعم، ويستحيي من أن يفضحه يوم القيامة بعد أن ستره في الدنيا[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: «حياء الرب لا تدركه الأفهام ولا تكيفه العقول فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال»[٥].

وقال رحمه الله:

وهو الحيي فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره ... فهو الستير وصاحب الغفران[٦].

---

(١) شرح السيوطي على مسلم.
(٢) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة / علوي السقاف.نقلًا عن شرح رياض الصالحين.
(٣) أسماء الله الحسنى عند أهل السنة / محمد أشرف حجازي.
(٤) فقه الحياء / محمد إسماعيل المقدم.
(٥) مختصر من مدارج السالكين.
(٦) النونية.

وقال الهراس – عليه رحمة الله – في شرحه لهذين البيتين:

«وحياؤه تعالى وصف يليق به ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغيُّر وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب أو يُذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحيي من هتك ستره وفضيحته فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر»[١].

➢ كيف نعبد الله باسمه «الحيي»؟

❋ أولًا: أن نتخلق بخلق الحياء وأن نستحيي من الله حق الحياء:

قال ابن القيم عليه رحمة الله: «من وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بذمامها وأدخلته على ربه وأدنته وقربته من رحمته وصيرته محبوبًا، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء عليم يحب العلماء قوّي يحب المؤمن القوي وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف حييٌّ يحب أهل الحياء..»[٢].

قال الإمام السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله تعالى ساتر للعيوب والفضائح يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقًا بأخلاق الله تعالى»[٣].

الحياء في العبد خلق جميل يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق كل ذي حق.

خلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا بل هو

---

(١) شرح القصيدة النونية / محمد خليل هراس.

(٢) الداء والدواء / ابن القيم.

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي.

خاصة الإنسانية فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة»(١).

انظر كيف صوّر القرآن الكريم خلق الحياء في موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي ابنتي الرجل الصالح اللتين خرجتا من بيت كريم ينضح بالعفاف والطهارة والصيانة وحسن التربية.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٣-٢٥].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ولم يزد على ذلك، لم يسألهما عن اسميهما ولا عن أبيهما، وهل الأغنام ملك لهما أم لهما فيها شركاء، وعما إذا كانتا أو إحداهن متزوجة أم لا، كما يفعل بعض الناس اليوم ويعتبرونه من مزايا التحضر والاندماج الاجتماعي!!

وكذلك الحال في موقف بنتي الرجل الصالح إذ كان جوابهما موجزًا على قدر السؤال ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ ذكرتا مع جوابهما سبب خروجهما، ثم سقى لهما وانصرفتا إلى بيتهما، رجعت إحداهما إليه برسالة من أبيها ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ كأنما الحياء فراش وهي تسير عليه، انظر إلى القرآن وهو يصف المشية داعيًا نساء المؤمنين أن تكون مشيتهن على حياء.

قال عمر بن الخطاب: «ليست بسلفع [جريئة] من النساء خرّاجة ولاّجة ولكن

---

(١) مفتاح دار السعادة / ابن القيم.

جاءت مستترة قد وضعت كُمَّ درعها على وجهها استحياءً»[١].

ثم يبتدئ أهل القراءات قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ موصولًا بقوله ﴿قَالَتۡ﴾ ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ﴾ حتى تكون مشيتها على استحياء وقولها على استحياء فقد خرجت من بيت الحياء.

فالحياء إيمان:

قال ﷺ: «الحياء والايمان قرنا جميعًا فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر»[٢].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مَرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء – وفي رواية وهو يعاتب أخاه على الحياء – يقول: إنك لتستحيي حتى كأنه يقول قد أضرّبك فقال ﷺ: «**دعْه فإن الحياء من الإيمان**»[٣].

وقال ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[٤].

والمعنى: أن هذا الكلام كان على لسان كل نبي لم يُنسخ بل تداوله الناس وتوارثوه وتواصَوا به قرنًا بعد قرن.

ومعناه كذلك أن الحياء يتحكم في أقوال العبد وأفعاله وتصرفاته فلا يقول القبيح ولا يفعله ولا يتحرك إليه.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

---

(١) الدر المنثور في تفسير بالمأثور.
(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه البخاري.



فالتعبد باسم الله الحيي، يدفعنا أن نتخلق بخلق الحياء.

وأن نستحْيي من الله حق الحياء:

إن التعبد باسم الله الحييّ يثمر ولابد عند المؤمن الحياء منه سبحانه من أن يكون على حالة مشينةٍ يكرهها الله، وعلى حسب معرفة العبد بربه وأسمائه وصفاته يكون حياؤه منه، فأعظم الحياء ينبغي أن يكون من الله الذي نتقلب في نعمه وإحسانه ليل نهار ولا نستغني عنه طرفة عين ونحن تحت سمعه وبصره، لا يغيب عنه من قولنا وفعلنا وحالنا شيء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس ٦١].

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: يا رسول الله إنا نستحْيي من الله والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن ما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[(١)].

وحفظ الرأس وما وعى: يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات.

وحفظ البطن وما حوى: يدخل فيه حفظ القلب عن الإصرار على المحرم وحفظ البطن من أن يدخل إليها المحرم وكذلك حفظ الفرج عن الفواحش.

ورُوي في أثر إلهي: يقول الرب عَزَّ وَجَلَّ: ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحيي أن أردَّه ويعصيني ولا يستحيي مني»[(٢)].

وحُكي عن بعض السلف: «خَفِ الله على قدر قدرته عليك واستح منه على

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

(٢) فقه الحياء / محمد إسماعيل المقدم.

قدر قربه منك»[١].

إذا ما خلوت بِريبة في ظلمة　　والنفس داعية إلى الطغيان

فاحفظها من نظر الإله وقل لها　　إن الذي خلق الظلام يراني

إذا ما قال لي ربي..أما استحييت تعصيني.. وتخفي الذنب عن خلقي...

وبالعصيان تأتيني... فما قولي له....لما يعاتبني ويُقصِيني...

من مظاهر ضياع الحياء:

(١) هل عرف الله الحييّ واستحيي من الله حق الحياء؟

من تهاون بأكل الحرام وسماع الحرام وأطلق لسانه يهري ويهرف بالحرام من غيبة ونميمة وكذب وشهادة زور وقول على الله بغير علم وانتهاك حرمات المسلمين والمسلمات واختلاق للأكاذيب والشائعات؟

(٢) هل عرف الله الحييّ واستحيي من الله حق الحياء؟

من أطلق بصره إلى ما حرم الله وتسكع في الطرقات ينظر إلى الرائحات والغاديات وامتلأ قلبه وهاتفه وبيته بالأفلام الهابطة والإباحيات؟

(٣) هل عرف الله الحييّ واستحيي منه حق الحياء؟

من يسمح لزوجته أو لبناته أن يكن خراجات ولاجات يصافحن الرجال ويختلطن بالرجال بلا مسوِّغ ولا موجب؟

(٤) هل عرف الله الحيي واستحيي منه حق الحياء؟

من رضي لزوجته أو لبناته أن يخرجن متبرجات (كاسيات عاريات)متعطرات

---

(١) فتح الباري / ابن حجر.

متجملات مظهرات للزينات مبديات للعورات، والنبي ﷺ يقول: «**وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات...**»[١].

(٥) هل عرف الله الحييّ واستحيي من الله حق الحياء؟

من رضي لبناته أو زوجاته أن يذهبن إلى الطبيب الرجل للعلاج مع وجود الطبيبة الكفء الحاذقة وهنّ كُثُر – وقد تُكشف هناك العورات الغليظة ولا حول ولا قوة إلا بالله – فوالله إن الله الحييّ يغضب لذلك ويسخط على ذلك، وإن العبد الحييّ ليطيش عقله حين يرى ذلك والمرأة الحييّة تأبى ذلك والنفوس الحييّة الأبية تشمئز من ذلك؟

(٦) هل عرف الله الحيي واستحيي من الله حق الحياء؟

رجل يُجلس زوجته على المنصة في ليلة عرسها وهي في أبهى زينة وأجمل حلة ليراها الناس!! ثم يقوم ليتمايل معها أمام الناس!!

لا أقول أين ذهب الحياء؟ ولكن أقول أين ذهب الإيمان؟

(٧) هل عرف الله الحيي واستحيي منه حق الحياء؟

من رضي لابنته أو زوجته أن تظهر على شواطئ البحار عارية أو شبه عارية!؟

أو حتى كاسية بين العرايا؟

(٨) هل عرف الله الحيي واستحيي منه حق الحياء؟

من لم يعرف عن الإسلام إلا اسمه وعن القرآن إلا رسمه بل لا يعرف الواحد منهم فروض الأعيان التي سيُسأل عنها بين يدي الله، في الوقت الذي يعرف كل شيء عن كل شيء!!!؟

---

(١) رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

❋ ثانيًا: أن نستحْيي من الملائكة الكرام:

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –: «قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: إن معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منهم وأكرموهم»، ولا ألأم ممن لا يستحْيي من الكريم العظيم القدر ولا يجله ولا يوقره، وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام وأكرموهم وأجلّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه وإن كان قد يعمل مثل عمله فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟[1].

وكان سفيان الثوري يقول: أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله عز وجل[2].

❋ ثالثا: أن يستحيي العبد من الخلق أن يروه على فعل قبيح:

فالحياء من الخلق يحبه الله وهو داخل في قول النبي ﷺ: «إن الحياء خير كله»[3].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأحزاب:٥٣/].

فالحياء من الناس خلق جميل يمنع من المعايب ويُشيع الخير والعفاف ويعوِّد

---

(١) الجواب الكافي.

(٢) ذم الهوى / ابن الجوزي.

(٣) متفق عليه.

النفس ركوب الخصال المحمودة[١].

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «إن موسى كان رجلًا حيِّيا ستيرًا لا يُرى من جلده شيء استحياءً منه، فأذاه من أذاه من بني اسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أُدْرة [نفخة في الخصية] **وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر!!حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر** [وقف] **فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه فوالله إن بالحجر لنَدَبًا** [علامات باقية] **من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعًا أو خمسًا فذلك قوله:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٩][٢].

وعن سعيد بن يزيد الأنصاري أن رجلًا قال لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: أوصيك أن تستحيي من الله كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك»[٣].

ففي الحديث أقرّ النبي ﷺ الحياء من الخلق وعدّه من محاسن الأخلاق.

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك**»، قال: قلت: يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «**إن استطعت ألا يرينها أحد فلا يرينها**» قال: قلت: يا رسول الله إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: «**الله أحق أن يُستحيى منه**»[٤].

---

(١) فقه الحياء: محمد إسماعيل المقدم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد في الزهد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه أبو داود وحسنه الألباني.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «لا خير فيمن لا يستحْيي من الناس»[١].

وقال بعض السلف لابنه: إذا دعتك نفسك إلى ذنب فارم ببصرك إلى السماء واستحيي ممن فيها، فإلم تفعل فارم ببصرك إلى الأرض واستحيي ممن فيها، فإن كنت لا ممن في السماء تخاف ولا ممن في الأرض تستحيي، فاعدد نفسك في عداد البهائم»[٢].

فهل ربيت ولدك على الحياء؟

فهل علّمت أهلك فقه الحياء؟

إننا بحاجة إلى تربية صادقة صريحة لأنفسنا ولمن نعول!!

❋ رابعًا: أن يستحيي العبد من نفسه:

وهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة..فيجد الإنسان نفسه مستحييًا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيي بإحداهما من الأخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر..»[٣].

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما كَرهتَ أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت»[٤].

ومن استحيى من الناس ولم يستح من الله عز وجل فلعدم معرفته بالله.

فحق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أحدًا من نفسه كأنه يراه، فالإنسان يستحيي ممن يكبر في نفسه، ولذلك لا يستحيي من الحيوان ولا من الأطفال ولا من الذين لا يميزون ويستحيي من العالم أكثر ممن يستحيي من الجاهل، ومن

---

(١) فقه الحياء / محمد إسماعيل المقدم.

(٢) تنبيه الغافلين.

(٣) مدارج السالكين / ابن القيم.

(٤) رواه ابن حبان وانظر صحيح الجامع.

الجماعة أكثر ممن يستحيي من الواحد، فينبغي على الإنسان أن يكون استحياؤه منها أكثر من استحيائه من غيره، ومن ثم قال بعض السلف: من عمل عملًا في السر يستحيي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر(١).

فاعلم أخي الحبيب – رُزقتَ الحياء بأنواعه – أن:

«المرء حينما يفقد حياءه من نفسه يتدرج من سيء إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل..»(٢).

كيف يعود الحياء؟ وكيف نتعبد باسم الله الحيي؟

١- استحضر نعم الله تعالى:

كم مرة مرضت فشفاك، ونزلت بك نازلة فنجاك، وألَمّ بك الجوع والعطش فأطعمك وسقاك، قصدك بالبلايا ليمحو لك الخطايا، تبارزه بالمعاصي ويعفوَ عنك، تهتك ستره ويوالي ستره عليك، تسيء فيحسن، تُذنب فينعم، تقطعه فيصل.

قادر أن إذا أسأت بلسانك أن يحرمك نعمة الكلام.

قادر أن إذا نظرت إلى الحرام أن يحرمك نعمة الإبصار، لكن أمهلك.

أفلا يستحق منك الحياء.

٢- معاهدة القلب وتجديد الإيمان فيه:

فقد قال ﷺ: «إن الإيمان ليَخْلَق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»(٣).

---

(١) فقه الحياء / محمد إسماعيل المقدم.

(٢) خلق المسلم / الغزالي.

(٣) رواه الحاكم بسند حسن.

وتجديد الإيمان في القلب يكون:

بالذكر، بالطاعة، بمجالس العلم، بقراءة القرآن، بزيارة المرضى، بزيارة المقابر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...».

٣-المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها وجماعاتها وخشوعها وخضوعها، ساعتئذ يتحقق بإذن الله قول الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل:٩٠].

٤-استشعارة قرب الله منك وإحاطته بك وقدرته عليك:

وكما قيل: خف الله بقدر قدرته عليك واستح منه بقدر قربه منك».

قال حاتم الأصم: تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتّ فاذكر علم الله فيك»(١).

٥-مصاحبة الصالحين:

وكما قيل: أحْي حياءك بمجالسة من يُستحيا منهم».

فشتان شتان بين كلام تسمعه في مجلس علم وبين كلام تسمعه في مجلس تدخين ومخدرات وخمور، شتان بين ما تسمعه من الصالحين وبين ما تسمعه من الساقطين.

❋ خامسًا: أن ندعو الله تعالى باسمه «الحيي»:

كأن يدعو المؤمن قائلًا: اللهم يا حيي يا كريم أجب دعائي ولا تخيب رجائي واقض حاجتي.

اللهم يا حيي يا كريم ارزقني الحياء واجعلني من أهله.

---

(١) حلية الأولياء م أبو نعيم، نزهة الفضلاء: محمد موسى الشريف.

(٣٦) السِّتِير جل جلاله

عن يعلى بن أمية رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبرَاز بلا إزار فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن الله حييٌّ ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»(١).

وقد اشتُهر اسم الستير عند بعض الناس بأنه الستار أو الساتر حتى سمعنا من الناس من تسمَّى به، سمعنا من يقول: يا ساتر أو يا ستار، وهذا كله خطأ، فالصحيح الثابت أن من أسماء الله الحسنى اسم الله «الستير»، ومن صفات الله العلا صفة «السِّتْر».

معنى الاسم فى حق الله:

(الستير) جل جلاله: هو الذي يحب السِّتر ويُرغب فيه ويحث عليه.

(الستير) جل جلاله: هو الذي من شأنه وإرادته وصفته حب الستر والصون.

(الستير) جل جلاله: هو كثير الستر لعيوب عباده.

(الستير) جل جلاله: هو الذي يستر القبائح في الدنيا ويستر الفضائح في الآخرة.

نعمة السِّتر:

الستر: صفة من صفات ربنا جل جلاله، وهي من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠].

قال عكرمة عن ابن عباس: النعمة الظاهرة: الإسلام والقرآن، والباطنة: ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة(٢).

---

(١) رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

(٢) تفسير البغوي.

فمن أعظم نعم الله عليك أن يشملك بستره الجميل.

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف:٢٦].

يواري سوءاتكم: أي يستر عوراتكم، وسميت العورة سوأة؛ لأنه يسوء صاحبَها انكشافُها.

ولباس التقوى ذلك خير: أي كما سترنا ظواهرنا باللباس الظاهر ينبغي أن نستر بواطننا بتعميرها بالتقوى والأعمال الصالحة، فيكون العبد قد تخلق باسم الله «الستير» واتصف بصفة «الستر».

لكن للأسف الشديد يأبي بعض الخلق إلا أن يكشف ذلك الستر وينزع ذلك الرداء فيسقط منه الحياء ويُنزع منه الستر!!

لأجْل الستر:

-لأجل الستر كره الله تعالى إشاعة السوء حتى لو كانت صادقة وكره الذين يشيعونها وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾ [النور:١٩].

إذا قلبنا النظر في مجتمعات المسلمين نرى ظاهرة نشر الفضائح وإشاعة القبائح قد انتشرت انتشارًا مُرَوِّعًا عبر الهواتف المحمولة وصفحات (الانترنت) وشاشات الفضائيات، فلا دين يمنع، ولا خلق يردع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن من الناس ناسًا – عياذا بالله – كالشياطين يحبون سماع السوء ويتلذذون بإذاعته وإشاعته يتصدرون المجالس خوضًا في أعراض المسلمين وهتكًا في مستورهم، الظن

عندهم يقين، والإشاعة في منطقهم حقيقة، والهفوة في ميزانهم خلق دائم، لا يملون من تكرار الأخبار المشئومة، ولا يفترون من ترصد الأحداث المرذولة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الناس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيبات فلا يلوى عليها [أي لا يقف عليها] وهكذا كثير من الناس يسمع منك، ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه، فإذا رأى سقطة أو كلمة عوراء وجد بُغيته وما يناسبها فجعلها فاكهته..»(١).

فالمؤمن إذا سمع ما لا يليق بمؤمن لا يحل له أبدًا أن يروِّجه، بل لا يحل له أبدًا أن يفرح به، فإن فرح به فليس مؤمنًا، وإن روّجه فقد تسبب في فتن لا يعلم مداها إلا الله، ولهذا قال الله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩].

وإذا كان نشر الفضائح قد ذم الشرع فاعلها وتوّعده بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة فكيف بمن يتهمون الآخرين بالظن ويشيعون التهم بالوهم، يفترون على الأبرياء ويشوهون صورة الفضلاء ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥].

قال الفضيل بن عياض: «المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيِّر»(٢).

-ولأجل الستر شرع الإسلام حد القذف:

حماية للأعراض من أن تكون كلأً مباحًا.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

(١) مدارج السالكين.

(٢) جامع العلوم والحكم.

رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [النور:٤-٥].

بل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور:٢٣- ٢٥].

-ولأجل الستر نهى الإسلام عن سوء الظن كما نهى عن التجسس:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

وهل سوء الظن والتجسس إلا بحث عن عيب المسلم وتتبع لعوراته؟!

ولقد أدّب النبي ﷺ أمته فأحسن تأديبها يوم أن ظهر غضبه، واحتدت نبرته فخطب يقول: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**»[1].

بهذا المنهج القويم وهذه العفة الرحيمة تربى الصحابة رضي الله عنهم، فستروا عيوب الناس وطوَوا معايبهم فنجوا في الدنيا والاخرة.

-ولأجل الستر نعى الله تعالى على الذين لا يستترون من جوارحهم وأعضائهم:

فما أجمل الستر وما أعظم بركته وأبهى حلته!!

الستر جوهرة نفيسة وعُملة ثمينة وسلوك راقٍ به تحفظ الأمة بنيانها ويبقى لها كيانها وتدوم لها أخلاقها..

من أعظم النعم التي لا تفكر فيها أن تنال ستر الله عليك..

---

(١) رواه الإمام احمد وأبو داود وابن حبان وصححه الألباني.

فماذا لو كشف سترة عنك؟

ماذا لو كانت للذنوب رائحة؟ هل يستطيع بعضنا أن يجالس بعضًا؟

ماذا لو كُتبت ذنوبنا على جباهنا فاطلع عليها الناس؟

ماذا لو كتبت على جدران بيوتنا الذنوب التي يقترفها هذا البيت أو ذاك؟

كم أسرةٍ ستُحطم لو كُشف ستر الله؟!

كم زوجة ستُطلق لو كُشف ستر الله؟

كم رحم ستُقطع لو كشف ستر الله؟

كم خليل سيفارق خليله لو كشف ستر الله؟

كم صداقات ستُمزق وعلاقات ستبيد لو كشف ستر الله؟

وكأن العبد قد أُمر أن يستتر حتى من نفسه التي بين جنبيه لأنها – من جانب – عنده كبيرة ومن جانب آخر هي شاهدة عليه يوم القيامة.

قال عز من قائل: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ١٩ -٢٤].

-ولأجل الستر أمر الله بغض الأبصار وحدد العورات وفصّل الزينات:

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

في هاتين الآيتين الكريمتين يأمر الله تعالى الرجال والنساء على حدٍ سواء بغض البصر كما بيّن حدود العورات وفصَّل لمن تظهر الزينات، كل ذلك لأجل الستر.

-ولأجل الستر شرع الله الاستئذان وفصّل آدابه التي يجب على المؤمن أن يتحلى بها:

فقد قال ﷺ: «إنما جُعل الإذن من أجل البصر»[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور: ٢٧-٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النور: ٥٨].

---

(١) صحيح الأدب المفرد.

➢ **كيف نعبد الله باسمه «الستير»؟**

(كيف يفوز العبد بستر الله عليه؟)

أسباب الفوز بستر الله:

١- أن نحرص على الإخلاص ونحذر الرياء:

فمن أخلص لله تعالى في أقواله وأعماله وتصرفاته ستره الله في الدنيا والآخرة ومن رآءى فضحه الله – فنعوذ بالله من الرياء وأهله ونسأل الله الإخلاص في القول والعمل –.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «من سمّع سمّع الله به ومن راءى راءى الله به»[1].

ومعنى «سمّع» أي أراد بعمله السُمعة والذكر الحسن، ومعنى «سمّع الله به» أي كشفه على حقيقته وفضح أمره.

ومعنى «راءى» أي أراد بعمله ثناء الناس، «ومعنى «راءى الله به» أي أطلع الله الناس على حقيقته، وأنه لا يعمل لوجه الله فيذمه الناس مع استحقاق سخط الله عليه.

٢- أن يستر العبد على نفسه، ولا يجاهر بالمعاصي:

فالمؤمن إذا وقع في معصية أو ارتكب الذنب ستر نفسه – حتى عن أقرب أقربائه وأصفى أصفيائه – وتاب، تاب الله عليه وستره في الدنيا والآخرة، لكن الفاجر من يقع في الذنب ليلًا ثم يفضح نفسه نهارًا، وأفجر منه من يتباهى بذلك عياذًا بالله!!

كيف يتباهى العبد بالبلايا؟ كيف يتباهى العبد بالقاذورات؟

---

(١) متفق عليه.

وقد قال ﷺ: «**اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن أتم بشيء منها فليستتر بستر الله...**»[١].

فليس من العافية ولا من العقل أن يجاهر العبد بالمعصية أو يباهي بها، وليس من العافية تسميع العباد بالخفيات وخطايا الخلوات.

يقول ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرون وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: «يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ثم يصبح يكشف ستر الله عليه**»[٢].

الستر على النفس بعد الخطيئة مطلب شرعي وعمل فاضل يُرجى لصاحبه أن يُكرمه ربه بالستر عليه في الآخرة.

عن ابن عمر أن رجلًا سأله: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: يدنو أحدكم من ربه، حتى يضع كنفه عليه، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، **ثم يقول**: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[٣].

وفي رواية: «**فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، فيُعطي صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيُنادي بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله**»[٤].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) متفق عليه.

المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها [يعني أنه استمتع بها ولم يقع في الزنا] فأنا هذا، فاقض فِيّ ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت على نفسك!! فلم يَرُدّ النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي ﷺ رجلًا دعاه وتلا عليه الآية: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤]، فقام رجل من القوم وقال يا نبي الله هل له خاصة؟ قال: **«بل للناس كافة»**[١].

فالمؤمن إذا وقع في معصية أو قصر في واجب بالغ في الستر على نفسه رجاء ستر الله عليه، كما ورد عن بعض السلف أنه خرج إلى الصلاة فاستقبله الناس خارجين من المسجد فغطى وجهه ورجع[٢].

٣- أن تستر على أخيك المسلم:

فإن الله جل جلاله يعاملك بذات المعاملة التي تعامل بها الناس، فمن حَرَص على ستر الناس حَرَصَ الله على ستره في الدنيا والآخرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من نفس من مؤمن كربة من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن يَسّر على مُعسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..»[٣].

وعنه أن النبي ﷺ قال: «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) النهج الأسمى: محمد الحمود النجدي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»(١).

ورغّب النبي ﷺ في ستر المؤمن حتى بعد موته.

فقال ﷺ: «من غسل ميتًا فستره ستره الله من الذنوب ومن كفنه كساه الله من السندس»(٢).

وكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره به»(٣).

وكان بعض السلف يقول: «أدركت أقوامًا لم يكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت أقوامًا كانت له عيوب فكفُّوا عن عيوب الناس فنُسيت عيوبهم»(٤).

إذا شئت أن تحيا سليمًا من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صيّن

لسانك لا تلفظ به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسنُ

وعينك إن أبدت إليك مساوئًا ... فصنها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من ... وجادل ولكن بالتي هي أحسن

ويذكر أهل السير: أن جرير بن عبد الله البجلي كان عند عمر في خلافته ومعه جماعة من الناس وهم ينتظرون الصلاة، فخرج ريح من أحدهم وخشي عمر أن يحمل الخجل صاحب الريح على الدخول في الصلاة، فقال: عزمت على صاحب

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع ز.

(٣) رواه ابن أبي شيبة وصححه الحافظ في الفتح.

(٤) جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي.

الريح أن يتوضأ، فقال جرير: يا أمير المؤمنين أوْ يتوضأ القوم جميعًا، ففرح عمر بحكمة جرير وفطنته وقال له: رحمك الله نعم السيد كنت في الجاهلية ونعم السيد أنت في الإسلام![(١)].

٤- أن نكظم الغيظ ونكتم الغضب:

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «...ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة...»[(٢)].

٥- الحذر من إفشاء الأسرار الزوجية:

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «هل منكم رجل أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟ قالوا: نعم، قال: ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا وفعلت كذا وفعلت كذا؟ فسكتوا، ثم أقبل على النساء فقال: منكن من تُحدِّث؟ فسكتْن، فجثت فتاةٌ كَعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله إنهم ليتحدَّثون وإنهن ليتحدِّثن، فقال: هل تدرون ما مَثَلُ ذلك؟ إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانًا في السكة فقضي حاجته والناس ينظرون»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن من شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر سرّها»[(٤)].

فإذا كان من ستر مسلمًا ستره الله، فكيف بمن ستر أهله وبيته ورحمه وجاره؟

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير، السير: الذهبي، وصفة الصفوة ابن الجوزي، حياة الصحابة: الكاندهلوي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج وحسنه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم.

٦- الحجاب:

الحجاب سترٌ وعفاف، وطهارة، وصيانة، وطاعةٌ وإيمان، وحياء.

قال سبحانه: (وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) [الأحزاب: ٥٣]، فإذا كان لأحدكم عند المرأة حاجة، فليسألها من وراء ستر، والستر، حجابها، أو حاجزٌ يكون بينك وبينها.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ بأنهن عفائف ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ فلا يتعرض لهن الفساق بأذى من قول أو فعل، وذلك لأن التي تبالغ في التستر حتى تحجب وجهها لا يُطمع فيها أنها تكشف عورتها[١].

وقال ﷺ: «**ما من امراة تخلع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت ما بينها وبين الله من حجاب**»[٢].

فالتي تخلع ثوبها في غير بيت أهلها فقد خلعت الستر الذي سترها الله به.

فالحجاب ستر، والكون كله يرتديه:

قامت معلمة في إحدى المدارس بعمل درس نموذجي للطالبات عن الحجاب، قامت بتوزيع مجموعة من الحلوى بعضها كان بغلافه المصنّع به، وبعضها كان بدون غلاف، بعد أن انتهت من التوزيع، وجدت أن جميع الطالبات قد أخذت الحلوى ذات الغلاف، فقامت وقالت: لِمَ لمْ تأخذن الحلوى التي ليس لها غلاف؟

➲ **فكان الجواب بكل تأكيد هو:** لأن الحلوى التي ليس لها غلاف قد تكون

---

(١) عودة إلى الحجاب.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

مجرثمة أو متسخة، فليست مضمونة، وبالتالي قد تضرنا، فقالت المعلمة: هذه الحلوى مثلكن والغلاف مثل الحجاب!!

انتهى الدرس..

كثيرات لا يؤمن بالحجاب!! أو يؤمنّ به ولكن لا يستترن به!!

مع أن الكون كله يستتر به!!

الكرة الأرضية عليها غلاف.

الثمار الندية عليها غلاف.

السيف يُحفظ داخل غلاف.

القلم بدون غطاء يَجف حِبره، وتنعدم فائدته ويُلقى تحت القدام لأنه فقد الغطاء.

التفاحة لو نُزعت قشرتها فتُركت فسدت.

الموز لو نزعت قشرته تغير لونه وطعمه.

هل يُغلَّف كثير من أبنائنا وبناتنا كتبهم ودفاترهم إلا لحمايتها؟!

المرأة زهرة جميلة وجوهرة مصونة يجب أن تستتر بالحجاب إذا أرادت سِتر الله تعالى.

٧- الدعاء:

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قال:** لم يكن رسول الله ﷺ يدع هذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة وديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»[١].

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

أخيرًا:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «للعبد ستران ستر بينه وبين ربه وآخر بينه وبين الخلق فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله ستره بين الخلق»[١].

(١) الفوائد.

(٣٧) الكبير جل جلاله

قال تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢] وقال تعالى-عن المرأة-: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان:٣٠].

معنى الاسم في حق الله:

(**الكبير**) جل جلاله: هو الذي كلُّ شيء تحت قهره وسلطانه وعظَمَتِه، لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العليُّ الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدَّس، وتنزّه وعز وجل عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا(١).

(**الكبير**) جل جلاله: هو الكبير في أوصافه؛ فلا سَمِيَّ له ولا مثيل، ولا شبيه ولا نظير له ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وهو الكبير في أفعاله؛ فعظمة الخلق تشهد بكماله وجلاله ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧].

فسبحانه! أكبر من مشابهة المخلوقات؛ كل ما يخطر ببالك؛ فالله فوق ذلك.

(**الكبير**) جل جلاله: هو الذي كل شيء دونه، ولا شيء أعظم منه(٢).

(**الكبير**) جل جلاله: هو المصرِّف عباده على ما يريد من أمرٍ أو نهيٍ بكمال حكْمته وعدْله، لا يُقْضَى دونه أمْرٌ، ولا يَردُّ حُكْمَه وقضاءَه أحدٌ في الكون.

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) تفسير الطبري.

التكبير: فضائله ومواطنه:

بتكبير الله وتعظيمه تُحَلُّ الكروب، وتزول الخطوب، وتُرفَع الهموم، وتنقشع الغموم، بتكبير الله وتعظيمه يصفو العيْشُ، ويُشفَى الداءُ.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قول العبد: الله أكبر خيرٌ من الدنيا وما فيها»(١).

وحسْبُك ما رواه مسلمٌ عن ابن عمر رضي الله عنهما **قال:** «بينما نحن نصلّي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا؛ فقال ﷺ: «**مَن القائل كذا وكذا؟**» قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: «**عَجِبْتُ لها! فُتِحَتْ لها أبواب السماء**»، قال ابن عمر: فما تركْتُهن منذ سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك.

وقال ﷺ: «**أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله! والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرُّك بأيّهنّ بدأتَ**»(٢).

وفي رواية البخاري: «أفضل الكلام أربع...».

هذه الكلمات الأربع هي الباقيات الصالحات كما عند كثير من السلف؛ فقد قال ﷺ: «**ألا وإن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر هنَّ الباقيات الصالحات**»(٣).

وقال ﷺ: «**خذوا جُنَّتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجنِّبات، وهنّ الباقيات الصالحات**»(٤).

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد في المسند، وقال محقِّقُه: صحيح لغيره.

(٤) رواه النسائي والحاكم، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع.

مقدمات: أي لقائلها، معقّبات: لأن كل من عمل عملًا ثم عاد إليه فقد عقب، ومجنبات: أي للنار والعذاب.

تأمَّل ذلك، واقرأ قول الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦] تعلمْ أن مَن لديه مالٌ كثيرٌ، أو جاه عريضٌ، أو حياة ناعمةٌ، أو غير ذلك؛ فكل ذلك صغير وحقير أمام: الله أكبر، وسبحان الله! والحمد لله، ولا إله إلا الله؛ لأن هذه الكلمات مَن قالها بقلبه وداوم عليها؛ حَقَّقَتْ له الأجر العظيم في الآخرة، والسعادَةَ العارمة في الدنيا.

ولِعِظَم التكبير وشَرَفه وأثَرِه؛ شرعه الله تعالى في مواطن كثيرة؛ لِيَظَلَّ هذا المعنى مركوزًا في قلب العبد، مغروسا في نفسه، ومن هذه المواطِن:

١- الصلاة.

فالتكبير شعار الصلاة، ندخُل به في الصلاة، ونتتقل به في الصلاة، بل قبل الصلاة، الأذان والإقامة يبدآن بالتكبير، وبعد الصلاة؛ فأذكار الصلاة تشتمل على التكبير.

٢- التكبير بعد الصيام.

في عيد الفطر إلى أن تنقضي الصلاة، كما قال الله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥] والتكبير هنا يشير إلى معنى الهداية.

٣- التكبير في مناسك الحج.

في الطواف، وعند رمْيِ الجمَرات، وفي غيرها من المواطن.

٤- التكبير في الهدْيِ والأضاحي.

٥- التكبير في صلاة العيدين.

٦- التكبير عند رؤية الهلال.

فقد كان ﷺ إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر اللهم أهِلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله»(١).

٧- التكبير في العشر من ذي الحجة وأيام التشريق.

٨- التكبير عند ركوب الدابّة.

فقد كان ﷺ إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سَفَر كبَّر ثلاثا(٢).

٩- التكبير عند الصعود.

فقد كان ﷺ يوصي المسافر قائلًا: «أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شَرَفٍ؛ فلما ولَّى قال: اللهم اطْوِ له البعيد، وهَوِّن عليه السفر»(٣).

١٠- التكبير عند الذبح.

١١- التكبير عند سماع ما يسُرّ.

لما قال النبي ﷺ لأصحابه: «إني لأطمع أن تكونوا ثُلُث أهل الجنة» قال أبو سعيد: فحَمِدْنا الله وكبَّرْنا»(٤).

١٢- التكبير في ساحة الجهاد.

لما لجأ يهود خيبر إلى حصونهم قال ﷺ: «الله أكبر! الله أكبر! خَرِبَتْ خيبر؛ إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين»(٥) **وغيرها من المواطن.**

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد في المسند.

(٤) رواه الشيخان.

(٥) متفق عليه.

إن تَكرار التكبير في هذه المواطن وغيرها له الأثر الإيمانيُّ في حياة المسلم؛ فهو يجدّد عهْد الإيمان، ويقوّي الميثاق الغليظ والارتباط بالله العليّ الكبير، ومعه تطمئن النفوس إذا اضطربت، وتسكن القلوبُ إذا حارتْ، وتنام العيون إذا سهرتْ.

➢ كيف نعبد الله باسمه الكبير؟

✵ أولًا: أن نعتقد أن الله اكبر من كل شيء:

أكبر من مالك وعيالك، من زوجك، من منصبك، من جاهك ووظيفتك، من كل شيء؛ فهل الله عندك أكبر من كل شيء؟ إذا سمعْتَ نداءه لا تقدم عليه شيئا؟

ويكاد يكون معنى (الله أكبر) هو معنى قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

فإذا كان الله عندك أكبرَ؛ لم يكن في قلبك حبٌّ أكبر من حبّه، ولا قُرْبٌ أحبّ إليك من قُرْبه، كما قال ﷺ: «**أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار**»(١).

سئلَتْ عائشة رضي الله عنها ماذا كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله؛ فإذا سمِع الأذان خرج»(٢).

الله أكبر من كل ما يُشغِل أو يُلْهي أو يُؤَخِّر أو يمنع المسلمَ من الصلاة.

إن تفعيلنا لهذه الكلمة في الصلاة؛ يجعل المصلي يُقبل عليها بقلب خاشع لله، مُستَحضرٍ اليقظة والانتباه، منفصلٍ عن دنياه، مستغرقٍ في مناجاة مولاه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

وقد أُذِّن للصلاة يومًا؛ فبحث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رجل بعينه فلم يجدْه؛ فذهَب وناداه؛ فأجاب الرجلُ: لبّيْك عم؛ فقال: ويْحك! يناديك الله إلى الصلاة فلا تلبّي، ويناديك عمرُ فتُجيب! ليَكُونَنَّ لي معك شأنٌ آخَر!

وقد عهِد عبد العزيز بن مروان بابنه عمر إلى مؤدِّبِه صالح بن كيسان؛ فتأخّر الغلام يومًا عن الصلاة؛ فسأله أستاذُه: فقال: كانت مُرجّلتي تُرَجّلني؛ فقال: أبَلَغَ بك حبُّك لشَعركَ أن تُقدّمه على الصلاة! وأمَره بحلْق شَعره[1].

الله أكبر من أن تدركه الأبصار! أكبر من أن نحيط به علمًا! قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

أكبر من أن نعرف كيفية ذاته أوصفاته! ولهذا نُهينا عن التفكر في ذلك؛ لأننا لن ندرك ذلك بعقولنا الصغيرة القاصرة المحدودة؛ فقد قال ﷺ: «**تفكّروا في آلاء الله، ولا تفكَّروا في الله**»[2].

وقد وقع الفلاسفةُ في ذلك، وحاولوا أن يُدركوا كيفية وماهية ربهم بعقولهم فتاهوا، وضلُّوا ضلالًا بعيدًا، ولم يجنوا سوى الحيرة والتخبُّط والتناقض فيما سطروه من الأقوال والمعتقدات[3].

❋ ثانيًا: أن يعتقد العبد أن الكبير جَلَّ جَلَالُهُ ينتقم للضعفاء من الأقوياء، وللمظلومين من الظالمين:

فمَن عرَف ذلك أقلع عن الظلم والبغي والاعتداء، كما جاء بيانُ ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة.

(٣) المعاني الإيمانية، وحيد بالي.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء:٣٤].

ففي هذه الآية يهدد الله تعالى الرجالَ ويتوعّدهم إذا بغوا على النساء أو ظلموهنّ؛ فإن العليَّ الكبير وليُّهنَّ، وهو منتقمٌ ممن ظلمهنَّ وبغى عليهنّ.

❋ ثالثا: أن تعتقد يقينا أن رضاه عنك أكبر من كل شيء، وأن يكون ذلك واقعا في قلبك وحياتك:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].

والمعنى: أن رضا الله عنهم أكبر وأجلّ! وأعظم مما هم فيه من النعيم[(١)].

وقال ﷺ: «إن الله – تبارك وتعالى – يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبّيك ربنا وسعْدَيْك؛ فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تُعط أحدًا من خلْقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلّ عليكم رضواني؛ فلا أسخط عليكم بعده أبدا»[(٢)].

وفي رواية الحاكم: «يقول الله: هل تشتهون شيئا فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا، وما فوق ما أعطيتنا؟ فيقول: رضواني أكبر».

❋ رابعًا: أن ندعوا الله تعالى باسمه الكبير:

كأن يقول العبد:

أسألك اللهم باسمك الكبير، أن تعينني على ذكرك وشكرك وتسبيحك

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) متفق عليه.

وتحميدك وتكبيرك، وحسن عبادتك.

أسألك اللهم باسمك الكبير أن تنصرني على من ظلمني، وأن تمكن لي في الأرض.

أسألك اللهم باسمك الكبير أن ترضى عني، وأن تجعل رضاك عندي أكبر من كل شيء.

(٣٨)(٣٩)(٤٠) الْعَلِيُّ، الأَعْلَى، الْمُتَعَال جل جلاله

• قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

• وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١].

• وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٩].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

• (الْعَلِيُّ، الأَعْلَى، الْمُتَعَال) جل جلاله: «هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

- علو الذات -علو المكان-.

- علو القدر والصفات -علو المكانة-.

- علو القهر والكبرياء.

فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال، والجمال، وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى»[1].

١- علو الذات - المكان: فالله (جل جلاله) عليٌ بذاته مستوٍ على عرشه، وعرشه فوق مخلوقاته، وهو مع ذلك مطلعٌ على أحوالهم، مشاهدٌ لهم، مدبرٌ لأمورهم الظاهرة والباطنة.

• **قال تعالى:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه:٥].

---

(١) تفسير السعدي.

أي: ذاته «فوق العرش عاليةٌ عليةٌ»(١).

● **وقال تعالى**: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣].

٢- علو القدر والصفات- المكانة-: فكل صفة من صفاته سبحانة عظيمة وعليا، فهو الأعلى، ووجهه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وبصره الأعلى، وهكذا سائر الصفات، فلا يقدر أحد من الخلائق من أولهم إلى آخرهم، من إنسهم وجنهم، أن يحيطوا بصفة من صفاته العلا، وما يستحقه فيها من الجمال والكمال، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠].

٣- علو القهر والغلبة والكبرياء والعظمة: فسبحانه لا ينازعه منازعٌ ولا يغلبه غالبٌ، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

الفرق بين «الْـعَـلـيُّ» و«الْأَعْـلَى» و«الْـمُـتْـعَـال»:

○ «الْـعَـلـيُّ» يعطِي صفة العلو المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات.

○ و«**الْأَعْـلَى**»: فيه معنى المفاضلة، بمعنى أن له العلو، ولا أحد يعلوه، فهو الأعلى من كل أحد، ومن كل شيء.

○ و«الْمُـتْـعَـال» عن كل شريك، وظهير، ونصير، وعن إفك المفترين، وإلحاد الملحدين.

وقيل: الْـعَـلـيُّ في مكانه، الْأَعْـلَى في مكانته، الْـمُـتْـعَـال في قهره وغلبته.

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم.

➢ كيف نعبد الله بأسمائه «الْعَلِيُّ»، «الْأَعْلَى»، «الْمُتَعَال»؟

❋ أولًا: أن نُثبتَ لله تعالى العلوّ المطلق بكل معانيه، مع استشعارها:

أن نستشعر علوّ مكانه، وعلو مكانته، وعلو قهره وغلبته، ومع هذا العلو فإنه (ﷻ) معنا بعلمه، لا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

❋ ثانيًا: أن يكون الله ﷻ الْأَعْلَى في قلوبنا:

فلا نقدّم حبًّا على حبه، ولا حُكمًا على حكمه، ولا قولًا على قوله، ولا شيئًا عليه سبحانه.

❑ في جو المحنة، ورغم الجراحات والمرارة والألم الذي أصاب المسلمين في غزوة أحد يغرس النبي ﷺ هذا المعنى في قلوب أصحابه.

قام أبو سفيان متعاليًا مفتخرًا قائلًا: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مُثْلَةً [قطع الأنوف، وبقر البطون ونحو ذلك] لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز: أُعْلُ هُبَل أُعْلُ هُبَل أُعْلُ هُبَل، فقال: النبي ﷺ: «**ألا تجيبوه؟!**» قالوا: يا رسول الله ماذا نقول؟

قال: «**قولوا: الله أعلى وأجلّ**»، فقال: إن لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، قال: النبي ﷺ: «**ألا تجيبوه؟**»

قالوا: يا رسول الله ماذا نقول؟

قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**»(١).

وإذا كان الله تعالى هو الأعلى في قلوبنا، كان لزامًا علينا أن نتوجه إليه بحاجاتنا وسؤالاتنا، ونقصده بأقوالنا وأعمالنا.

• **قال عزّ من قائل:** ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل:١٩، ٢٠].

❋ ثالثا: أن نصحح عقيدتنا في مكان الله سبحانه:

فالله (ﷻ) ليس في كل مكان كما تزعم العامة والصغار!

الله سبحانه في السماء على العرش استوى.

فنتعلم ونُعلِّم العامة والصغار أن الله تعالى في السماء وهو مع ذلك يرانا ويسمعنا ويعلم جميع ما نعمل من خير أو شر.

فقد كثرت البراهين وتنوعت الدلائل وأجمعت كلمة العلماء على علوِّ الله على خلقه وأنه في السماء.

وليس معنى أنه في السماء أنها تحيط به!

فالله أعظم وأجلّ من أن يحيط به شيءٌ من خلقه، فـ «في» بمعنى «على» كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١].

○ لما حكم سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بني قريظة أن يُقتّل منهم كلّ من جرت عليه الموسى، وأن تُسبى ذراريهم، وأن تقسم أموالهم، فقال: ﷺ: «**لقد**

---

(١) رواه البخاري.

حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فوق سبع سماوات»(١).

▼ **وكان:** ﷺ يقول: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢).

○ **وعن معاوية بن الحكم السُّلميّ:** كانت لي جاريةٌ ترعى غنمًا لي قِبلَ أُحد والجوانية، فاطلعتُ ذات يوم، فإذا الذِّئبُ قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسَفُ كما يأسفون [أغضب كما يغضبون]، لكنِّي صككتُها صكَّة، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسولَ الله، أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**»، فأتيتُه بها، فقال لها: «**أينَ الله؟**» قالت: في السَّماء، قال: مَن أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعْتِقْها، فإنَّها مؤمنة**»(٣).

❋ رابعًا: أن نتواضع له سبحانه ونتذلل بين يديه:

فالْعَليُّ الْأَعْـلَى الْـمُتْـعَال سبحانه لابد أن نذل له، وهذا المعنى مع التعظيم ركنا العبادة وحقيقتها.

○ **قال ابن القيم (رحمه الله تعالى):** «العبادة تجمع أصلين: غاية الحب، بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريقٌ معبَّدٌ أي مذللٌ، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له، لم تكن عابدًا، ومن خضعت له بلا محبة، لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًّا خاضعًا»(٤).

والخضوع لا يكون إلا للعليّ الأعلى (جل جلاله).

---

(١) رواه النسائي في الكبرى والحاكم وغيرهما وصححه الألباني.

(٢) صحيح الترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) مدارج السالكين.

▼ **وهذا هو السر في أننا نعلنها ونحن سجود:** سبحان ربي الأعلى.

o **قال ابن القيم (رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى):** «وكان وصف الرب بالعلو في هذه الحال في غاية المناسبة لحال الساجد الذي قد انحط إلى السُّفل على وجهه، فذكر علوَّ ربه في حال سقوطه، كما ذكر عظمته في ركوعه.....»(١).

والحذر كل الحذر من العلو في الأرض بغير الحق، من ظلم العباد والتكبر عليهم، والاعتداء على حقوقهم، فإن العبد مهما قدر فالله أقدر، ومهما كبُر فالله أكبر، ومهما علا فالله أعلى، الله فوقه يراه ويقتص للمظلومين ممن ظلمهم، فما من جبار في الأرض إلا وقصمه الله تعالى وأهلكه.

ولذلك لما ذكر الله تعالى نشوزَ المرأة وعلاجَ ذلك في سورة النساء قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء:٣٤].

o **قال الإمام القاسمي:** «فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الإنصاف منكم، فالله سبحانه عليٌّ قاهرٌ كبيرٌ قادرٌ، ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فلا تغتروا بكونكم أعلى يدًا منهن، فإن الله أعلى منكم، وأقدر منكم عليهن، فختْمُ الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة»(٢).

فَمَن تَعَالى، وَضعه الله، كما قال ﷺ: «**حقٌ على الله ألا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه**»(٣).

▼ **وصدق من قال:** الدنيا إذا حلت أوحلت، وإذا كست أوكست، وكم من

---

(١) الصلاة وحكم تاركها.

(٢) تفسير القاسمي.

(٣) رواه البخاري.

ملكٍ له علامات، فلما علا مات.

❁ خامسًا: من أراد العلو، فليطع العليَّ (جل جلاله):

وذاك هو العلو بحق، يهبه الله تعالى لمن أطاعه من عباده.

• **فمن أسباب العلو مايلي:**

⇐١- الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥﴾ [طه:٧٥].

فلا شيء يرفع العبد ويُعلي قدره ومنزلته كما يرفعه الإيمان بالله والعمل الصالح.

⇐٢- العلم:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

فبالعلم يُرفع العبد المملوك مجالس الملوك.

العلـم يرفـع بيوتًـا لا عمـاد لهـا ... والجهــل يخفــض بيــت العــز

○ **قال إبراهيم بن إسحاق الحربي:** «كان عطاء بن أبي رباح عبدًا أسود لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاء، فجاء سليمان بن عبد الملك -أمير المؤمنين- إلى عطاء، هو وابناه، فجلسوا إلى عطاء في مكة، وكان مفتيها في زمانه رضي الله عنه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما، فقال: يا بنيَّا لا تنيا في طلب العلم -أي: لا تقصرا ولا تتعبا في طلب العلم- فإني لا أنسى ذُلنا بين يدي هذا العبد»[١].

---

(١) الفقيه والمتفقه للبغدادي،وصفة الصفوة لابن الجوزي.

❍ **قال سفيان بن عيينة:** «أرفع الناس منزلة عند الله، من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء»(١).

❍ **وقال عبد الله بن داود:** «إن هذا الحديث عِزٌّ، فمن أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الآخرة وجدها»(٢).

⇐٣- القرآن:

عن نافع بن عبد الحارث أنه لقيَ عمربن الخطاب بعُسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟

فقال ابن أَبْزَى، قال: ومن ابن أبزى؟

قال: مولى من موالينا، قال عمر: استخلفت عليهم مولى؟

قال: إنه قارئٌ لكتاب الله ﷻ وإنه عالمٌ بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»(٣).

⇐ ٤- التواضع:

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما من آدمي إلا في رأسه حَكَمةٌ بيد ملكٍ، فإذا تواضع، قيل للملك: ارفع حَكمته، وإذا تكبَّر، قيل للملك: ضع حكمته»(٤).

❍ **وفي الحديث: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»**(٥).

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الطبراني في الكبير،وقال الألباني: صحيح لغيره.

(٥) رواه مسلم.

⇐ **٥- الشهادة في سبيل الله:**

○ **يقول ﷺ: «إن أرواح الشهداء في جوف طير خُضْر، لها قناديلُ معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل»**(١).

○ وعَنْ أبي هريرة، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«إنَّ في الجنَّةِ مائَةَ درجةٍ أعدَّهَا الله للمُجَاهِدينَ في سبيلِ الله مَا بيْن الدَّرجَتَينِ كَمَا بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ»**(٢).

○ ولمّا جاءت أُمُّ حارثة بن سُراقَة، إلى النبي ﷺ فقالت: يا نَبيَّ الله، ألا تُحدِّثُني عن حارثة - وكان قُتِلَ يوم بَدرٍ، فإن كان في الجنة صَبَرتُ، وإنْ كان غير ذلك، اجتَهَدتُ عليه في البكاء؟

فقال ﷺ: «يا أُمَّ حارثة إنها جِنانٌ في الجنة، وإنَّ ابنَكِ أصاب الفِردَوسَ الأعْلَى»(٣).

❋ **سادسًا: إذا علمنا أن الله فوق العرش، وأن العرش هو سقف الفردوس، والفردوس هو أعلى الجنان،** وقد قال ﷺ: **«إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»**(٤).

فينبغي أن نسأل الله الفردوس الأعلى؛ ليكون فوقنا عرش الرحمن، فنكون من العالين الذين قال فيهم رب العالمين: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٥].

والعندية هنا: المكان، فهم في مكان قريب من الله؛ ولذلك لما جوبهت زوجة فرعون بالقتل والصلب من قبلِ زوجها، قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم:١١].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

قالوا: اختارت الجار قبل الدار[1].

سابعًا: أن ندعو الله تعالى بأسمائه: «الْـعَـلِيُّ»،«الْأَعْـــلَى»،«الْـمُـتْـعَال»:

اللهم إنّا نسألك بأسمائك الْـعَـلِيُّ و الْأَعْـــلَى والْـمُـتْـعَالي أن تُعليَ منازلنا في الأولى والآخرة، ولا تردنا خائبين.

(١) منهج جديد لدراسة التوحيد بتصرف/ عبد الرحمن عبد الخالق.

(٤١)(٤٢) الواحد، الأحد جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، إذا بُدِّلت الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار، أين الناس يومئذ؟ قال: على الصراط»[١].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦]وقال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزُّمَر:٤].

وقال تعالى – حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩].

وتأمَّلْ وجه الاقتران بين هذين الاسمين، الواحد والقهار؛ تجد أن كل من قَهَر سوى الله؛ فإنه مفتقر لغيره، إلا الله؛ فإنه يقهر وحده.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ الله ﷺ فَمَنَعَهُ الله بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ الله بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ

---

(١) رواه مسلم وأحمد، واللفظ له.

إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا – أي: أظهر لهم الكفر ولم يزل بقلبه مسلما – إِلَّا بِلالًا، فَإِنَّهُ قَدْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ»(١).

وورد الاسم معرَّفا بالألف واللام كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال الله تعالى: «**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فقوْلُه: لن يعيدَني كما بدَأني، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ؛ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ الله وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْوًا أَحَدٌ**»(٢).

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

(**الواحد**) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الفرد الذي لم يزلْ وحده ولم يكن معه آخَر، وقيل: هو المنقطع القرين(٣).

(**الواحد**) جَلَّ جَلَالُهُ: هو القائم بنفسه، المنفرد بوصْفه، الذي لا يفتقر إلى غيره أزلًا وأبدًا... فالواحدانية قائمة على معنى الغِنى بالنفس، والانفراد بكمال الوصف(٤).

و(**الأحد**) جَلَّ جَلَالُهُ: هو المنفرد بذاته وصفاته وأفعاله، كما قال تعالى – في معنى الأحَدية: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤].

فالأحديّة هي الانفراد ونفْي المثليّة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥] أي: شبيهًا أو ندًّا

---

(١) رواه ابن ماجه، وحسّنه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) شأن الدعاء للخطابي.

(٤) الأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، للرضواني.

أو نظيرًا يساويه، أو يدانيه، أو حتى يشابهه!

وقال السعدي: «الواحد، الأحد: هو الذي توحّد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده، عقلًا وقولًا وعملًا بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرُّده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة»(١).

الفرق بين الواحد والأحد:

أحسن ما قيل في الفرق بين الاسمين: أن الواحد هو المنفرد بالذات، لا يُضامّه آخَر؛ والأحد هو المنفرد بالمعنى، لا يشاركه فيه أحدٌ(٢).

وأكثرُ من فرّق بين الاسمين ذَكر فروقًا لغوية لا حاجة لها هنا.

الدليل العقلي على الواحدنية:

وأشهر الأدلة العقلية على إثبات الوحدانية وتفرُّده ﷻ بالربوبية، واستحقاقه العبودية، دليل التمانع، ومُلَخَّصُه: أننا لو قدّرنا وجود إلهين اثنين، وفَرَضْنا أمرين متضادّين، وقدّرنا إرادة أحدهما لأحد الضدين، وإرادة الثاني للثاني؛ فلا يخلو من أمور ثلاثة:

إما أن تنفذ إرادتهما أو لا تنفذ، أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخَر، والأول مستحيل؛ لاستحالة اجتماع الضدين، والثاني مستحيل كذلك لنفس المعنى، والضرورةُ تقتضي الأمر الثالث، وهو نفوذ إرادة أحدهما دون الآخَر؛ فالذي لم تنفذ إرادتُه هو المغلوب المقهور، والذي نفذت إرادتُه هو الإله الواحد الأحد، القادر على فعل ما يشاء.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي.

قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١].

فلو كان للعالَم إلهان ربَّان معبودان أو أكثر؛ لاختلَّ نظامه، وفسدتْ أحوالُه، قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

فأساس قيام الخلق وبقاء السموات والأرض وحدانيةُ الله وانفراده عما سواه.

فيا عجبا كيف يُعصَى الإله — أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية — تدل على أنه الواحد

تأمل في نبات الأرض وانظر — إلى آثار ما صنع المليكُ

عيون من لجين شاخصات — بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات — بأن الله ليس له شريك

➢ كيف نعبد الله باسمَيْه الواحد الأحد؟

❋ أولًا: أن نحقق التوحيد اعتقادًا وقولًا وعملًا:

التوحيد أعظم حقوق الله على العبيد؛ فهو كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة.

- التوحيد أهم المهمات، وأوجب الواجبات.

لما بعثَ النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفي رواية: **«إلى أن يوحِّدوا الله...»**(١).

ذلك لأنه لا يُقبل شيءقبله، وما بعده فرْع عليه، وتبع له؛ فكما أن الصلاة لا

---

(١) متفق عليهما.

تُسمى صلاة إلا مع الطهارة؛ فالعبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد.

ـ التوحيد سبب للأمن والاهتداء في الدنيا والآخِرة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

ومعنى يلبسوا: يخلطوا، والظلم المراد به: الشرك.

فالمعنى: أن الذين صحَّ توحيدهم، وصَفَتْ عقيدتهم لهم أمنان وهدايتان:

أ- أمْنٌ في الدنيا بقرار قلبه واستقراره، وأمْنه على نفسه وعِرْضه وماله بإذن الله.

ب- أمْنٌ في الآخِرة من الفزَع والأهوال، ومن دخول النار، إن لم يكن مصرًّا على الكبائر، ومن الخلود فيها إذا كان مصرًّا عليها.

ج- هداية في الدنيا إلى ما فيه صلاح دينه ودنياه.

د- هداية في الآخرة إلى منزله في الجنة، كما قال تعالى: **﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾** [محمد:٦].

فمن أتى بالتوحيد تامًا؛ فله الأمن التام والهداية التامة، ودخَل الجنة بلا عذاب.

ـ التوحيد سبب دخول الجنان والنجاة من النيران.

كما قال – عليه الصلاة والسلام –: «مَن شَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورَسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه وكَلِمَتُه ألْقاها إلى مريمَ وروحٌ منهُ، والجَنَّةُ حق، والنارُ حقٌّ؛ أدخَلَهُ اللهُ الجنةَ على ما كانَ مِن العَمَل»(١).

وقال– عليه الصلاة والسلام –: «فإن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله،

---

(١) متفق عليه.

يبتغي بذلك وجْهَ الله»[١].

ـ التوحيد نجاة من كُرَبِ الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد مَفزع أعدائه وأوليائه»[٢].

فأما أعداؤه فينجّيهم من كُرب الدنيا وشدائدها ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وأما أولياؤه فينجّيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدهما؛ فما دُفعتْ شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ فدعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروبٌ إلا فرّج الله كْربه، بالتوحيد؛ فلا يُلقِى في الكُرب العظام إلا الشركُ، ولا ينجي منها إلا التوحيدُ؛ فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحِصنُها وغياثها»[٣].

ـ التوحيد هو الغاية من خلْق الإنس والجنّ.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] أي: لِيُوَحِّدون؛ فما أُرسِلَتِ الرسلُ، ولا أُنزلتِ الكتبُ، ولا شُرِعت الشرائعُ، ولا أُوجِدَ الخلقُ إلا لِيُوَحَّدَ الله، ويُعبَد دون سواه.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

فكيف نحقق التوحيد اعتقادا وقولا وعملا؟

❋ (أ): تحقيق التوحيد اعتقادًا:

أن يعتقد العبد اعتقادًا جازمًا، ويُقرَّ إقرارًا كاملًا، ويعترف اعترافًا تامًا بأن الله

(١) متفق عليه.

(٢) الفوائد.

(٣) التوحيد الميسّر، عبد الله أحمد الحويل.

وحده ربُّ كل شيء ومالكُه وخالقه، ورازقُه والمتصرف فيه، والمهيمن عليه، لا شريك له في شيء من ذلك، لا رادَّ لأمره ولا معقِّب لحكمه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [المؤمنون:٨٨]وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

حتى الكفار يرزقهم الله، كما قال ﷺ: «ما أحدٌ اصبَر على أذى سَمِعَه من الله! يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم!»[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ

---

(١) صحيح الترمذي.

بِأَمْرِهِۦٓۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٠- ٢٧].

لا تكاد سورة من كتاب الله تخلو من هذه العقيدة؛ إذ هي الأساس بالنسبة لغيرها، مع وضوحها وجلائها، وإقرار المشركين قديمًا بها.

كذلك أن يعتقد العبد اعتقادًا جازمًا بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى – أسماء الجمال والجلال – والصفات العلا – صفات الكمال – فنُثبت لله تعالى ما أثبَتَه لنفسه، أو أثبتَه له رسولُه ﷺ من أسماء وصفات على وجه يليق بكماله وجلاله، كما قال – عز من قائل –: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

فمن أراد أن يعرف الله تعالى على الحقيقة؛ فليعرفْه بأسمائه وصفاته؛ ليتَعَبَّد إليه من خلالها – وهذا هو موضوع الكتاب الذي بين يديك –.

فكل مَن عرَف الله تعالى وعَبَده بأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ فهو موعود بالجزاء العظيم والنعيم المقيم في دار الكرامة والإحسان.

فقد قال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخَل الجنة**»[1].

والمراد بإحصائها: عدُّها والعلْم بها، ومعرفةُ آثارها، والتعبد لله من خلالها.

❋(ب): تحقيق التوحيد قولًا.

بأن يلهج لسانك بين الفينة والأخرى بكلمة التوحيد – لا إله إلا الله – مستشعرًا معناها، فاهمًا شروطها ولوازمها ومقتضاها.

---

(١) متفق عليه.

معنى الكلمة: لا معبود بحق إلا اللهُ.

رُكنا الكلمة:

١- النَّفْيُ (لا إله) نفْي جميع ما يُعبَد من دون الله.

٢- الإثبات (إلا الله) إثبات العبادة واستحقاقها له وحده.

شروط الكلمة:

فرَحِم الله وهْبَ بن منبّه حين سُئل: أليست لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان؛ فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتَح لك[١].

وهذه الأسنان هي شروط هذه الكلمة العظيمة، وقد عدَّها العلماء سبعة أو ثمانية «وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ عَدَّ أَلْفَاظِهَا وَحِفْظَهَا؛ فَكَمْ مِنْ عَامِّيٍّ اجْتَمَعَتْ فِيهِ وَالْتَزَمَهَا وَلَوْ قِيلَ لَهُ: اعْدُدْهَا لَمْ يُحْسِنْ ذَلِكَ، وَكَمْ حَافِظٍ لِأَلْفَاظِهَا يَجْرِي فِيهَا كَالسَّهْمِ وَتَرَاهُ يَقَعُ كَثِيرًا فِيمَا يُنَاقِضُهَا، وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِ الله»[٢].

١- العِلْم بمعناها نفيًا وإثباتًا، علمًا ينافي الجهل بها.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] وقال ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»[٣].

٢- اليقين المنافي للشّكّ.

أن يكون قائلها مستيقنًا بمدلولها يقينًا جازمًا، كما قال ﷺ: «**أشهد ألا إله إلا**

---

(١) انظر: صحيح البخاري.

(٢) معارج القبول للحكمي.

(٣) رواه مسلم.

الله، وأني رسول الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما؛ إلا دخَل الجنةَ»[١].

وقال ﷺ لأبي هريرة: «مَن لقيتَ وراء هذه الحائط يشهد ألا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُه؛ فبشِّرْه بالجنة»[٢].

٣- الإخلاص الذي يُصفّيها من شوائب الشرك.

فقد قال ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي مَن قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه»[٣].

وقال ﷺ: «إن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله»[٤].

٤- الصدق فيها المنافي للكَّذِب.

والمعنى: أن يتواطأ قلبه مع لسانه عند النطق بها، كما قال ﷺ: **«ما من أحد يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صدْقا من قلبه إلا حرّمه الله على النار»**[٥].

٥- القبول لما اقتضَتْه بقلبه ولسانه.

قال ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وعَمِلَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه البخاري.

هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١).

٦- الانقياد لما دلَّتْ.

أي: العمل بما تقتضيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

فإسلام الوجْه: الانقياد، والإحسان: التوحيد والإيمان.

٧- المحبة لهذه الكلمة، ولِمَا اقتضَتْه ودلَّتْ عليه، وكذلك المحبة لأهلها العاملين بها، والبغض لما يناقض ذلك.

ففي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولَده ووالده والناس أجمعين»(٢).

وقال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأن يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(٣).

٨- الكفر بما يُعبد من دون الله.

كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

من فضائل الكلمة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الشيخان مرفوعا.

(٣) رواه البخاري.

إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(١).

وعنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قال: لا إله إلا الله، وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وَهْوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قديرٌ؛ في يَوْم مائةَ مرّةٍ؛ كانتْ لهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ، وكُتِبَتْ لَهُ مائةُ حَسَنةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مائَةُ سَيِّئةٍ، وَكانتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطانِ يَوْمَهُ ذلك، حَتّى يُمْسِي، ولَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بأَفْضلَ مِمَّا جاءَ، إلا أحدٌ عَمِلَ أكْثرَ مِنْ ذَلِكَ»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ؛ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لقيت ليلة أُسري بي إبراهيم عليه السلام فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، وأنها قيعان (الأراضي المتسعة) وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٤).

وقال ﷺ: «أفضل الذِّكْر لا إله إلا الله»(٥).

✵ (ج): تحقيق التوحيد عملًا:

وذلك بإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، والحذر من صَرْف شيءٍ منها لغيره، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، والدعاء، والاستعانة،

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد، وصحّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

(٤) صحيح الترمذي.

(٥) صحيح الجامع.

والاستغاثة، والاستعاذة، والنَّذر، والذَّبح، والتوكّل، والخوف، والرجاء، والحب، والإنابة، والتذلُّل، وغيرها من أنواع العبادة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البيِّنة:٥].

وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر:١٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر:٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وقال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان»(١).

واعلم أن الله تعالى لا يُعبَد إلا بما شرَع في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ لهذا كان من مقتضيات التوحيد: الإيمان الصادق برسول الله ﷺ المتمثل في طاعته في كل ما به أمَر، والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجرَ، وتصديقه في كل ما به أخْبَر.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

---

(١) صحيح أبي داود.

واعلم كذلك أن العبادة تشمل شؤون الإنسان كلّها، وتستوعب جميع حياته، وتستغرق كافة نشاطاته وأعماله.

فالعبادة ليست مجرد شعائر تعبدية يقوم العبد بها، ذلك جزء من العبادة؛ إنما العبادة التي طولب العبد بها: أن يجعل أقواله وأفعاله وتصرّفاته وسلوكه وعلاقاته بالناس وفق المناهج والأوضاع التي جاءت بها شريعتنا العظيمة.

❋ ثانيًا: الدعوة على التوحيد:

إن الحاجة إلى دعوة الناس على التوحيد ماسَّة ومُلحَّة وضرورة عمومًا، والآن خصوصًا؛ فالأمة لن تعود إليها هويّتها وعزّتها وسيادتها إلا إذا صحَّتْ عقيدتها، وأخلصتْ عبادتها، وتبرَّأتْ من كل حولٍ وطوْل وقوة، إلا من حول الله وقوّته؛ فإذا صحَّ التوحيد صحَّ كلُّ شيءٍ، وإذا صحَّ التوحيد سهُل كلُّ شيء، وإذا صحَّ التوحيد جاهد العبد نفسَه وشيطانه وهواه وأعداء دين الله، ولم يبال.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر معاذا لما بعثَه إلى اليمن، قال له: إنك تَقدُم قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى؛ فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلواتٍ في كل يوم وليلة...»[1].

وعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ألاّ تدع تمثالًا إلا طمسْتَه، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيتَه»[2].

وفي هذا بيان واضح أن البدء بالتوحيد في الدعوة إلى الله تعالى ليس خاصًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل هو له ولأتباعه الذين يقتدون به، ويهتدون بهدْيه، كما قال رب العزة في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨][(١)].

❋ ثالثا: أن ندعوَ الله تعالى بهذين الاسمين:

عن حنظلة بن عليٍّ أَنَّ مِحْجَنَ بْنَ الْأَدْرَعِ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ فَقَالَ: «**اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ غَفَرَ لَهُ» ثَلَاثا**»[(٢)].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[(٣)].

---

(١) المجموع المفيد في بيان أهمية التوحيد، لعبد الرحمن بن محمد العميسان.

(٢) رواه أبو داود والنسائي، وصحّحه الألباني.

(٣) رواه ابن ماجه، وصحّحه الألباني.

(٤٣)(٤٤) الْقَاهِرُ، الْقَهَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ

• قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١].

• وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام:١٨].

• وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [الرعد:١٦].

• وقال سبحانه: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف:٣٩].

• وقال عزّ من قائل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ [إبراهيم:٤٨].

• وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر:١٦].

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

• (الْقَاهِرُ، الْقَهَّارُ) جَلَّ جَلَالُهُ: «هو الذي يُدبِّر خلقه بما يريد، فيقع في ذلك – أي على عباده– ما يَشُقُّ ويثقُل، ويغُمُّ ويُحزِنُ، ويكون منه سلب الحياة أو نقص الجوارح، فلا يستطيع أحدٌ ردَّ تدبيره، والخروج من تقديره»(١).

• (الْقَاهِرُ، الْقَهَّارُ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، ودانت له الخلائق، فلا يحدث حادثٌ إلا بإذنه ولا يسكن ساكنٌ إلا بأمره.

---

(١) المنهاج في شرح شعب الإيمان: الحُليمي.

• (الْقَــاهِــرُ، الْقَــهَّــارُ) جَلَّ جَلَالُهُ: «هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت»[1].

• (الْقَــاهِــرُ، الْقَــهَّــارُ) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي يقهر من نازعه في أولوهيته وربوبيته، وحكمه، بالحجة والبيان، والذل والهوان.

• (الْقَــاهِــرُ، الْقَــهَّــارُ) جَلَّ جَلَالُهُ: «هو الذي يقهر عباده بالحشر إلى أرض الميعاد؛ ليقيم لهم ميزان العدل والقسط فيجازي كلًا بعمله، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر:١٦،١٧].

فــائــدة:

(الْقَــهَّــارُ) صيغة مبالغة من (الْقَــاهِــرُ) فالْقَــهَّــارُ أبلغ إذ يقتضي تكثير القهر.

➢ كيف نعبد الله باسميه «الْقَــاهِــرُ» و«الْقَــهَّــارُ»؟

✵ أولًا: أن نستشعر قهره سبحانه لعباده:

فسبحان من كلُّ شيءٍ خاضعٌ لأمره، لا يخرج عن سيطرته طرفة عين، يُحيي خلقه إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، يغنيهم إذا شاء ويفقرهم إذا شاء، يعافيهم إذا شاء ويبتليهم إذا شاء.

إذا حكم الْقَــهَّــارُ على عبده بحكمٍ -كوني- لا يمكن لهذا العبد- أبدًا -أن يزيل ما حكم الله به أو يردَّه، لا مُعقِّب لحكمه، ولا راد لقضائه.

▼ «وكل من سواه مربوبٌ مقهورٌ، له ضدٌّ ومنافٍ ومشاركٌ، فخلق الرياح وسلّط بعضها على بعض تصادمها وتكسر سورتها وتذهب بها، وخلق الماء وسلّط

---

(١) شأن الدعاء للخطابي.

عليه الرياح تصرفه وتكسره، وخلق النار وسلّط عليها الماء يطفئها، وخلق الحديد وسلّط عليه النار تذيبه وتكسر قوته، وخلق الحجارة وسلّط عليها الحديد يكسرها ويفتتها، وخلق آدم وذريته وسلّط عليهم إبليس وذريته، وخلق إبليس وذريته وسلّط عليهم الملائكة يشردونهم كل مشرد ويطردونهم كل مطرد، وخلق الحرَّ والبرد، والشتاء والصيف، وخلق الليل والنهار، فاستبان للعقول والفطر أن القاهر الغالب لذلك كله واحد، وأن من تمام ملكه إيجاد العالم على هذا الوجه»[1].

وتـــأمـــل:

تجد أن كل من يحاول قهر الناس، لابد وأن يفتقر إلى غيره، ولكن «الْقَهَّار» ﷻ، يقهر وحده، وهذا هو السر في اقتران اسم الله «الْواحِد» باسم الله «الْقَهَّار» في المواضع الستة لاسم الله «الْقَهَّار».

ف «الْواحِد» لا يكون إلا قهارًا، و «الْقَهَّار» لا يكون إلا واحدًا.

ولهذا، الحكام الظلمة، والملوك الطغاة الذين يقهرون رعيتهم ويظلمونهم، يحتاجون إلى أعوان ووزراء يدبرون لهم المكائد، وإلى جيوش يحمونهم من غضب الثائرين، وإلى أسلحة لقتل العُزَّل.

○ **انظر إلى فرعون وهو يستنفر جنوده لتعذيب المؤمنين:** ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ ولم يقل: سأقتل؛ لأنه أضعف من أن يفعل ذلك وحده وأهون من ذلك.

﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ **ولم يقل:** وأستحي نساءهم؛ لأنه لا قدرة له على ذلك،﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ ولم يقل: وأنا فوقهم قاهر؛ لأن الله وحده هو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم باختصار.

ولهذا كفر ابن هانئ حين قال للمعز الفاطمي حاكم مصر الشيعي:

مـا شـئتَ لا مـا شـاءت الأقـدار   فـاحكم فأنـت الواحـد القهـار!!

فسبحانه وحده، قهر الطواغيت والجبابرة.

○ **قهر النمرود حين قال:** أنا أحيي وأميت، لم يرسل إليه القنابل الثقيلة، ولا الصيحات المدمرة، وإنما أدخل في أنفه بعوضةً، فكان لا يهدأ له حال، ولا يقرُّ له بال إلا إذا ضُرب على رأسه بالنعال، فأي قهر هذا وأي هوان!!

وهذا جزاء كل من طغى وتكبر.

○ قهر أبرهة وجيشه حينما أراد دخول مكة لهدم بيت الله الحرام، أرسل إليه جماعاتٍ من الطير ترميهم بالحجارة الصغيرة، حتى صاروا كأوراق الشجر الجافة الممزقة، وأنزل فيهم سورةً تتلى؛ لتكون لمن قرأها أو سمعها آيةً وعبرةً.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل:١:٥].

○ قهر من الجبابرة ما لا يحصى، قهر قوم نوحٍ، وقوم عاد، قهر فرعون وهامان وأبا جهلٍ والمشركين، وجعلهم عبرةً لمن كان له قلب وبصيرة.

● **قال سبحانه:** ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت:٤٠].

● **وقال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى

ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر:٦:١٤].

فـــائــــدة:

واعلم أن قهره سبحانه لعباده مقرونٌ بالحكمة والعلم والخبرة، فالحكمة تتضمن فعل الصواب، والخبرة تتضمن العلم ببواطن الأمور وحقائقها.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٨].

ففي خاتمة الآية تسكين للنفس فيما إذا وقع على العبد من أقداره سبحانه ما يكرهه في نفسه أو أهله أو ولده أو ماله.

❋ ثانيًا: أن نخضع له ونُقبل عليه طوعًا، قبل الخضوع والإقبال عليه قهرًا:

من لم يأتِ الله على رجليه، أتاه على بطنه، ومن لم يَسِرْ في طريق الله طوعًا، أخذه الله كُرهًا وقهرًا.

• **قال تعالى:** ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام:٧٣/ ٧١].

• **وقال سبحانه:** ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه:١٢٧/ ١٢٣].

❋ **ثالثا: أن نفوِّض أمورنا إلى «الْــقَــهَّـــــار» سبحانه وتعالى:**

فمن عرف الْـقَــهَّـــــارَ لم يُعظِّم إلا هو، ولم يخف إلا منه، وزال خوفه من المخلوق الضعيف مهما ادعى القوة والقهر.

❍ فهولاء سحرة فرعون، لما عرفوا الحق، ودخل الإيمان القلب، وعلموا أن الله هو الواحد القهار، خرُّوا لربهم ساجدين، ولم يلتفتوا إلى غضب فرعون، ولم يغُرَّهم تهديده ووعيده، بل راحوا يقولون: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الشعراء:٥٠]، وراحوا يقولون: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه:٧٢،٧٣].

❋ **رابعًا: أن نسعى جاهدين في قهر أعدائنا من الملحدين والمشركين والكافرين بالثبات والحجة والبيان:**

فعلى المؤمن أن يتسلح بسلاح الإيمان والقلم؛ حتى يثبت بإيمانه على الحق، فبه يكون قد قهر أعداء الله، وحتى يجاهد بعلمه أعداء دين الله، فبه يكون قد قهرهم.

● **فقد قال ﷺ: «لا تزال عصابةٌ من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك»**(١).

❋ **خامسًا: الحذر كل الحذر من قهر الضعفاء والمساكين أو نهرهم:**

● **قال تعالى:** «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ» [الضحى:٩].

«أي لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه، وكذلك كانت تفعل العرب في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلم حقوقهم»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) تفسير البغوي.

⇐ **قال قتادة:** «كن لليتيم كالأب الرحيم»(١).

«وخصَّ اليتيم بالذكر لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلَّظ في أمره بتغليظ العقوبة في ظلمه»(٢).

● **وقال تعالى:** ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ١٠].

أي: «لا تزجره، فإما أن تطعمه وإما أن ترده لينًا»(٣).

❑ **قال إبراهيم ابن أدهم:** «نعم القوم السُّؤَّال يحملون زادنا إلى الآخرة»(٤).

وقال ﷺ: «**إني أُحرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»(٥).

وقال ﷺ: «**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم**»(٦).

○ **وعن أبي مسعودٍ البدري رضي الله عنه قال:** «كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني، إذا هو رسول الله ﷺ، فقال: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا»(٧).

وفي رواية له، قلت يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله، فقال: «**أما لو لم تفعل، للفحتك النار**».

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) تفسير القرطبي.

(٣) تفسير البغوي.

(٤) تطريز رياض الصالحين/ فيصل مبارك.

(٥) رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني.

(٦) رواه البخاري.

(٧) رواه مسلم.

○ ولما تكلم معاوية بن الحكم السلمي في الصلاة، فنهره الناس، نهاهم رسول الله ﷺ وعلّمه برحمة ولين، فقال بعدها: «**بأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، والله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، ولكن قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»(١).

❃ سادسًا: أن ندعو الله تعالى باسميه «الْقَـاهِـرُ» و«الْـقَـهَّـارُ»:

كأن يقول العبد:

أسألك اللهم باسمك الْقَاهِر - أو الْقَهَّار - أن تذلل لي الصعاب، وأن تنصرني على من ظلمني، وتأخذ الحق ممن قهرني.

---

(١) رواه مسلم.

(٤٥) الْحَقُّ جل جلاله

• قال الله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس:٣٢].

• وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه:١١٤].

• وقال تعالي: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان:٣٠].

• وقال تعالي: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام:٦٢].

• وقال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور:٢٥].

➢ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(الْحَقُّ) جل جلاله: «الحَقُّ هُوَ المُتَحقِّقُ كَوْنُهُ وَوُجُودُهُ، وَكُلُّ شَيءٍ صَحَّ وُجُودُهُ وَكَوْنُهُ فَهُوَ حَقٌّ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾﴾، أي: الكَائِنَةُ حَقًّا لَا شَكَّ فِي كَوْنِهَا، وَلَا مُدْفِعٌ لِوُقُوعِهَا.

وَيُقَالُ: الجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، يُرَادُ أَنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ»[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٣٠].

---

(١) شأن الدعاء.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هذه الآية: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: «وَرَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ إِلَى اللهِ، الذِي هُوَ رَبُّهُم وَمَالِكُهُم الحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ، دُونَ مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُم لَهُمْ أَرْبَابٌ مِنَ الآلِهَةِ وَالأَنْدَادِ، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾: وَبَطَلَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَتَخَرَّصُونَ مِنَ الفِرْيَةِ وَالكَذِبِ عَلَى اللهِ بِدَعْوَاهُم أَوْثَانَهُم أَنَّهَا للهِ شُرَكَاءُ، وَأَنَّهَا تُقَرِّبُهُم مِنْهُ زُلْفَى»[١].

(الْـحَــــــقُّ) ﷻ: «مَا لَا يَسَعُ إِنْكَارُهُ، وَيَلْزَمُ ثُبُوتُهُ وَالاعْتِرَافُ بِهِ، وَوُجُودُ البَارِي عَزَّ ذِكْرُهُ أَوْلَى مَا يَجِبُ الاِعْتِرَافُ بِهِ، وَلَا يَسَعُ جُحُودُهُ؛ إِذْ لَا مُثْبَتَ يَتَظَاهَرُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ البَيِّنَةِ البَاهِرَةِ، مَا تَظَاهَرَتْ عَلَى وُجُودِ البَارِي ﷻ»[٢].

الحقائق الكبرى الثمانية:

لقد أغنتنا البلاغة النبوية المستقاة من الوحي الإلهي عن البحث عن المناسب من العبارة لبيان معنى اسم الله الْـحَــــــقّ.

○ فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهم لك أسلمت؛ وبك آمنت؛ وعليك توكلت؛ وإليك أنبت؛ وبك خاصمت وإليك حاكمت؛ فاغفر لى ما قدمت وما أخرت؛ وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»[٣].

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان.

(٣) رواه البخاري.

اللهم: أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

هذه الحقائق الثمانية لو استقرت في نفسك، ستكون هذه نقطة البداية لترتيب وتوضيح سائر الحقائق غير الواضحة في حياتك.

١ - «أنت الحق»:

▼ فوجوده ﷻ حقٌّ، فسبحانه وتعالى شأنه لا يزول ولا يحول، بخلاف غيره، فالخلق كلهم يحولون ويزولون.

وأسماؤه تبارك وتعالى وأوصافه كلها حقٌّ، ليس فيها شيءٌ من الباطل، لا في علمه، ولا في قدرته وقوته وعزته، فهو الواحد الأحد الملك الكبير المتعال، العظيم ذو الجلال والإكرام.

▼ وربوبيته ﷻ حقٌّ، فسبحانه هو وحده -حقيقة- مصرِّف الأمور ومدبرها، ربُّ كل شيءٍ ومليكه وخالقه، ورازقه، وغيره مصرَّفٌ مدبَّرٌ مربوبٌ، مملوكٌ، مخلوقٌ، مرزوقٌ.

▼- إذن ألوهيته ﷻ حقٌّ، فهو وحده المستحق للعبادة والألوهية.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤﴾ [الحج: ٦١:٦٤].

- وكل ما صدر عنه سبحانه أو جاء من عنده، فهو حقٌّ.

● **قال سبحانه:** ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥].

٢- «**وَوَعْدُكَ الحَقُّ**»: أي الثابت المتحقق الذي لا يعتريه خُلف، ولا ذرة شكٍّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر:٥].

وعَد أم موسى أن يرده إليها، بعد أن تلقيَه في اليم متجهًا إلى عدوه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧]، فأنجز لها ما وعدها؛ لأن وعده الحق، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص:١٣].

▼ وعَد الله رسوله ﷺ أن يُعيده إلى مكة بعد أن أُخرج منها، ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، فأنجز له ما وعده وردَّه إليها عام الفتح سالمًا غانمًا قائلًا: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١].

«وَوَعْدُكَ الحَقُّ» المؤمن بحاجة إلى تأكيد هذه الحقيقة على قلبه يوميًّا بل لحظيًّا؛ حتى لا تأخذه أمواج الفتن التي تُغرق أكثر الخلق وتلقيهم في بحار الغفلة والنسيان.

فوعْد الله بإقامة الدين، ونصر الإسلام والمسلمين، ومحْق الكفر وهزيمة الكافرين حق، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح:٢٨].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

ووعده بالمحن والابتلاءات التي تعقبها العافية والانتصارات حقٌّ.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب:٢٢].

وقد قالها هرقل عندما سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ: «فكيف كانت حربه وحربكم؟

قال: كانت دُوَلًا وسجالًا، يُداك علينا المرة، ونُداك عليه الأخرى........قال: وكذلك الرسل تُبتلى وتكون لها العاقبة»(١).

- ووعده بالتمكين للمؤمنين في الأرض حقٌّ.

كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

- ووعده في الآخرة حقٌّ.

كما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف:٤٤].- وكان وعدُ الله حقًّا؛ لأنه الله الملك الحق، فإذا شهد العبد هذا المعنى، عمل للقاء الله وصغرت الدنيا في عينيه، وصارت حقيرة في قلبه، فأحب في الله، وأبغض في الله، وصبر على طاعة الله، وصبر عن معاصي الله، وصبر على بلاءات الله، ووالى في الله وعادى في الله.

---

(١) رواه البخاري.

٣- «وقولك حقٌّ»:

فقول الله دائمًا وأبدًا حقٌّ، سواء أكان القول الكوني أم القول الشرعي، أما القول الكوني، فهو الذي قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل:٤٠].

فما قاله كان، وما شاءه وقع، لا قدرة لأحدٍ على تبديله، ولا طاقة لمخلوق على تحويله، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام:١١٥].

وقول الله الكوني كله حكمة ورحمة وعدل، وإن بدا للعبد غير ذلك(١).

وأما القول الشرعي، فهو كلامه الذي أنزله على رسوله، فكله حقٌّ ويهدي إلى الحق ويُميز الباطل من الحق.

- **قال تعالى:** ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة:٣].

- **وقال تعالى:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر:٢].

- **وقال تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ [الأحزاب:٤].

وإنما كان قوله حقًّا؛ لأنه من الله الملك الحق.

٤- «ولقاؤك حق»:

- **قال تعالى:** ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم:٩٣:٩٥].

---

(١) راجع اسم الله الحكيم.

● وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام:٩٤].

فلنوقن أننا ملاقو الله، ولنُعد العدة للقاء الله.

○ فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١).

٥- «والجنة حقٌّ والنار حقٌّ»:

وموجودتان الآن ومعدتان لأهلهما، قال عزّ من قائل عن الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:]، وقال عن النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:].

○ **وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** ﷺ **قال:** «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧]»(٢).

○ **وفي الحديث المرفوع المتفق على صحته:** عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبشٌ أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبُّون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبُّون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [مريم: ٣٩]» وأشار بيده إلى الدنيا[١].

فوجب على من شهد ذلك وعلِمه، الفرار إلى الجنة ونعيمها، والهروب من النار وعذابها، وذلك بطاعة الله ورسوله.

٦- «والنبيون حق»:

جاء النبيون بالحق؛ لإظهار الحق، والدعوة إلى الحق، كما قال عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

٧- «ومحمد ﷺ حق»:

خُصَّ بالذكر تعظيمًا له ﷺ، فإنه من جملة من جاء بالحق لإظهار الحق، والدعوة إلى الحق.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [الصف:٩].

● **وقال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:٢].

٨- والساعة «حق»، أي واقعة حقًّا وكائنة لا رادَّ لها كما قال عزّ من قائل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝١٨﴾ [الشورى:١٧،١٨].

---

(١) متفق عليه.

إن الحقيقة الواحدة من هذه الحقائق الثمانية تذهب بالعبد إلى الله الملك الحق (جل جلاله).

➢ **كيف نعبد الله باسمه «الْحَـــــقُّ»؟**

❁ **أولًا: أن نوقن -كمؤمنين- أن الله جل جلاله هو الملك الحق:**

تــأمَّـــــل:

• **قالَ تعالَى:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

• **وقال تعالى:** ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٤، ٣٥].

• **وقال تعالى:** ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يونس:١٠٤].

• **وقال عزّ من قائل:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥،٦،٧].

• وقال تعالى: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: ٦٠ - ٦٦].

فمن الذي يَرْزُقُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟

• ومن الذي يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ؟

• ومن الذي يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ؟

• ومن الذي يُدَبِّرُ الأَمْرَ؟

• ومن الذي يَبْدَأُ الخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟

• ومن الذي يَهْدِي إِلَى الحَقِّ؟

• ومن الذي يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ؟

• ومن الذي خلَقَنا من ترابٍ ثمَّ منْ نُطفةٍ ثمَّ منْ علَقَةٍ ثمَّ من مُضْغةٍ مخلّقةٍ وغير مخلّقة؟

• ومن الذي يُخرجنا أطفالًا، ثمَّ نبلغ أشُدنا ثمَّ يتوفى منا من يشاء، ويَردُ إلى أَرذَلِ العمر من يشاء؟

- ومن الذي يُحْيِي الأَرْضَ بِالمَاءِ؟
- ومن الذي يُنبتُ الزرع؟
- ومن الذي يُنزلُ المطر؟
- ومن الذي ينصر من يشاء؟
- ومن الذي يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ؟
- ومن الذي يُحْيِي الأَرْضَ بِالمَاءِ؟
- ومن الذي يَمْلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا فِيهَما؟
- ومن الذي يُسَخِّرُ لِلنَّاسِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ؟
- ومن الذي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ؟

أإلهٌ مع الله؟!

أليس الله هو الإله االحق؟

فهل شهدنا ذلك؟ وهل أيْقنَّا بذلك؟

○ قال ﷺ: «**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلٌ..**»[1].

فإن شهد العبد وأيقن بأن هذه الدنيا باطلة، وليست بباقية، وأن ما فيها من متاعٍ فهو زائل، وأن الله هو الحق، ووجوده ﷻ هو الحق، وما سواه من الموجودات إن هو إلا عارية مستردةٌ إليه سبحانه، لو فهم العبد ذلك لما تعلق قلبه بالدنيا، لما اطمأن إليها، لما اتبع هواه، لما تعلق إلا بالله الملك الحق.

---

(١) متفق عليه.

✵ ثانيًا: أن نبحث عن الحق، ونتعرف على الحق، ونتعلم الحق:

فكيف ينجو العبد من الفتن، فتن الشبهات وفتن الشهوات، وهو لم يبحث عن الحق، ولم يتعرف على الحق، ولم يتعلم الحق؟

حينما تُطِلُّ الفتنُ برأسها -وقد أطلت - فإنها تصيب القلوب وتغيِّرها؛ فتحل الظلمة محل النور، والخير مكان الشر، وتلتبس الأمور على أصحابها، ويُصرف العبد عن دينه، ولا ينجو ساعتئذٍ إلا من عرف الحق وتعلمه واتبعه.

وكلما رسخ الإنسان في العلم، كلما ابتعد عن شرور الفتن، ونار الشهوات، وقلق الشبهات.

• **قال تعالى:** ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد:١٩].

فمن لم يبحث عن الحق ويتعلم الحق، كان أعمى أينما توجه تخبَّط، ينجو من حفرة، يقع في غيرها، بخلاف من تعلم الحق، فقد استبان سبيله.

❐ أرأيت لمَّا وقع لقارون من البهرجة والمظهرية الجوفاء، ماذا قال أهل الدنيا؟

قالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص:٧٩].

ماذا كان موقف أهل العلم؟ وبماذا أجابوهم؟

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص:٨٠].

فكان الحق مع أهل العلم وكانت العاقبة الطيبة.

لمن اتبعهم؛ ولهذا كان من دعاء أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم أرنا الحق حقًا فتتبعه، والباطل باطلًا فنتجنبه، ولا تجعل ذلك علينا متشابهًا فنتبع الهوى»(١).

❋ ثالثًا: أن نعملَ بالحق:

فمعرفه الحق ليست نهاية المطاف، بل لا بد بعدها من اتباع الحق.

قال رجلٌ لإبراهيم بن أدهم: قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] فما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟!

قال من أجل خمسة أشياء، قيل: ما هي؟ قال: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن و لم تعملوا به، وقلتم: نحب رسول الله وتركتم سنته، وقلتم نلعن إبليس وأطعتموه،وتركتم عيوبكم وأخذتم في عيوب الناس،»(٢).

كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «من يزدد علمًا، يزدد وجعًا».

وكان يقول: «إنني أخاف أن يُقال لي يوم القيامة: أعلمتَ أم جهلت؟

فأقول: علمتُ، فلا تبقى آية آمرة أو زاجرة، إلا جاءتني تسألني فرضيتها، فتقول: الآمرة: هل ائتمرتَ؟ وتقول الزاجرة: هل ازدجرتَ؟».

ولهذا، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يُرفع**»(٣).

كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصي معاوية: «الزم الحق، يُنزلك الحق في منازل أهل الحق، يوم لا يُقضى إلا بالحق»(٤).

---

(١) قوت القلوب للغزالي.

(٢) موارد الظمآن عبدالعزيز السلمان.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الآداب الشرعية ابن مفلح.

❃ رابعًا: أن نقول الحق:

وصية النبي ﷺ لأبي ذرٍّ، قال: أمرني خليلي ﷺ بسبع... وأمرني أن أقول الحق ولو كان مرًّا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم...»[(١)].

ووصية النبي ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: «صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك»[(٢)].

وكان من دعائه ﷺ: «وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب»[(٣)].

وذلك لأن قول الحق في الناس حال الغضب عزيز، فالغضب يحمل صاحبه على فعل غير الحق، والنطق بغير الحق، فمن قال الحق في غضبه ورضاه، كان ذلك علامة على إيمانه بالله الملك الحق سبحانه.

❃ خامسًا: أن نتواص بالحق:

أن يأمر بعضنا بعضًا بالحق؛ لأن العبد لا يكفيه أن يكون على الحق، وإنما يجب أن يوصيَ غيره بالحق، فلا يكون العبد ناجيًا من الخسران إلا إذا عمل على صلاح نفسه وإصلاح غيره.

كما قال تعالى في سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:٢:٣].

والتواصي بالحق من أعظم أسباب النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝١١٧﴾ [هود:١١٧]، لم يقل سبحانه: وأهلها صالحون، وإنما قال: «وأهلها مصلحون» فلا

---

(١) أخرجه أحمد وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه ابن السماك وصححه الألباني في الصحيحة.

(٣) صحيح سنن النسائي.

يكفي الصلاح فقط، بل لا بد من العمل على الإصلاح.

❋ سادسًا: ألا نفارق أهل الحق:

وهي وصية الله تعالى لنبيه ﷺ و﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨﴾ [الكهف:٢٨]، وانظر كيف صدَّر الله هذا الخطاب بالأمر بالصبر، ذلك لأن الصالحين وإن عظم صلاحهم، لهم زلات وهفوات يجب أن نتغاضى عنها؛ لتبقى الصحبة ويدوم الحب في الله.

وفي الآية أن المؤمن يجب أن يصحب من يلمس فيهم أنهم يبتغون وجه الله تعالى في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم.

وشبيهٌ بهذا الخطاب، خطاب الله تعالى للمؤمنين عامة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة:١١٩].

لأن الصاحب الصالح يحب الحق وأهله، ويحث صاحبه على الحق ويدعوه إليه، ويذكره دائمًا به.

وفي الحديث: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[(١)].

فالسحب من الصاحب لصاحبه واضح، فإن كان صاحبُك على الحق، زادك تمسكًا بالحق ومحبة للحق ومسارعة إلى الحق، والعكس بالعكس.

❋ سابعًا: أن نتواضع للحق:

والتواضع للحق معناه: قبول الحق والانقياد له، دون الالتفات إلى قائله؛ لأن بعض الناس إذا جاءه الحق من فلان قبله، وإن جاء من آخر لم يقبله!

---

(١) رواه أحمد وأبوداود والترمذي وصححه الألباني.

فالحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها قبِلها دون التفاتٍ إلى قائلها أو الذي جاء بها.

ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»(١).

إن أفضلية موسى عليه السلام، وكونه كليم الله، وكونه من أولي العزم من الرسل، لم يمنعه من أن يسافر إلى الخضر متحملًا العناء والمشاق في سبيل تحصيل العلم.

وتأمله، وهو يقول مستئذنًا ممن هو أقل منه مكانة وفضلًا: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ [الكهف:٦٦].

فلا يمنعك أنك مثقفٌ أو مفكر أو حتى عالم أن تثنيَ ركبك بين يدي العلماء؛ لتتعلم عن الله ورسوله، فطلب العلم فريضةٌ على كل مسلم، ومن أخذ علمه من كتابه، غلب خطؤه على صوابه.

ولا يمنعنك أنك مثقفٌ أو مفكرٌ أو حتى عالم أن تعترف بخطئك، وأن تقبل الصواب من الآخرين أيًا كانت مكانتهم، كالأبناء في البيت، وكذلك الزوجة، والمرؤوسين في العمل، اقبل الصواب من الصبي والكبير والغني والفقير، وتعوَّد قول: [لا أدري] لما يخفى عليك من الأمور.

وإذا حدثتك نفسك أن اعترافك بخطئك، أو قبولك الحق ممن هو دونك مرتبةً وعلمًا، قد يضع من قدرك، فاحرص على سلامة الحق أكثر من حرصك على تزيين نفسك في أعين الناس.

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: «**أن تخضع للحق، وتنقاد له، وتقبله ممن قاله**»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مدارج السالكين ابن القيم.

❋ ثامنًا: أن نثبت على الحق:

والحق هو الدين، وهو لحمك ودمك ورأس مالك الذي لا يحتمل الخسارة، والحق هو المنهج القويم الذي كان عليه ﷺ وأصحابه، فقد بَشر النبي ﷺ بأن الثابت من بعده -يعني على المنهج- له أجر خمسين من الصحابة (رضي الله عنهم) حين قال: «**إن من ورائكم أيام الصبر، للمُتمسِّك فيهن يومئذٍ بما أنتم عليه، له أجر خمسين منكم**»(١).

والحق هو المبادئ الكريمة والأخلاق القويمة.

فمن ثبت على الدين والمنهج والخلق، ثبت أمام الفتن وعند الموت وفي القبر، وبين يدي الرب جل جلاله.

ومن ثَمّ «**كان أكثر دعائه** ﷺ: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، فقيل له في ذلك؟ فقال: إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ»(٢).

❋ تاسعًا: ألا تُلبِس الباطل بالحق:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة:٤٢].

فإن لدعاة الضلالة في إغواء الناس طريقتين:

- **الأولى**: طريقة لبس الحق بالباطل [أي مزجه به] وهي المشار إليها بقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

- **والثانية**: طريقة جحد الحق وإخفائه وهي المشار إليها بقوله: ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ ﴾»[١].

○ ومن صور لبس الحق بالباطل:

١- الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.

٢- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد خشية الابتلاء وتعريض النفس للفتن.

٣- المداهنة، وضعف الولاء والبراء بحجة المداراة والتسامح.

٤- الانفتاح على الدنيا والركون إليها بحجة التعفف عن الناس، وإنفاق المال في وجوه الخير.

٥- الأخذ بالآراء الشاذة والتلبس بما فيه شبهة بحجة يسر الشريعة.

٦- التشهير بالدعاة والمصلحين واغتيابهم بحجة النصيحة والتحذير من الأخطاء[٢].

❋ عاشرًا: أن ندعوَ الله تعالى باسمه الْـحَــق:

كما كان النبي ﷺ إذا قام من الليل، افتتح صلاته قائلًا: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٣].

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين.

(٢) تدبر سورة البقرة للمؤلف.

(٣) متفق عليه.

فاللهم إنا نسألك باسمك «الْـحَـــق» أن تثبتنا على قول الحق وفعل الحق والتواصي بالحق والتواضع للحق حتى نلقاك...

(٤٦)المبين جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾ [النور: ٢٥].

➢ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

(المبين) جل جلاله: هو الذي بَيَّن لعباده الغاية من وجودهم، وبيّن لهم البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على ربوبيته ووحدانيته، وبيّن لهم دينهم وشريعتهم، وقطع لهم بأنه لن يُعذبهم إلا بعد بيان الحجة لهم، وإقامتها عليهم.

قال الزجاج: «فالله تبارك وتعالى المبيِّن لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال الموجبة لثوابه والأعمال الموجبة لعقابه، والمبيِّن لهم ما يأتونه ويذرونه»[١].

وقال الخطابي: «المبين، هو البيّن أمرُه في الوحدانية وأنه لا شريك له»[٢].

فسبحان مَن دلائل ربوبيته وألوهيته أوضح من الشمس في رابعة النهار!

وقد قيل:

وكيف يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل.

➢ **كيف نعبد الله بهذا الاسم؟**

❋ أولًا: أن يعلم العبد ويوقن أن الله تعالى قد أقام الحجة على عباده بكل صورها وأنواعها وبيّن دينه بيانًا كافيًا شافيًا، ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بينة:

«ففي القرآن البيان الشامل الواضح لكل ما يحتاجه بنو الإنسان في حياتهم

(١) اشتقاق أسماء الله.

(٢) شأن الدعاء.

بأفصح عبارة وأجمل أسلوب.

في القرآن بيان كل شيء من البداية إلى النهاية، حتى يستقر أهل الجنة في نعيمهم وأهل النار في جحيمهم.

فمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يجب له تعالى وما لا يجب له تعالى وما لا يجب، والعقيدة الإسلامية، وأحكام العبادات والمعاملات، وجميع الشئون الاجتماعية والأجواء الشخصية، وكل ما تحتاجه المجموعة البشرية في كل زمان ومكان، وأحكام المعاد والبعث والنشور والحساب والجزاء والعقاب وغير ذلك مما هو مبيّن ومُوَضّح، وصدق الله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢]»[١].

فسبحانه، يضرب الأمثال ويُنوع الأدلة والبراهين ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويُصَدِّق الصادقين، ويُكَذِّب الكاذبين، ويدعو إلى دار النعيم بذكر أوصافها وحسنها وبهائها، ويُحذر من الجحيم ويذكر عذابها وقبحها وآلامها»[٢]، كل ذلك إمعانًا في التبيان وإقامة للحجة واضحة على الإنسان.

فصفة البيان صفة فعليه جلية من صفات رب البرية، وقد جاء بيانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن طريقين:

الأول: ما أنزله في كتبه على رسله وأنبيائه:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن / صالح البليهي، مختصرًا.

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم.

يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ [التوبة: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٩٨].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٩].

وكما جاءت الكتب مُبَيِّنة جاءت الرسل مبينين.

قال سبحانه: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

فلم يترك الله تعالى للناس شيئًا يعتذرون به حين ينفذ فيهم حكمُه.

قال تعالى عن نوح: ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء: ١١٥].

وقال تعالى عن نبينا: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٧٠].

وقال ﷺ: «**وليس أحدٌ أحبَّ إليه العذر من الله** ﷻ **من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**»(١).

وفيه تحذير من بطشه سبحانه ومن عقابه، إذ أن الإعذار لا يكون بعده إلا الأخذ والحساب.

وقد قال ﷺ: «**الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من**

---

(١) متفق عليه.

الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام..»[١].

فالإنسان ليس أمامه إلا واحد من هذه الثلاثة:

١-الحلال البين، وهذا لا يجوز التوُّرع عنه.

٢-الحرام البين، وهذا الذي لا يجوز الإقدام عليه.

٣-المشتبه، وهو المنطقة المتوسطة بين الحلال البين والحرام البيِّن، ومع ذلك بان حكمه وظهر الموقف منه، «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام**».

والله ﷻ سيواجه عباده يوم القيامة بنفس الحجج التي قامت عليهم في الدنيا كما قال سبحانه:

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [يس: ٦٠].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ﴾ [فاطر:٣٧].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ [الملك: ٨].

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

الثاني: آياته التي خلقها دالة عليه.

قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا

(١) متفق عليه.

وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يعني أنها كانت شيئًا واحدًا ملتزقتين ففصل بينهما الله بالهواء»(١).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٥].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

وقال سبحانه:

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام:].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦].

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: ٢٨].

فواعجبًا كيف يُعصى الإله أو كيف يجحده الجاحدُ
وفي كل شيء من خلقه آية تدل على أنه الواحد؟!

✵ ثانيًا: أن يقوم الدعاة إلى الله والعلماء والوعاظ ببيان الدين للناس، بل أن يبلغ كل مسلم دين الله الذي يعرف، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بما يقدر:

فقد ذم لله تعالى أهل الكتاب الذين باعوا دينهم ونبذوه وراء ظهورهم، وكتموا

---

(١) تفسير القرطبي.

الحق وخانوا العهد، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤].

«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – البيان – هو القطب الأعظم لهذا الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطهُ وأُهمل عمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة وعمّت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد»(١).

قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال عز من قائل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٠٩].

وقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»(٢).

وقال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم

(١) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٢) متفق عليه.

يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[(١)].

وقال ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والمداهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»[(٢)].

❁ ثالثًا: أن ندعو الله تعالى باسمه «المبين»:

كما قال الله تعالى عن قول قوم موسى لموسى: ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٦٨].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر، قال عمر: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فدُعي عُمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت الآية التي في النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أُقيمت الصلاة ينادي: ألا، لا يقربن الصلاة سكران، فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال: «اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيا، فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١]، قال عمر: انتهينا»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٤٧)(٤٨) القويّ، المتين جل جلاله

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج:٤٠].

نزلت هذه الآية في النبي ﷺ وأصحابه حيث كانوا في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار ومأمورين بالصبر عليهم لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة وأوذوا وحصل لهم منعة وقوة أُذن لهم بالقتال، فقال الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٣٩،٤٠].

فإننا إن نَصَرْنا الله تعالى باتباع أواومره واجتناب نواهيه وفعل ما يرضيه، فإن الله تعالى ناصرُنا على عدونا مهما قلّ عددُنا وعُدَدُنا ومهما عظُم عَددهم وعُدَدهم.

• **وقال تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود:٦٦].

• **وقال تعالى:** ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة:٢١].

فسبحانه كامل القوة كاملُ العزة.

-ومن كمال قوته وعزته، أنّ نَواصِي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحركٌ ولا يسكن ساكنٌ إلا بإرادته ومشيئته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

-ومن كمال قوته أنه رفع السماوات بلا عمد. قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر:٥٧].

وقال تعلى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١٠-١١].

جبال الهيما لايا:

يبلغ ارتفاعها اثني عشر ألف متر ولها قاعدة تغوص تحت الأرض أربعة وعشرون ألف متر، فجميع جبال الأرض ثلثها فوق الأرض وثلثاها تحت الأرض – فمن الذي خلقها ومن الذي جعلها أوتادًا للأرض لئلا تميد بنا؟

ومن الذي جعلها مصدّات للرياح؟ ومن الذي جعلها مستودعًا للكنوز؟ إنه القوي المتين جل جلاله.

- ومن كمال قوته أنه يمسك السماء أن تقع على الأرض، ولو تركها ما قدر أحد على إمساكها. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

- ومن كمال قوته أنّ في كونه وخلقه عجائب وأسرارًا، مهما عظمت قوى الأرض لن يستطيعوا لها تفسيرًا إلا إذا شاء الله.

يسمع الكثير عن مثلث برمودا – الذي هو سر من أسرار الله في أرضه – طائرات عملاقة تطير فوقه فتسقط في المياه بلا أي خبرٍ يُعرف عنها، بواخر عملاقة كذلك.

- يسمع الكثير عن يأجوج ومأجوج، والدجال، محلوقات عجيبة موجودة في الأرض، من يعرف مكانها وأحوالها؟

كل ذلك وغيره مرده إلى أن الله قوي عزيز.

• وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى: ١٩].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

فمن أعظم آثار قوة الله ﷻ: تكفله برزق جميع الخلائق وهذا ما لا يقوى عليه إلا الله.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن قوته أن أوصل رزقه إلى جميع العالم..»[1].

➢ معنى الاسم في حق الله:

(القوي) ﷻ: هو الذي لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب، ولا يَرُد قضاءه رادّ، ينفذ أمره ويمضي قضاؤه في خلقه، شديدٌ عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه»[2].

(القوي) ﷻ: هو الذي تتصاغر كل قوة أمام قوته ويتضاءل كل عظيم أمام عظمته.

(القوي) ﷻ: هو الذي يعطي القوة بحكمته لمن يشاء، ويسلبها ممن يشاء فبينما الرجل في أوج قوته وكامل صحته إذ بالمرض يَدهمه فلا يقوى أن يصلب عوده أو يرفع رأسه، ويضعف عن حمل أقل الأشياء.

ويأتي اسم «القوي» في كتاب الله تعالى في سياقين:

الأول: الإخبار عن تدمير الظالمين والمذنبين.

الثاني: سياق النصر والتأييد والتفريج للمؤمنين والمستضعفين.

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) تفسير الطبري، تفسير ابن كثير.

وهل هناك فرق بين القوي والقادر والمتين؟

الحقيقة أنه لا فرق إلا أن القوي هو «الكامل القدرة على الشيء، تقول: هو القادر على حمله فإن زدته وصفًا قلت: هو القوي على حمله»(١).

وأما المتين: قال الغزالي: «والمتانة تدل على شدة القوة لله تعالى...»(٢).

وقال الخطابي: «**المتين**: الشديد القُوي، الذي لا تنقطع قوته ولا تلحقه في أفعاله مشقة ولا يمسه لغوب»(٣).

➢ كيف نعبد الله تعالى باسميه «القوي» «المتين»؟

❋ أولًا: أن نستمد قوتنا منه وحده معتقدين أنه لا حول ولا قوة إلا بالله:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالقوة الحقيقة كلها لله لا تُستمد إلا منه، وهذه حقيقة سوف يدركها الغافلون يوم يرون عذاب الله بأبصارهم، فيعلمون حينئذ علمًا جازمًا أن القوة لله جميعًا، وقد عميت أبصارهم في الدنيا عن رؤية شواهد قوته ودلائل قدرته، فعلقوا قلوبهم بما لا يعطي ولا يمنع ولا يخفض ولا يرفع ولا يملك لنفسه فضلًا عن غيره شيئًا.

فالقوة كلها لله، العزيز من أعزه والذليل من أذلّه، والقوي من قوّاه والمنصور من نصره والمخذول من خذله. قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ٥٢﴾ [هود: ٥٢].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى:الزجاج.

(٢) المقصد الأسنى.

(٣) شأن الدعاء.

ولما سألت فاطمة النبي ﷺ، خادمًا، فقال لها: «**ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم تقولين: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثًا وثلاثين قبل النوم فهو خير لك من خادم**»(١).

ولذلك ما أجمل أن يردد العبد «لا حول ولا قوة إلا بالله» وقد أمر النبي ﷺ بالإكثار منها فقال: «**أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنزٌ من كنوز الجنة**»(٢).

وكان النبي ﷺ إذا سمع المؤذن، قال مثل ما يقول حتى إذا بلغ «**حي على الصلاة حيّ على الفلاح**» قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»(٣).

ذلك لأن فعل الخير من المسارعة إلى الصلاة والحرص على الفلاح لا يكون إلا بأن يمنحك الله القوة على ذلك.

وهي في نفس الوقت كلمة إسلام واستسلام وتفويض وتوكل، معناها: أنه لا تحول للعبد من معصية إلى طاعة ولا من مرض إلى صحة ولا من وهن إلى قوة ولا من نقص إلى زيادة، إلا بالله، ولذلك قال النبي ﷺ: «**ألا أدلك على كلمةٍ من تحت العرش، من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم**»(٤).

ومن قال هذه الكلمة مستشعرًا معناها عاملًا بمقتضاها من التوكل على الله وصدق الاعتماد عليه هُدِي وكفِي وَوُقِي وكان من أقوى الناس وأحسنهم حالًا ومآلًا، وفي الأثر: «**من سرّه أن يكون من أقوى الناس فليتوكل على الله ومن سرّه أن يكون من أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده**»(٥).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

(٤) رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) ذكره ابن تيمية في الفتاوى ولا تصح نسبته إلى النبي ﷺ، انظر الضعيفة.

❁ **ثانيًا: ألا يطغى الإنسان بقوته، وينسى ضعفه وعجزه:**

كثير من الناس يعطيه الله تعالى القوة والمنعة والمال والجاه، فيطغى ويستكبر في الأرض وينسى بدايته وعجزه، وينسى قدرة الله وقهره وبطشه، وقد حكى الله تعالى لنا عن كثير من هؤلاء، منهم قوم هود:

قال الله: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥﴾ [فصلت:١٥].

فماذا كانت عاقبة أمرهم؟

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فصلت:١٦].

فالعاقل لا يتجاوز قدره، بل عليه أن ينتهز فرصة قوته وشبابه ويجعلها في الطاعة كما عليه أن يبذل قوته في الخير والدفاع عن الحق ونصرة الضعيف وإنصاف المظلوم.

❁ **ثالثا: ألا يَدُبَّ اليأس إلى قلوبنا:**

لأننا تتعامل مع القوي المتين ﷻ الذي لا يُعجزه شيء ولا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، ولهذا كان اليأس من روْح الله من صفات الكافرين ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

❁ **رابعًا: ألا يكون خوفنا إلا منه:**

لأن قوته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فوق كل قوة، وليس أقوى من القويّ أحد، فكيف تخاف أحدًا أكثر من خوفك من الله؟

وكيف تخشى سطوة أمير أو مدير أكثر من خشيتك لله، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، ويقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥].

فلا بد أن نحقق الخوف الحقيقي من القويّ جل جلاله كعلامة من علامات إيماننا به، ولهذا قال الإمام أحمد لرجل وقد شكا إليه من الخوف: «لو صحَحَت لم تخَفْ أحدًا»(١).

✵ خامسًا: ألا نطلب النصرة إلا منه:

لأن النصر الحقيقي لا يكون إلا من عند الله لعباده المؤمنين الذين نصروا دينه بقلوبهم وأقوالهم وأفعالهم فاستحقوا بذلك نصر ربهم.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

فليس النصر للأقوى سلاحًا ولا للأكثر عددًا فقط، وإنما لمن آمن بالله القويّ وتعلق به، قال الله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ١٠].

لقد أنزل الله الملائكة يوم بدر ووظيفتها بث البشري والطمأنينة في قلوب المؤمنين ليس أكثر، فإن الله تعالى ناصرٌ عباده المؤمنين بقوته القاهرة وقدرته الباهرة، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال:٩-١٠].

هذه عقيدة راسخةٌ عند من آمن بالله القويّ فهو يعمل كل ما يقدر عليه دون أن يعتمد عليه بل على قوةِ من آمن به وجاهد في سبيله.

---

(١) هنيئًا لمن عرف ربه، بتصرف يسير.

حين جاء الأحزاب لحصار المدينة وتآمروا لكسر شوكة المؤمنين وأحكموا كيدهم سرًا وعلانية، أرسل القويّ جل جلاله، عليهم ريحًا عاتية اقتلعت خيامهم وقلبت قدورهم وأطفأت نيرانهم، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب:٢٥].

❊ سادسًا: أن نعمل جاهدين على تحصيل القوة (مع الأمانة):

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال ﷺ: «**ألا إن القوة الرمي**»(١).

فالله تعالى يحب القوة والأقوياء، الأقوياء في إيمانهم وأجسادهم وعلمهم وتعاطيهم وأخذهم وسائر أمورهم، كما قال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...**»(٢).

والله تعالى يكره القوة المبنية على الطغيان والظلم، كما قال ﷺ: «**لا قُدِّست أمةٌ لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع**»(٣).

وقوله «غير متعتع» أي من غير أن يصيبه أذىً يقلقه ويزعجه(٤).

فلا بد مع القوة من الأمانة: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

إن قوة بغير أمانة كفيلة، بأن تُنتج الطغاة في الأرض وتنشر الظلم والعدوان، وإن أمانة مع ضعفٍ كفيلة بأن تُفسد من حيث أرادت الإصلاح، فلا بد لنا – إن

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه.

أردنا النهوض – من هاتين الصفتين: القوة والأمانة[١].

وقد عرفنا القوة، أما الأمانة فـ «ترجع إلى خشية الله وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلًا وترك خشية الناس...»[٢].

❊ سابعًا: دعاء الله تعالى باسمه «القويّ» و«المتين»:

فاللهم إنا نسألك باسمك القويّ:

-أن توفقنا إلى طاعاتك وتعيننا على مرضاتك وتأخذ بنواصينا إلى طريق جناتك.

-وتنصرنا على أعدائك، وأن تعيننا على ضعف نفوسنا ووهن قلوبنا وأن تجعلنا من الصادقين.

-اللهم إنا نسألك باسمك القوي أن تنتقم من الظالمين، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك.

-اللهم إنا نسألك باسمك القوي أن تشفى صدور قوم مؤمنين.

اللهم آمين.

---

(١) هنيئًالمن عرف ربه.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية.

(٤٩)(٥٠)الحي القيوم جل جلاله

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١].

وقال سبحانه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وكان النبي ﷺ يدعو ويقول: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»(١).

وجاء في دعائه ﷺ في قيام الليل: «اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن...»(٢).

وفي رواية لمسلم: «أنت قيّام»، وفي رواية لهما: «**أنت قيّمُ السماوات...**».

معنى الاسم في حق الله:

(**الحي**) جل جلاله: هو الذي لم تُسبق حياته بعدم، ولا يلحقها زوال ولا فناء على الدوام.

(**الحي**) جل جلاله: هو واهب الحياة للخلق، فالحياة لا يملكها أحدٌ غير واهبها، لا يسلبها أحدٌ غير معطيها، فسبحانه ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد: ٢].

(**الحي**) جل جلاله: هو الذي يحيي النفوس والأرواح، بنور العلم والقرآن والإيمان، كما قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

---

(١) صحيح الترمذي.

(٢) متفق عليه.

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال:٢٤].

كان لقمان يقول لولده: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء»(١).

(الحي) جل جلاله: هو الذي يحيي الأرض الميتة والأجساد البالية، كما قال سبحانه: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩ ﴾ [الروم: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾ [يس: ٧٧، ٧٨].

من خلال هذه المعاني يتبين الفارق بين حياة الخالق وحياة المخلوق.

فالحي سبحانه وتعالى، حياته منزهة عن مشابهة حياة الخلق، فحياته عز وجل كاملة لا يعتريها موت ولا نوم ولا سنة، بخلاف حياة الخلق.

(القيوم) جل جلاله: هو القائم بنفسه مطلقًا أزلًا وأبدًا، فلم يحتج إلى أحد بوجه من الوجوه، لكمال غناه وقدرته.

(القيوم) جل جلاله: القائم بأمر عباده، بتدبيرهم، وأرزاقهم وحفظهم وجميع شئونهم ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾ [الرعد: ٣٣].

بل القائم على جميع العوالم العلوية والسفلية وما فيهما من مخلوقات وجمادات.

---

(١) الآداب الشرعية / ابن مفلح.

(الحي، القيوم) جل جلاله:

الحي: الجامع لصفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والإرادة والقدرة.

القيوم: الجامع لصفات الأفعال، كالخلق، والرزق، والإنعام، والإحياء والإماتة.

قال الشيخ الهراس – في معنى الاسمين –: «ومعنى الحي: الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية، التي لا يلحقها موت ولا فناء؛ لأنها ذاتية له سبحانه، وكما أن قيوميته مستلزمة لسائر صفات الكمال الفعلية، فكذلك حياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة، والإرادة والسمع والبصر والعزة والكبرياء والعظمة ونحوها»(١).

وقال العلامة العثيمين رحمه الله **تعالى في تفسير (الحي القيوم)**: «هذان اسمان من أسمائه تعالى، وهما جامعان لكمال الأوصاف والأفعال، فكمال الأوصاف في الحي، وكمال الأفعال في القيوم؛ لأن معنى الحي: ذو الحياة الكاملة، ويدل على ذلك (أل) التي تفيد الاستغراق، وكمال الحياة من حيث الوجود والعدم، ومن حيث الكمال والنقص»(٢).

سر اجتماع هذين الاسمين في أغلب المواضع:

أن هذين الاسمين يتضمنان صفتين عظيمتين لله تبارك وتعالى، وهما: الحياة، والقيومية، وهاتان الصفتان متلازمتان، فلما كانت حياة الله سبحانه لا تشبه حياة المخلوقين، أتبع الله اسم «الحي» باسم «القيوم» إشارة إلى أن المخلوق حي؛ ولكنه يقوم بغيره، والله حي؛ ولكنه يقوم بنفسه.

---

(١) شرح النونية للهراس.

(٢) تفسير آية الكرسي.

من كمال حياته، وتمام قيوميته:

أنه ﷻ لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، ولا نقص، ولا ضعف، ولا غفلة ولا سهو، ولا عجز، ولا موت، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ولهذا كانت آية الكرسي التي جلّت هذا المعنى، أعظم آية في كتاب الله.

كما جاء في حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا أبا المنذر، أتدري أيّ آية في كتاب الله أعظم؟ قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ **قال: فضرب النبي ﷺ في صدري، وقال: والله ليَهنِك العلم أبا المنذر»**(١).

وكان النبي ﷺ يقول: **«إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»**(٢).

➢ **كيف نعبد الله باسميه «الحي القيوم»؟**

❋ **أولًا: أن نستشعر حياته وقيوميته سبحانه وتعالى:**

استشعار المعاني السابقة تورث في قلب المؤمن حب الله وخشيته وتعظيمه.

حب الله: لأنه يقيم الإنسان بما يُيَسِّر له من أسباب العيش والقيام والحياة.

وخشيته: لأنه هو القائم على كل نفس بعلمه وسمعه وبصره سبحانه.

وتعظيمه: لأن السماوات والأرض في كف الحي القيوم، كخردلة في يد أحدنا.

❋ **ثانيًا: أن نتوكل عليه وحده، ونركن إليه وحده، ونُعَلِّق آمالنا به وحده:**

فمن عرف الحي القيوم بالأمور كلها استراح عن كَدِّ التدبير وتعب الانشغال وفوّض أموره كلها لله سبحانه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

من عرف الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة، يكون توكله في جميع أموره عليه، وملجؤه إليه، ومن ثَمَّ قطع تعلقه ورجاءه في المخاليق الضعفاء الذين يموتون وينامون ويغفلون وينسون، ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا فضلًا عن أن يملكون ذلك لغيرهم.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعائه:

«**اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»(١).

وكان يقول: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»(٢).

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –: «انتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى وبكل صفة من صفاته، فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنة تفريج الكربات وإغاثة اللهفان وإنالة الطلبات»(٣).

قال عز من قائل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ومن ثَمَّ يوقن المؤمن ويطمئن بأن كلّ ما يجري في ملكوت الله علوِّيه وسفليه من خلقٍ أو أمر إنما يقع بعلم الله وإرادته وإذنه وحكمته وعدله ورحمته ولطفه، والعارفون بالله المدركون لهذه المعاني هم الذين يعيشون في طمأنينة وراحة بال وحسن ظن بالكبير المتعال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الترمذي.

(٣) بدائع الفوائد.

وفي آية الكرسي، ذَكَرَ الله تعالى اسمه «الحي» بعد قوله: «الله لا إله إلا هو» إشارة إلى تفرده ﷻ بالألوهية والعبادة، ويكأنه تعالى يقول: لا يستحق العبادة إلا من كان حيًا الحياة الذاتية الأبدية، وحيث لا حيّ هذه الحياة إلا الله فلا مستحق للعبادة سواه.

وقد نبه أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه إلى التلازم بين الحياة الدائمة الأبدية وإستحقاق العبودية في الخطبة التي ألقاها بعد وفاة الرسول ﷺ حيث بين للصحابة رضي الله عنهم أنه لا غرابة في وفاته عليه الصلاة والسلام – رغم عظم المصيبة – لأنه ليس إلهًا يعبد، والذي يعبد هو الله تعالى وهو حيٌّ لا يموت.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، **«أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدا ﷺ فإن محمدًا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ قول الله تعالى:** ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمعُ بشرا من الناس إلا يتلوها»[(١)].

❋ ثالثا: أن نزهد في هذه الحياة الدنيا، ولا نغتر بها، ونعمل للحياة الحقيقية:

لأنا تاركو هذه الحياة على حين غفلة منا إلى حياة حقيقية دائمة، ستتمنى ساعتها أن لو عملنا لها حقًا، كما قال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾

(١) رواه البخاري.

[الفجر: ٢٣ – ٢٥] وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن ٢٦-٢٧].

فإن الحياة الأزلية الأبدية الدائمة ليست إلا لله وحده وكل من سواه كائنًا من كان فإنه هالك وميت، يقول ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقال ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾ [القصص:٨٨]، وقال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)﴾ [العنكبوت:٥٧]، فلو كان لأحد من الخلق خلود أوبقاء لكان أولاهم بذلك سيد الأولين والآخرين، خليل رب العالمين، محمد ﷺ، لكنه لم يبق عليه الصلاة والسلام، وإنما مات كما يموت البشر.

يقول ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ [الأنبياء:٣٤-٣٥]،

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه **قال:** «جاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، ثم قال: واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس»[1].

وليس الحديث على ظاهره؛ لأن الإنسان لا يعيش كما يشاء هو، لكن هذا لبيان هذه الحقيقة، كما قال موسى عليه السلام لما أُمر أن يضع يده على متن ثور وله بكل شعرة وقعت عليها يده سنة، فيمتد عمره بذلك، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن[2].

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الحافظ الذهبي.

(٢) الحديث متفق على صحته، انظر الصحيحة، جمع الشيخ رحمه الله، ألفاظه وزياداتهن وساقها سياقًا واحدًا.

فقوله: (يا محمد، عِشْ ما شئت)، أي: افترض أنك تعيش ما شئت، فلا بد يومًا من الموت.

قال السعدي: «أي كل من على الأرض من إنس وجن ودواب وسائر المخلوقات يفنى ويبيد ويبقى الحي الذي لا يموت»[١].

❋ رابعًا: أن ندعو الله تعالى بهذين الاسمين:

لما سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو ويقول: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم» قال: **«لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»**[٢].

وكان ﷺ يقول: «من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له، وإن كان فَرّ من الزحف[٣].

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) صحيح الترمذي.

(٣) صحيح الترمذي.

(٥١) العظيم جل جلاله

- قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى: ٤].

- وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- ومعنى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾ أي لا يعجزه ذلك.

- وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحاقة:٢٥- ٣٣].

وإطلاق هذا الاسم في هذا السياق يفيد عتابًا شديدًا وتوبيخًا كبيرًا لذاك الإنسان، مفاده: الله العظيم جل جلاله، كيف لا يُعظم؟ كيف لا يؤمن به؟ ويُذعن له؟ ويُنقاد لشريعته؟ أيضًا ما من مخلوق من البشر إلا ما ندُر إلا وهو يؤمن بالله أي بوجوده وخلقه لهذا الكون، لكن الإيمان الذي يحقق السعادة في الدنيا والنجاة من عذاب الله في الآخرة هو الإيمان بالله العظيم؛ لأنك إن آمنت بالله العظيم استحييت أن تعصيه، وكَبُر عليك أن تعرض عنه، سل هؤلاء الذين يعصون الله ليلًا ونهارًا، تركٌ للصلوات واتباعٌ للشهوات، كسبٌ محرم، علاقات بالنساء، صحبة سيئة، عدوان على الآخرين......... إلخ.

سل أحد هؤلاء: ألا تؤمن بالله؟ فسيقول: بلى، ويقصد أنه يؤمن بوجود الله وأنه خالق هذا الكون!!

فإذا قلنا له: إذن كيف تعصيه؟ كيف تجعله أهون الناظرين إليك؟ كيف تُلقي شرعه وراءك ظِهريًا؟

الجواب: لأنه لا يؤمن بالله العظيم، لا يعرف الله حق معرفته.

وصدق من قال: معرفة الله أصل الدين؛ لأنك إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفنَّنْتَ في التفلت من الأمر.

-وقد أمر النبي ﷺ أن يسبّح بهذا الاسم في الركوع فقال: «أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه في الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم»[١].

معنى الاسم في حق الله:

(العظيم) جل جلاله: هو صاحب العظمة والجلال والجمال والكمال في كل شيء.

فهو عظيم في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته، عظيم في رحمته، عظيم في قدرته، عظيم في حكمته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبته وعطائه، عظيم في لطفه وخبرته، عظيم في بره وإحسانه، عظيم في عزته وعدله وحمده، فهو العظيم المطلق فلا أحد يساويه ولا عظيم يدانيه»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو العظيم بكل معنىً يوجب التعظيم لا يحصيه من إنسان[٣]

أي: مهما عظمه المعظمون وأثنى عليه المثنون ومجدّه الممجدون لا يُحصون ثناءه ولا يعظمونه حق عظمته ولا يقدرونه حق قدرة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أسماء الله الحسنى: الأشعر.

(٣) النونية.

وجاء في الصحيح أن النبي ﷺ كان يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١).

(العظيم) جَلَّ جَلَالُهُ: هو الذي ليس لعظمته بداية ولا لجلاله نهاية.

لو نظرنا إلى عظيم من عظماء البشر، لو نظرنا إلى عظيم بماله، قد كان قبل ذلك فقيرًا، لو نظرنا إلى عظيم بعلمه قد كان قبل ذلك جاهلًا، لو نظرنا إلى عظيم بجاهه أو ملكه، قد كان قبل ذلك نسيًا منسيًا، كما أن هؤلاء العظماء إلى زوال لكن الله العظيم، ليس لعظمته بداية ولا لجلاله نهاية.

و «**العظمة**»: صفة من صفات الله لا يقوم لها خَلْق والله تعالى خَلَق بين الخلق عظمةً يُعظِّم بها بعضهم بعضًا فمن الناس من يُعظم لمال ومنهم من يُعظَّم لفضل ومنهم من يُعظم لعلم ومنهم من يُعظم لسلطان ومنهم من يُعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يُعظم بمعنى دون معنى، والله عَزَّ وَجَلَّ يعظم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرف حق عظمة الله، ألا يتكلم بكلمة يكرهها الله ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت»(٢).

قال ﷺ: «إن الله يقول: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما عذبته»(٣).

وفي رواية أبي داود: «قذفته في النار».

قال الخطابي: معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الحجة في الحجة: الأصبهاني.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

واختُص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والذل[١].

فعظمة العبد، كبره المذموم وتجبره وإذا وصف العبد بالعظمة فهو ذم لأن العظمة في الحقيقة لله[٢].

ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»[٣].

العظيم يتحدث عن عظمته:

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلكلم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَرِّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا

---

(١) عون المعبود: العظيم آبادي.

(٢) المعاني الايمانية في شرح الأسماء الحسنى الربانية نقلًا عن لسان العرب.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

يلومن إلا نفسه»(١).

الخير العميم في اسم الله العظيم:

تأمل هذه الأحاديث تجد الخير العميم في اسم الله العظيم وفي نفس الوقت سيظهر لك مدى تقصيرنا في حق ربنا من ذكره وطاعته ومدى الحرمان الذي حُرمناه بسبب ذلك.

١-عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ «**كان يدعو عند الكرب ويقول لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم**»(٢).

وفي رواية لأهل السنن: «**كلمات الفرج**» وذكر نحو هذه الكلمات.

فما من كرب عظيم إلا والله أعظم منه وما من هم كبير إلا والله أكبر منه، فالعظيم جل جلاله لا تعظم عليه شدة أن يكشفها ولا كرب أن يرفعه.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦].

٢-يقول ﷺ: «ما من مسلم يعود مريضًا لم يحضر أجله فيقول سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عوفي»(٣).

٣-وكان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال: إذا قال ذلك حُفظ منه [أي من الشيطان] **سائر اليوم»**(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني.

٤-**يقول ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك وزاد عليه»**[(١)].

٥-**يقول ﷺ: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فَرّ من الزحف»**[(٢)]. وورد في السنن بلفظ «**ثلاثًا**» وبدون «العظيم».

هذه خمسة أحاديث ولم أُرد الاستقصاء والتكثير وإنما أردت الإشارة إلى أن العظيم ﷻ إذا ذكر حل النفع والخير ودُفع الضُّر والشر.

اقتران اسم الله «العظيم» باسم الله العليّ»:

إشارة إلى أن الله تعالى عظيم في علوه وعالٍ في عظمته سبحانه جل قدره وتعالى شأنه.

اقتران اسم الله العظيم باسم الله الحليم:

إشارة إلى أن عظمته سبحانه لم تمنعه من أن يحلم على خلقه ويصفح، ولم يكن حلمه سبحانه عن ضعف وعجز وإنما عن عظمة وقدرة وقهر.

من دلائل عظمته ﷻ:

إن القلب ليرتجف من الهيبة والجلال وهو يتحدث عن عظمة الملك الحق الكبير المتعال.

عظـــيم لا تحـــيط بـــه الظنـــون　　　بقدرتـــه التحـــرك والســـكون

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

تعــالى الله خــالق كــل شــيء مقــدره إلــى وقــت يكــون
إذا مــا فُــزت منــه بــالتجلي فكــل شــدائد الــدنيا تهــون

١-من دلائل عظمته: عظمة أسمائه وصفاته:

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الواحد المتفرد بالكمال والجمال والجلال المنزه عن الشريك والشبيه والمثال، قال عز من قائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

قال عز من قائل: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢-من دلائل عظمته: أنه لا يملك أحد في هذه الدنيا أن يراه:

فهو سبحانه أعظم من أن تحيط به الأبصار، ألم تر إلى الجبل كيف اندك؟ ألم تر إلى موسى كيف صُعق؟ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف ١٤٣].

قال جل شأنه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وكما قال أعظم الخلق به ﷺ: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه»(١).

---

(١) رواه مسلم.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السماوات والأرض من نور وجهه».

وقال ﷺ: «**اعلموا أنكم لن ترون ربكم حتى تموتوا**»[1].

ولكن فليبشر الصالحون يوم القيامة بلذة نظرهم إلى وجهه الكريم، وذاك أعلى وأعظم نعيم أهل الجنة. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وقال ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيُكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** عَزَّ وَجَلَّ»، **ثم تلا**: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][2].

٣-ومن دلائل عظمته: عظمة كرسيه:

ولم يرد ذكر الكرسيّ في القرآن إلا في آية واحدة وهي أعظم آية في القرآن لأنها احتوت على أسماء الله وصفاته، فهي مكونة من عشر جمل كلها أسماء وصفات لله عَزَّ وَجَلَّ وفيها يقول الله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال أبو ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺ وحده فجلست إليه فقلت: يا رسول الله أيما أُنزل عليك أفضل؟ قال: «**آية الكرسيّ وما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاةٍ بأرضٍ فلاة، وفضل العرش على الكرسيّ كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**»[3].

---

(١) رواه الطبراني وانظر صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر السلسلة الصحيحة.

ورغم هذه العظمة الباهرة المبهرة للكرسي إلا أنه موضع القدمين.

قال ابن عباس: الكرسيّ موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره[١].

إن العقل يطيش ويُذهل عندما يتأمل فقط سعة الأرض، فكيف بسعة السماوات والأراضين كلها؟ فإذا كان الكرسيّ يسع هذا كله فكيف تكون عظمته؟ سبحان الملك العظيم!!

٤-ومن دلائل عظمته: عظمة عرشه:

عرش الله ﷻ هو أكبر المخلوقات وأعظمها، وقد وصفه ربنا بالعظمة فقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:١٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون:١١٦].

وقال تعالى:: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج:١٤-١٥].

ولعظمة العرش وجلاله ومكانته، خلقه العليم العظيم بيده:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وآدم وجنة عدن ثم قال لسائر الخلق: كن فكان»[٢].

ولعظمة العرش كذلك جعله الله سقف المخلوقات:

قال ﷺ: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجّر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن**»[٣].

---

(١) صححه الألباني في مختصر العلو.

(٢) رواه الآجري واللالكائي وصححه الذهبي والألباني في مختصر العلو.

(٣) رواه البخاري.

وحملة العرش ثمانية:

يتحدث النبي ﷺ عن واحد منهم قائلًا: «أُذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»(١).

إذا أردت أن يكون لك ذكر عند العرش؟

قال كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لهن دويٌّ حول العرش كدويّ النحل يُذكرن بصاحبهن»(٢).

٥-ومن دلائل عظمته:

عظمة التشريع الذي شرعه لعباده فهو يضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة ويحقق لهم الأمن والأمان والاطمئنان، فقد شرع لنا ربنا شرعًا محكمًا عظيمًا جمع لنا فيه كل خير وقال فيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

-**شرع لنا الصلاة**: تزكي نفوسنا وتُغفرذنوبنا وتُرفع فيها درجاتنا ويوصل بها بيننا وبين ربنا ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

-**وشرع لنا الزكاة**: تطهر أموالنا ونفوسنا ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

-**وشرع لنا صيامًا**: يربينا على الصبر والعزيمة والثبات وتمام المراقبة.

-وشرع الحج على القادرين ليكون جهادًا بالنفس والمال، واستجابة لأمر الله وإقبالًا بالحب إلى حرَمِ الله.

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في كتاب » العرش « وصححه الألباني في مختصر العلو.

-وهكذا شرائع الإسلام كلها فيها سعادة الدارين.

وشرع الله تعالى من الشرع ما يحفظ على المسلمين أعراضهم وأموالهم ودماءهم ودينهم وعقولهم.

-فمن أجل الحفاظ على الأعراض حَرّم الله الإسلام مجرد القرب من الزنا وشرع حدّه المعروف.

-ومن أجل الحفاظ على الأموال حرم السرقة والربا والغش وأكل أموال الناس بالباطل وشرع حد السرقة وهو القطع المعروف.

-ومن أجل الحفاظ على الدماء حرم القتل وشرع القصاص.

-ومن أجل الحفاظ على الدين شرع حد الردة.

-ومن أجل المحافظة على العقول حرم الخمر والمخدارات وما يتفرع عنها.

٦-ومن دلائل عظمة ربنا: عظمة كتابه:

يقول ﷺ مبينًا عظمة القرآن: «والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوارة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها – يعني آيات أم القرآن – وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»(١).

سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ: «﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠]**، فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر»**(٢).

---

(١) رواه احمد والترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه الحاكم والبيهقي في الدلائل وقال محقق الشفا: حسن بمجموع الطرق.

وعن جبير بن مطعم قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]، **قال: كاد قلبي أن يطير للإسلام»**[(١)].

بل انظر لروعة القرآن وعظمته حين تأخذ الكافرين حتى يسجدوا مع النبي ﷺ حين يسمعون القرآن منه»، فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس**».

٧- ومن دلائل عظمته، عظمة خلقه:

من تأمل هذه المخلوقات العجيبة امتلأ قلبه بعظمة الله العظيم، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال جل ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

وقال ﷺ: «ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمد إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم»[(٢)].

٨- ومن دلائل عظمته: عظمة يوم القيامة.

يوم القيامة يوم عظيم أمره شديد هوله، لا يلاقي العباد يومًا مثله، وصفه الله تعالى بالعظمة حين قال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في الصحيحة.

ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٤-٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج:١-٢].

الطفل الصغير يشيب شعره من هول ما يرى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل:١٧].

وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القصاص وقلبه مذعور

هذا بلا ذنب يخاف جنايةً ... كيف المصر على الذنوب دهور

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**» قال سليم: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض التي تكتحل بها العين؟ قال: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حِقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا**» وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه(١).

إنه يوم عظيم يتلاشى فيه كبرياء كل المخلوقين وتنمحي عظمة كل العظماء ويعميهم الذل ويزعجهم الخوف لا يملكون كلامًا أو اعتذارًا أو تصرفًا ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

---

(١) رواه مسلم.

➢ **كيف نعبد الله باسمه العظيم؟**

كيف نعظم الله؟ كيف نقدره حق قدره؟

علامات تعظيم الله:

أمرنا الله تعالى بتعظيمه وجعل ذلك علامةً على التقوى وأمارةً على الإيمان وسبيلًا لنيل الخير والثواب في الدنيا والآخرة.

- **قال تعالى:** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

وشعائر الله تعالى: دينه وشرعه وعبادته.

وإذا كان تعظيم شعائر الله علامة على تقوى القلب وصلاحه، فإن الاستخفاف بشعائر الله والاستهانة بها علامة على فساد القلب وفجوره وربما كفره، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٢٩].

- **وقال تعالى:** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قال جماعة من المفسرين: حرمات الله: مغاضبه وما نهى عنه وتعظيمها، ترك ملابستها، وقال الليث: حرمات الله ما لا يحل انتهاكها، وقال قوم: الحرمات هي الأمر والنهي، وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب القيام به وحُرِّم التفريط فيه.

والصواب: أن الحرمات تعم هذا كله وهي جمع حرمة وهي ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق...»[1].

قال ابن كثير – في تفسير الآية: «أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه فهو خير له عند ربه أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل[2].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين.

(٢) المصباح المنير: المبار كفوري.

وحتى يعلم العبد هل هو معظمٌ لله تعالى على الحقيقة أم لا، هناك علامات ودلائل يُعرف بها ذلك.

١) تعظيم أسمائه وصفاته:

بأن نفهمهاعلى مراد الله ورسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل كما قال عز من قائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وكذلك تعظيمها أن نعرف معناها ونعمل بمقتضاها ونرى في الكون آثارها ونتعبد لله بها، وبذلك نكون قد أحصيناها عملًا بقول النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**»[1].

ومن علامات تعظيم الله:

٢) تعظيم الأمر والنهي:

لأن تعظيم الأمر والنهي ناشيءٌ عن تعظيم الآمر الناهي جل جلاله.

ولهذا ذم الله تعالى من لم يعظم أمره فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣].

أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وسلطانًا، ويقال: ما لكم لا تعظمونه حق عظمته فتوحدونه[2].

كما مدح سبحانه وتعالى من عظم أمره، فقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

وتعظيم الأمر إنما يكون باتباعه، وتعظيم النهي إنما يكون باجتنابه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: الفيروز آبادي.

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

وإذا عظمت أمر الله تعالى ممتثلًا ونهييه مجتنبًا فأبشر:

• قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء:٦٦].

• وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

• وقال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [الشورى: ٤٧].

• فالفرص لا تكرر، فإذا أتتك أوامر الله أو أوامر رسوله ﷺ، فسارع ممتثلًا، إذا بلغك ما نهى الله عنه فسارع منتهيًا لأن اليوم حياة وغدًا موت، اليوم تقدر وغدًا لا تقدر.

ليس في كل حين وأوان ... تتهيأ صنائع الإحسان.

فإذا أمكنت فبادر إليها ... حذرًا من تعذر الإمكان[1].

• وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦].

ذُكر في تفسير هذه الآية أن رسول الله ﷺ أراد أن يحطم الفوارق الطبقية بين الناس، أراد أن يزيل الحواجز بين الفقراء والأغنياء وبين الأحرار أصلًا والذين أنعم الله عليهم بالحرية بعد ما كانوا عبيدًا، أراد النبي ﷺ أن يبين للناس أنهم جميعًا كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجميّ ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى

(١) مكارم الخلاق: الخرائطي.

والعمل الصالح، فقام إلى زينب بني جحش، **قام إليها يخطبها إلى مولاه زيد بن حارثة** – الذي أنعم الله عليه بالحرية – فلما ذكره لها قالت: لست بناكحته، فقال ﷺ: «**بل تنكحينه**»، فبينما هما يتحاوران إذ بالوحي ينزل لفصل القضاء ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ٱلْخِيَرَةُ ...**﴾ فقرأها رسول الله ﷺ على زينب، فقالت: يا رسول الله أترضاه لي زوجًا؟ قال: «**نعم**»، قالت: إذن لا أعصي الله ورسوله.

أوامر الله تعالى لا تقبل النقاش ولا تخضع للخيرة، أوامر العزيز الجبار لا تُرد ولا تُرفض وإلا كان العقاب الوخيم والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

- **وقال تعالى**: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

هذا هو تعظيم الله على الحقيقة.

١- أن تُحكم رسول الله ﷺ في جميع حياتك.

٢- ألا يكون في نفسك شيء من حكمه.

٣- أن تنقاد لحكمه.

فقد أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم النبي ﷺ في جميع الأمور ثم ينقاد لما حكم به ظاهرًا وباطنًا ويُسَلِّم لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ولا سؤال عن العلل أو تتبع للرخص أو روغان كروغان الثعالب.

- **حكاية الله تعالى عن قوم حُرموا تعظيم الأمر والنهي:**

قال الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ

ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: [٤٧-٥٢].

علامات تعظيم الأمر والنهي:

١-المبادرة إلى الأوامر والقيام بها على أحسن الوجوه:

قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]، أي: سارعوا إليها قبل فواتها[(١)].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم...**»[(٢)].

في هذا الحديث: حث على اغتنام الأعمال الصالحة قبل ظهور ما يمنعها[(٣)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «علامة التعظيم للأوامر، رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها والحزن والكآبة والأسف عند فوات حق من حقوقها كمن يحزن على فوات الجماعة ويعلم أنه إن تُقُبِّلت منه صلاته منفردًا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا، ولو أن رجلًا يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة، قيمتها سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا فكيف وكل ضعف مما تُضاعف به صلاة الجماعة خير من ألفٍ وألفٍ وألفٍ وما شاء الله»[(٤)].

---

(١) تطريز رياض الصالحين: فيصل آل مبارك.

(٢) رواه مسلم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الوابل الصيب.

٢-اجتناب المناهي اجتنابًا تامًا مطلقًا:

إذا كان النبي ﷺ قد قال في الأمر: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» فقد قال في النهي: **«وما نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»**[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما علامات تعظيم المناهي فالحرص على التباعد عن مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ومجانبة كل وسيلة تقرِّب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسِّنها ويدعوا إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله وحرماته»[(٢)].

٣-الغضب إذا انتهكت حرمات الله:

عن عائشة رضي الله عنها **قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأةً ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله»**[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن علامات تعظيم النهي أن يغضب لله عز وجل إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرة إذا عُصي الله – تعالى - في أرضه ولم يُطَع بإقامة حدوده وأوامره ولم يستطع هو أن يُغير ذلك»[(٤)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) الوابل الصيب.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الوابل الصيب.

تعظيم الأمر والنهي عند الصحابة:

١-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة:٢٨٤].

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ [أي شق عليهم الأمر وشعروا أنهم هالكون لا محالة لأن حديث النفس لا ساحل له ولا ينجوا منه ناجٍ فمن ذا الذي لا تحدثه نفسه بسوء وشر؟] فأتوا رسول الله ﷺ وبركوا على الركب فقالوا: يا رسول الله كُلفنا من الأعمال ما نُطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أُنزلت عليك آية لا نطيقها [لم يقولوا ذلك اعتراضًا قطعًا لأنهم إنما جاءوا لابسين لباس الخوف والقلق، فوَجْه كلامهم: خشيتهم الهلاك بعدم القدرة على الامتثال ومع ذلك لم يسمح لهم النبي ﷺ بهذه الوقفة التي وقفوها وإنما قال:] فقال ﷺ:

«أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» [هذا هو موقف المسلم من أوامر الله: سمعنا: أي سماع قبول وفهم وتعلم واستيعاب، وأطعنا: استجبنا لمقتضى ما سمعننا، غفرانك ربنا: الاستغفار الدائم على التقصير الواقع في الاستجابة، إليك المصير: استشعار قرب اليوم الآخر المحتوم فإنه مما يسهل الطاعة ويعين على العمل، حتى ولو أيقن العبد عجزه عن الامتثال ينبغي أن يُعلن الانقياد والإذعان لأمر الله كما حصل هنا] قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير [سرعة انقيادهم مع أن إشكالهم لم يُحَلّ وهذا هو تعظيم الأمر والنهي] **فلما اقْتَرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها:** ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ **فلما فعلوا ذلك نسخها الله – تعالى –**

[أي نسخ الحكم بالمحاسبة على الخواطر وحديث النفس وهذه ثمرة تعظيم الأمر والنهي: القبول والتيسير] **فأنزل الله** ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[١].

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما «**أن رسول الله** ﷺ **رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال: يعمدُ أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**»، فقيل للرجل بعدما ذهب النبي ﷺ: خذ خاتمك، انتفع به فقال: لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله[٢].

٣- قال أنس رضي الله عنه: «**كان رجل من أصحاب رسول الله** ﷺ **يقال له جليبيب في وجهه دمامة فعرض عليه رسول الله التزويج** فقال: إذًا تجدني كاسدًا، فقال ﷺ: «**غير أنك عند الله لست بكاسد**» فلم يزل النبي ﷺ يتحين الفرص لتزويج جليبيب، حتى جاءه رجل من الأنصار يومًا يعرض ابنته على رسول الله، فقال ﷺ: «**نزوجها جليبيب!!**» يا رسول الله حتى أستأمر أمها، فأتى الرجل زوجته وقال: إن رسول الله يخطب ابنتك لجليبيب!!

قالت: حلقى!! لجليبيب، لا لعمر الله لا أزوج جليبيبًا وقد منعناها فلانًا وفلانًا فاغتم أبوها لذلك وقام ليأتي رسول الله فصاحت الفتاة من خِدرها بأبويها: من خطبني إليكما؟

قالا: رسول الله، قالت: أتردان على رسول الله أمره، ادفعاني إلى رسول الله، فإنه لن يضيعني، فكأنما جَلّت عنهما.

---

(١) رواه مسلم، وما بين القوسين من تعليقاتي على رياض الصالحين: المسك والعنبر والرياحين، تنبيهات وفوائد على.....رياض الصالحين.

(٢) روه مسلم.

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله شانك بها، زوّجها من تشاء فزوجها النبي ﷺ جليبيبًا ودعا لها وقال: «**اللهم صُبَّ عليهما الخير صبًا ولا تجعل عيشهما كدًا كدا**» فلم يمض على زواجه أيام حتى خرج النبي ﷺ في غزوة وخرج معه جليبيب فلما انتهى القتال وبدأ الناس يتفقد بعضهم بعضًا، سألهم ﷺ «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نفقد فلانًا وفلانًا، ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نفقد فلانًا وفلانًا، ثم قال «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نفقد فلانًا وفلانًا، قال: «**ولكني أفقد جليبيبًا**»، فقاموا يبحثون عنه فوجدوه إلى جنب سبعة من المشركين قد قتلهم ثم قتلوه، فوقف النبي ﷺ ينظر إلى جسده ويقول: «**قتل سبعة ثم قتلوه قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه**» ثم حمله على ساعديه وأمرهم أن يحفروا له قبره، **قال أنس:** فمكثنا نحفر القبر وجليبيب ما له سرير غير ساعِدَي رسول الله ﷺ، حتى حُفر له ثم وُضع في لحده، قال: فوالله ما كان في الأنصار أيِّم أنفق منها تسابق الرجال إليها كلهم يخطبها بعد جليبيب»[(١)].

فسلام على جليبيب يوم ترك عروسه التي لم يمض عليها سوى أيام قلائل ليلبي نداء الله ورسوله، وسلام على تلك اللؤلوة المصونة يوم أن استجابت لأمر الله ورسوله.

٤-عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانًا وفلانًا إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: حُرمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل»[(٢)].

وفي رواية له: «فأمر رسول الله ﷺ مناديًا: «**ألا إن الخمر قد حُرِّمت**» قال: فقال لي أبو طلحة: «**اخرج فاهرقها**» فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند وصححه الألباني في أحكام الجنائز.

(٢) رواه البخاري.

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراقتها حتى جرت في الأزقة من كثرتها»[١].

وتَم هذا كله من غير قيل وقال، وتردد واستفسار، وكانوا قد تعودوا عليها منذ سنوات بل كانوا قد ورثوها عن آبائهم[٢].

هذه هي حقيقة التعظيم لله العظيم، تعظيم الأمر والنهي،

هل إذا قيل لك اليوم: تخلص من علاقتك المحرمة بفلانة،

أو تخلص من الصحبة السيئة التي جَرّتك إلى الهاوية،

أو الزم كذا فإن الله قد أمر به،

هل ستقول: سمعًا وطاعة تعظيمًا لله تعالى؟

ومن علامات تعظيم الله:

٣) تعظيم الصلاة:

كيف لا نعظم الصلاة؟

- **وهي أول ما نحاسب عليها بين يدي الله:**

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتَقَصَ من فريضةٍ قال الرب: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك»[٣].

---

(١) فتح الباري.

(٢) صلاح الأمة في علو الهمة: سيد عفاني.

(٣) رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

● **وقد فرضت في ليلة عظيمة في مكان عظيم:**

فالصلاة خُصت من بين فرائض الإسلام وعموم الطاعات أن الله تعالى فرضها على نبيه ليلة أسريَ به في السماء السابعة.

فعن أنس ﵁ **قال:** فُرضت على النبي ﷺ الصلوات ليلة أُسرِيَ به خمسين، ثم نُقِصت حتى جُعلت خمسًا، ثم نودي: يا محمد إنه لا يُبَدّل القول لدّي وإن لك بهذه الخمس خمسين»[(١)].

بينما عموم الطاعات وجميع الفرائض والعبادات كان جبريل ﵇ ينزل بها إلى النبي ﷺ، يوحي إليه بها، وهذا يبين مكانة الصلاة عند الله.

● **والوصية بها كان آخر كلام لرسول الله** ﷺ:

فقد اقتصر النبي ﷺ في رمقه الأخير ساعة وداعه الدنيا على الوصاية بها[(٢)].

فعن عليّ ﵁ **قال:** «كان آخر كلام النبي ﷺ: **الصلاة الصلاة...**»[(٣)].

وعن أنس ﵁ **قال:** «كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: **الصلاة الصلاة.....**»[(٤)].

● **والصلاة شعار المسلم:**

فقد قال ﷺ: **«من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله....»**[(٥)].

---

(١) رواه أحمد وقال محقق المسند: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) لماذا لا نصلي: محمد اسماعيل المقدم.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في الإرواء.

(٥) رواه البخاري.

وعن بشر بن محجن عن أبيه: «أتيت النبي ﷺ فأُقيمت الصلاة فجلست فلما صلّى، قال لي: **ألست بمسلم؟** قلت: بلى، قال: **فما منعك أن تصلي مع الناس؟** قال: صليت في أهلي، قال: **فصل مع الناس ولو كنت قد صليت في أهلك**»[(١)].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه **قال:** سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا**»[(٢)].

فالبسجود يميز الله عز وجل المؤمنين من المنافقين، وفي ذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ » [القلم: ٤٢- ٤٣][(٣)].

وعن أمامة رضي الله عنه **قال:** لَتُنقضَنَّ عُرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة»[(٤)].

«والشيطان – أعاذنا الله منه- يحرص كل الحرص على صرف المسلم عن هذه الصلاة لعلمه أن المسلم إذا انصرف عنها انصرف عن بقية أحكام الدين وضاع منه الخير»[(٥)].

فليس بعد الصلاة إسلام ولا دين لأن الصلاة أول الإسلام وآخره وما ذهب أوله وآخره فقد ذهب جمعه»[(٦)].

---

(١) أخرجه مالك وعنه أخرجه النسائي والدار قطني والبيهقي وصححه الألباني في الإرواء.

(٢) رواه البخاري.

(٣) لماذا نصلي؟ محمد اسماعيل المقدم.

(٤) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) تعظيكم لصلاة: عبد الرزاق البدر.

(٦) لماذا نصلي؟ محمد اسماعيل.

- **والصلاة هي الميزان:**

وأهم أمور الدين الصلاة، فمحلها من الدين محل الروح من الجسد، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له فكذلك لا دين لمن لا صلاة له.

يقول ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»[١].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلًا قال – لما قسم رسول الله ﷺ الغنائم –: يا رسول الله اتق الله!

فقال: «**ويلك! ألست أحقَّ أهل الأرض أن أتقي الله؟**»

فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: ألا أضرب عنقه يا رسول الله؟

فقال: «**لا لعله أن يكون يصلي**»[٢].

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق: «إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»[٣].

فكل مستخِفٍ بالصلاة مستهينٍ بها فهو مستخفٌ بالإسلام مستهينٌ به وإنما حظهم في الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فاحذر نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك»[٤].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

(٣) الصلاة وحكم تاركها: ابن القيم.

(٤) تعظيم الصلاة: عبد الرزاق البدر نقلًا من الصلاة للإمام أحمد.

وعن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دخلت على عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو مُسَجّى، فقلت كيف ترونه؟ قالوا: كما ترى، قلت: أيقظوه بالصلاة فإنكم لن توقظوه بشيء أفزعَ له من الصلاة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين! فقال: «ها الله إذًا، ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة «فصلى وإن جرحه ليثعب [لينزف] دمًا»[(١)].

- **والصلاة أمينة الأموات:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: مَرّ النبي ﷺ على قبر بُنيَ حديثًا فقال: «**ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم**»[(٢)].

أمنية الأموات أن يرجعوا إلى الدنيا فيركعوا ركعة أو يسجدوا سجدة أو يصلحوا ما فاتهم.

قال إبراهيم بن يزيد العبدي: «أتاني رياح القيسي فقال: يا أبا إسحق انطلق بنا إلى أهل الآخرة، نُحدِث بقربهم عهدًا، فانطلقت معه فأتى أهل المقابر، فجلسنا إلى بعض تلك القبور، فقال: يا أبا سحق! ما تَرى هذا متمنيًا لو مُنِّيَ؟ فقلت: أن يُردّ والله إلى الدنيا، فيستمتع من طاعة الله ويُصلح، قال: فها نحن، ثم نهض فجدّ واجتهد، فلم يلبث يسيرًا حتى مات[(٣)].

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

- **والصلاة سعادة وراحة وقرة عين:**

الصلاة راحة نفسية وطمأنينة روحية، ولو فقِه أطباء الصحة النفسية لصدَّروا

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة في المصنف وابن بطة في الإنابة.

(٢) روا الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الجامع وانظر: الصحيحة.

(٣) ذم الهوى: ابن الجوزي، إيقاظ أولي الهمم العالية.: السلمان.

الصلاة في مقدمة ما يصفونه لمرضاهم من العلاج، فهي وجبات روحية وحقن صحية شرعها خالق البشر لا يعلم أسرارها إلا هو(١).

كان النبي ﷺ يقول: «يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها»(٢).

وكان يقول: «حُبب إليّ من دنياكم: النساء والطيب وجُعلت قرة عيني في الصلاة»(٣).

فتأمل: تجد أن المحبة في النساء والطيب، ولكن تمام قرة العين ومنتهى السعادة والطمأنينة والسكون الروحي يكون عند النبي ﷺ في الصلاة.

وكانت الصلاة كذلك عند أصحابه رضي الله عنهم حتى أن ذلك كان معروفًا عند المشركين.

فعن جابر رضي الله عنه **قال**: غزونا مع رسول الله ﷺ قومًا من جهينة فقاتلوا قتالًا شديدًا... وقالوا – أي المشركون –: إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد»(٤).

- **وقد أُمِرْنا بتعظيمها والمحافظة عليها:**

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة:٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون:٩،١١].

---

(١) لماذا لا نصلي؟ محمد اسماعيل: بتصرف.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج:٣٤،٣٥].

وذُكرت الصلاة عند النبي ﷺ يومًا فقال: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة ومن لم يُحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهان ولا نجاةٌ وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبيّ بن خلف»[(١)].

أي أن تارك الصلاة غير المحافظ عليها على إما أن يشغله ماله أو ملكه أو رئاسته أو تجارته، فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبيّ بن خلف.

وقال ﷺ: «من ترك صلاةً مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله»[(٢)].

أي لا يكون في أمنٍ من الله تعالى في الدنيا ولا في أمن منه في الآخرة.

كيف نُعظم الصلاة؟

١) أن نعظم وقتها:

فلا يزاحمها في وقتها شيء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ۝١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن للصلاة وقتًا كوقت الحج»[(٣)].

قال مجاهد: وقّته الله عليهم[(٤)].

---

(١) أخرجه احمد وغيره وحسنه محقق المسند.

(٢) أخرجه احمد وقال الألباني في صحيح الترغيب: حسن لغيره.

(٣) تفسير الطبري.

(٤) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين الدمشقي.

وقال تعالى – بعد أن ذكر جملة من الأنبياء والصالحين –: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ مريم:٥٩

قرأ عمر بن عبد العزيز هذه الآية ثم قال: لم تكن إضاعتهم لها تركها ولكن أضاعوا الوقت(١).

وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون:٤،٥].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»(٢).

وعنه أن النبي ﷺ **قال: «من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر»**(٣).

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أن النبي** ﷺ **قال: «ألا أخبركم بصلاة المنافقين؟ يَدَع العصر حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقَر كنقرات الديك لا يذكر الله فيهن إلا قليلًا»**(٤).

وفي رواية مسلم: «تلك صلاة المنافقين يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلا».

ولأجل ذلك كان السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يعظمون وقت الصلاة فلا يشغلهم عن أدائها في أول وقتها شيء.

يقول سعيد بن المسيب: «ما دخل عليّ وقت صلاة إلا وقد أخذت أُهبتها..»(٥).

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) رواه الحاكم وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه ابن حبان وصححه الألباني.

(٥) بصائر في تعظيم الشريعة والشعائر: سيد عطوة.

وكان ابراهيم المروزي من الذين يمتهنون صياغة الذهب، فكان إذا رفع المطرقة فسمع النداء ألقاها ولم يردّها[١].

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير – وهو يجود بنفسه – إذا سمع النداء. قال: خذوا بيدي، فيقال: إنك عليل، فيقول: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟...»[٢].

٢) أن نحافظ على جماعاتها:

كيف لا؟

وفي ميدان الجهاد، في ساحة القتال، الدماء نازفة، والقلوب واجفة، ومع ذلك لم يرخِّص الرب ﷻ أن يصلي المسلمون فرادى، بل أمر الله نبيه أن يصلي بطائفة من الجيش في الوقت الذي تحرس الطائفة الأخرى التي تصلي، ثم إذا صلت الأولى، تأتي الثانية وتصلي وراءه وتحرسها الأولى، وهذا لا يدل إلا على تعظيم قدر الصلاة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

فإذا كان ذلك في حال الحرب والخوف فكيف يكون الأمر في المسلم والأمن؟

ولهذا جاء عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه – جاء الرجل الأعمى – جاء يسأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته، جاء يقول: «أنا رجل ضرير البصر شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني، والمدينة كثيرة الهوام والسباع فهل أصلي في بيتي؟ فقال النبي ﷺ وقد

(١) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٢) سير أعلام النبلاء.

تغافل عن هذه الأعذار الفعلية، لكن لها حلول -: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم، قال: فأجب لا أجد لك رخصة»(١).

وهذا لا يدل إلا على تعظيم قدر الصلاة.

فيا من سمع النداء وأنت صحيح البدن!! آمن من الخوف!! وقد يكون المسجد بجانب بيتك، ثم تُدعى فلا تجيب وتؤمر فلا تمتثل، وتُعصي فلا تتوب ما عذرك بين يدي الله غدًا؟

ولهذا قال ﷺ: «ولقد هممت آمر بالصلاة فتقام ثم آمرَ رجلًا فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حُزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنار»(٢).

وهذا لا يدل كذلك إلا على تعظيم قدر الصلاة.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتموها لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»(٣).

وعن عبد الله بن جعفر أن عمر بن الخطاب أتى إلى منزل سعيد بن يربوع يعوده في فقده لبصره، فقال له عمر: «لا تدع الجمعة ولا الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، فقال الرجل: ليس لي قائد، فقال عمر: نبعث لك بقائد، فبعث إليه

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

بغلام من السبي»[١].

وكان سن سعيد في ذلك يقارب المائة!! فماذا يقال لمعاشر الشباب الأصحاء الأقوياء المبصرين؟

وكان سليمان بن حمزة المقدسيّ – وهو من ذرية ابن قدامة، وصاحب المغني –: «لم أُصلِّ الفريضة قط منفردًا إلآ مرتين وكأني لم أصلهما» وكان قد قارب التسعين سنة»[٢].

٣) أن نحسن الوقوف فيها بين يدي الله:

الخشوع في الصلاة هو المقصود من الصلاة، هو روح الصلاة، فالصلاة النافعة هي الصلاة الخاشعة، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢**﴾ [المؤمنون:١،٢].

قال ابن عمر: «كانوا إذا قاموا في الصلاة أقبلوا على صلاتهم وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم وعلموا أن الله يُقبل عليهم فلم يلتفتوا يمينًا ولا شمالًا»[٣].

فإذا وقفت في الصلاة: تفهم ما تقول، واستشعر مناجاة الله واحذر شيطان الصلاة وادفع عنك الشواغل، وصل صلاة مودِّع.

قال ﷺ: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين يُقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة»[٤].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحيّ العكري الحنبلي.

(٣) الدر المنثور للامام السيوطي.

(٤) رواه مسلم.

وفي المقابل:

يقول ﷺ: «إن الرجل لينصرف من صلاته وما كُتب له إلا عشرها وتُسعها وثمنها وسبعها وسدسها وخمسها وربعها وثلثها ونصفها»(١).

«سئل كُثير بن عبد الله الحمصيّ، عن سبب عدم سهوه في الصلاة – وقد أمّ أهل حمص ستين سنة – فقال: ما دخلت باب المسجد قط وفي نفسي غير الله»(٢).

تـأتي للصـلاة في فتـور — وكأنـك قـد دُعيـت إلـى الـبلاء
وإن أديتهـا جـاءت بـنقص — لمـا قـد كـان مـن شـرك الريـاء
وإن تخلـو عـن الإشـراك فيهـا — تُـدبر للأمـور بالارتقـاء
ويـاليت التـدبر في مبـاح — ولكـن في المشـقة والشـقاء
ولـو كنـت المجـالس يومًـا أنثـى — قطعـت الوقـت مـن غيـر اكتفـاء
أيـا عبـد لا يسـاوي الله معـك أنثـى — تناجيـه بحـب أو صـفاء

٤) أن نجعلها عظيمة في بيوتنا وعند أبنائنا:

روى الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم: الصلاة الصلاة، ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]»(٣).

وتأمل في هذا المقام ثناء الله تعالى على نبيه إسماعيل، قال جل شأنه: ﴿وَكَانَ

---

(١) رواه أحمدوأبو داود وغيرهما بسند صحيح.

(٢) شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية: مختار الشنقيطي ت/ ١٤٠٥.

(٣) الموطأ، وصححه الألباني في تخريج المشكاة.

﴿يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥].

وتأمل دعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [ابراهيم: ٤٠].

ولأجل هذا جاء التوجيه النبوي:

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر...»(١).

إن مقام الصلاة مقام عظيم، وإذا نظر الناظر وتأمل المتأمل في واقع بيوتنا علم أن التفريط في الغالب جاء من قبل الآباء، فكان الأب في نفسه مضيعًا للصلاة، ففقد الولد القدوة ونشأ مضيعًا للصلاة!!

وما جنى أب على أولاده كما جنى عليهم بمثل ذلك، فالجناية في هذا الباب جناية عظيمة.

قال ابن القيم – عليه رحمة الله –:

«فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سُدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليم فرائضَ الدين وسننه فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا»(٢).

وكان أبو الدرداء يقول لولده: يا بني ليكن المسجد بيتك فإني سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن المساجد بيوت المتقين، فمن كان المسجد بيته ضمن الله له بالرَّوح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة»**(٣).

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألباني.

(٢) تحفة المودود.

(٣) الزهد لهناد السري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري.

٥) أن نتواصى بها فيما بيننا:

لأن «**الدين النصيحة**» كما قال النبي ﷺ[(١)].

ولما كانت منزلة الصلاة في الدين كما أوضحنا، فإن واجب المسلم إذا رأى من يُقصِّر في صلاته ويُخلُّ بها، أن ينصحه ويُعلمه.

قال ميمون بن مهران: «مثل الذي يرى الرجل يسيء في صلاته فلا ينهاه، مثل الذي يرى النائم تنهشه حية ثم لا يوقظه»[(٢)].

ويُنسب إلى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال:

«واعلموا أنه لو أن رجلًا أحسن الصلاة فأتمها وأحكمها ثم نظر إلى من أساء في صلاته وضيّعها وسبق الإمام فيها، فسكت عنه ولم يعلمه إساءته في صلاته ومسابقته الإمام فيها ولم ينهه عن ذلك ولم ينصحه، شاركه في وزرها وعارها، فالمحسن في صلاته شريك المسيء في إساءته إذا لم ينهه ولم ينصحه»[(٣)].

وعن فضيل بن عياض قال: رأى مالك بن دينار رجلًا يسيء صلاته، فقال: ما أرحمني بعياله! فقيل له: «يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟! قال إنه كبيرهم ومنه يتعلمون»[(٤)].

ومن علامات تعظيم الله جَلَّ جَلَالُهُ:

٤) تعظيم القرآن العظيم:

القرآن كلام الله، وحق كلام العظيم أن يكون عظيمًا.

(١) متفق عليه.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي.

(٣) طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى.

(٤) صفة الصفوة: ابن الجوزي.

وتعظيم القرآن العظيم يكون بتعميق وتحسين وتقوية العلاقة به، ولهذا رأينا الله تعالى أكثر ونوّع من التوجيهات لتحسين العلاقة بكتابه.

فتارة يحثنا على التدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد:٢٤]، وتارة يحثنا على الإنصات إليه ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وتارة يأمرنا بالتفنن في الأداء الصوتي الذي يخلب الألباب لتقترب من معاني القرآن ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل:٤]، وتارة يأمرنا بالتهيئة النفسية قبل قراءته بالاستعاذة من الشيطان لكي تصفو نفوسنا لاستقبال مضامينه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل:٩٨]،وتارة يغرس في نفوسنا استبشاع البعد عن القرآن ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان ٣٠] كل ذلك ليرسخ علاقتنا بالقرآن»[١].

كيف نعظم القرآن؟

١- أن نعرف: لماذا أنزل الله القرآن؟

أنزل الله القرآن لينذر الناس، ليزكيَ نفوسهم، ليصلح قلوبهم وأحوالهم، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢].

وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فالقرآن هدى لعموم الناس بمعنى أنه يبين لهم طريق الرشاد، وهو هدى للمتقين بمعنى أنهم ينتفعون به ويستفيدون منه ويستضيئون بنوره»[٢].

---

(١) الطريق إليالقرآن: ابراهيم السكران.

(٢) التربية بالمجاهدة للمؤلف.

٢-أن نتلوه حق تلاوته:

جعل الله تعالى ذلك عنوان الإيمان حين قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [البقرة:١٢١].

وقد فسّر ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما والحسن وقتادة – رحمهما الله – التلاوة هنا بالعمل والاتباع[١].

وجزاء ذلك يوم القيامة ما بيّنه النبي ﷺ حين قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها»[٢].

٣-أن يستشعر التالي لكتاب الله أو السامع له أنه هو المخاطب[٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعت (يا أيها الذين آمنوا) فاصغ لها سمعك فإما خيرًا تؤمر به أو شرًا تُنهى عنه.

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها بالنهار»[٤].

فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن كالمرآة يرى فيها ما حسن من فعله وما قبح منه فما حذّره مولاه حذَره وما خوّفه خافه وما رغَّبه فيه رغب فيه، فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته ورعاه حق رعايته وكان له القرآن شاهدًا وشفيعًا وأنيسًا وحِرزًا، ومن كان هذا وصفه نفع نفسَه ونفع أهلَه وعاد على والديه وولده كلُّ خير في الدنيا والآخرة»[٥].

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٣) النصيحة لكتاب الله: حافظ الحكمي.

(٤) التبيان: النووي.

(٥) أخلاق حملة القرآن: الآجري.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع له قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضَر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ[١].

وكلما ازداد تدبر العبد وتأمله لكتاب ربه ازداد علمًا وعملًا وبصيرة وفهمًا فإن القرآن عظيم ومبارك، وكلما كان العبد أكثر انشغالًا به كلما حلت عليه الخيرات وكثرت لديه البركات وازدادت له عند ربه الحسنات وارتفعت له في الجنة الدرجات.

٤- العمل به والتحاكم إليه:

وهذا أساس الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وهو مقصود التلاوة والحفظ والتدبر ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال ﷺ: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهلِه الذين كانوا يعملون به، تَقدُمُه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو ظلتان تحاجان عن صاحبهما**»[٢].

وقال ﷺ **وهو يخطب في مرجعه من حجة الوداع:** «**أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه فقد ضل**»[٣].

وسئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت للسائل: «**ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله كان القرآن**»[٤].

وهذا الذي ندعو كل الحكومات الإسلامية اليوم إليه، فلا بد من التحاكم إلى

---

(١) الفوائد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم وغيره.

(٤) رواه مسلم.

القرآن ولا بد من نبذ كل ما سواه من قوانين غربية غريبة عن الناس فإلم تصنع الدول ذلك فلا فلاح لها ولا نجاح(١).

٥-تكريم أهله واحترام حملته وتوقير العاملين به والداعين إليه:

قال ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إجلال ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط»(٢).

وعن نافع بن عبد الحارث أنه لَقِي عُمرَ بن الخطاب رضي الله عنه بعُسفان، وكان عمرُ استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابنَ أَبْزَى. فقال: ومن ابن أبزى؟ فقال: رجل من موالينا. فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالمٌ بالفرائض قاضٍ. فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»(٣).

يرفع به من عظموه ورفعوه ووقروه ويضع به من أهملوه وراء ظهورهم ونبذوه.

أخي الكريم.. أختي الكريمة.

كم من الوقت نعطي للقرآن كل يوم؟ كم يأخذ القرآن من ليلك؟

يجب أن تسأل نفسك يوميًا هذا السؤال وتقارن بين ما تخصصه من الوقت للقرآن بأمور حياتك الأخرى، وتنظر هل هي قسمة عادلة؟ وهل أعطيت القرآن ما يستحقه من الوقت؟

هل وضعت القرآن على قائمة أولوياتك؟ هل فكرت مرة أن تذاكر القرآن كما تذاكر الكتاب الدراسِي بجد واجتهاد؟!

---

(١) هذا هو القرآن العظيم محمد موسى الشريف.

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم وأحمد واللفظ له.

هل يليق بنا أن نتصفح يوميًا عشرات التعليقات والأخبار والإيميلات والمقالات، ومع ذلك ليس لكتاب الله نصيب من يومنا؟

هل كتب الناس أعظم من كتاب الله؟

هل كلام المخلوقين أعظم من كلام الخالق؟

ثم بعد ذلك نزعم أننا قد عظمنا الله؟!!

ومن علامات تعظيم الله؟!!

٥) تعظيم سنة النبيّ ﷺ:

كيف لا؟ والسنة والقرآن صنوان وأخوان لا يفترقان.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣،٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

وقالت تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠﴾ [الأنفال:٢٠].

ولهذا كانت دعوى الاستغناء عن السنة بالقرآن دعوى باطلة وخبيثة وراءها أعداء الإسلام ومحاربوه.

يقول ﷺ: «يوشك الرجل متكئًا على أريكته يحدِّث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حَرّم رسول الله ﷺ مثلُ ما حَرّم الله»(١).

وفي رواية: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيّرات خلق الله، فجاءته امرأة فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: مالي لا ألعن من لعن رسول الله ومن هو في كتاب الله. فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه.

قالت: إني أرى بعض هذا على امرأتك، قال: فادخلي فانظري، فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت، فقال: لو كان ذلك ما كانت معنا(٣).

فالسنة جاءت مفسرة للقرآن مبينة له، قال تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤].

كيف نعظم السنة؟

١- ألا نقدم قولًا عليها ولا نتكلم بين يديها:

وهذا هو معنى قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات:٢].

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد وغيرهم وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

(٣) رواه أبو داود وانظر السلسة الصحيحة للألباني.

-وكان عبد الله بن عباس يُفتي بجواز التمتع بالعمرة إلى الحج فقيل له: ولكنّ أبا بكر وعمر يقولان بخلاف قولك؟ فاشتد غضبه وقال: يوشك أن تُرجموا بحجارة من السماء، أقول: قال الله، قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر»[(١)].

-فكيف بمن يصادم السنة بآراء من لا خلاق لهم ولا علم عندهم إلا أثارةً يَغرُّون بها الجاهلين؟!

ومن هنا قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنةُ رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد من الناس»[(٢)].

٢-أن نتمسك بها ونعض عليها بالنواجز:

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] **وقال تعالى:** محذرًا من مخالفتها: ﴿ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجز...**»[(٣)].

وهذا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يقول:** لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ»[(٤)].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر.

(٢) الرسالة.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه.

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

٦) تعظيم أصحاب النبي ﷺ:

كيف لا نعظمهم؟

-وقد شهد الله تعالى بصدقهم ورضي عنهم ووعدهم الجنة:

وحين يشهد العليم بالنوايا، الخبير بالخفايا، بصدق هؤلاء كان واجبًا علينا ان ننظر في حياتهم لنسير سيرهم وننتهج نهجهم ونتشبه بهم.

فالسير على هديهم ينير لنا الطريق، ومعرفة فقه سيرتهم يعالج جراح الأمة، من سيرتهم تتعلم الأمة فنون الإيمان وفهم العقيدة ونصرة الدين.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر: ٩].

فلا سبيل إلى جنة الله ورضوانه إلا بأخذ منهجهم فكل خير في اتباعهم وكل شر في الإعراض عن هديهم.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ [البقرة: ١٣٧].

فهم المعيار السديد والميزان الرشيد لاستيعاب الكتاب والسنة وفهم هذا الدين العظيم.

قال ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»(١).

فهذه شهادة نبوية من الصادق المصدوق - عليه الصلاة والسلام - لهؤلاء الصحب الكرام بأنهم خير القرون بل خير الناس.

وقال ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله من هي؟ قال: الجماعة»(٢).

وفي لفظ: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(٣).

وقال ﷺ: «وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجز...»(٤).

وقال عبد الله بن مسعود: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبرّ هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قد اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم»(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

(٤) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٥) إغاثة اللهفان ابن القيم.

ورُوي مثله عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

٧) توقير العلماء واحترامهم:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

والمعنى أن المؤمن العالم يرفعه الله تعالى على المؤمن غير العالم درجات، ومن لوازم ذلك أن نرفع من رفعه الله تعالى وأن نوقر من أظهر الله فضله.

العلماء هم قلب الأمة وعقلها وروحها الزكية التي تملأ جسد الأمة بالإيمان والهداية وترفع عنها الجهالة والغواية.

فاحترامهم وتوقيرهم احترام للدين وتعظيم لشعائره بل وتعظيم لله، فهم أحق الخلق بولاية الله لهم.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ «إن لم يكن العلماء هم أولياءَ الله فليس لله وليّ»(١).

-**عن الشعبي قال:** «صلّى زيد بن ثابت على جنازة ثم قُرِّبت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد: «خلِّ عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا يُفعل بالعلماء والكبراء»(٢).

-**وعن الربيع بن سليمان قال:** «والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي

---

(١) الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي.

(٢) سير أعلام النبلاء، صفة الصفوة.

ينظر إليّ هيبةً له»[١].

-جلس هارون الرشيد – أمير المؤمنين – في بيت الإمارة وطلب الإمام مالك ليأتي بموطئه ليقرأه عليه وعلى الأمين والمأمون ابني هارون، فنظر إليه مالك وقال: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتي إليه، فاستوعب هارون الرشيد، وجاء إلى بيت الإمام ووقف على الباب مستئذنًا، فأخبرت الجارية مالكًا بأن هارون الرشيد أمير المؤمنين على باب البيت، فذهب مالك واغتسل وارتدى خير ثيابه وتطيّب، كل هذا وهارون على الباب، فأذن له فلما دخل، قال: ما هذا يا مالك؟ طلبناك فامتنعت علينا، فجئناك حبستنا على بابك!!

قال: أخبرتك أن العلم يؤتى إليه، أما أني حبستك على الباب فصحيح، لأني حينما أُخبرت أنك تأتي لم أكن أعلم في أي وقت، وعلمت أنك لا تأتي لمالك، لا لجاه، ولا لشيء إلا للعلم، فأردت أن أكون على أحسن هيئة وأنا أدارسك العلم[٢].

فما أسوأ أن يتطاول السفهاء وأحداث الأحلام على العلماء الأعلام!!

والله ما أخبثها من طريقة تُفضي إلى هدم الدين وتحطيم رموزه.

فليعلم كل من سولت له نفسه أن يتكلم في العلماء لينتقص من قدرهم وليصد الناس عنهم أنه على خطر عظيم ويُخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله.

قال الإمام أحمد: «لحوم العلماء مسمومة من شمّها مرض ومن أكلها مات»[٣].

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي.

(٢) شرح الرجبية: عطية محمد سالم.

(٣) المعيد في أداب المفيد والمستفيد: العلموي.

وقال الحافظ ابن عساكر: ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب»[١].

وقال مالك بن دينار: «كفى بالمرء شرًا ألا يكون صالحًا وهو يقع في الصالحين»[٢].

لا يعيب أهل العلم إلا معيب ولا يبحث عن زلات العلماء إلا مخذول جاهل ولا يتبع عوراتهم إلا مريض القلب خبيث النية، فلنعرف لأهل الفضل فضلهم ولنحفظ لأهل العلم مكانتهم فهم أولى الناس بحسن الظن والاحترام والتوقير.

الناس من جهة التمثال أكفاءُ	**أبــوهمُ آدم والأم حـــواء**
فإن يكن لهم في أصلهم نسب	**يفاخرون به فالطين والماء**
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ	**على الهدى لمن استهدى أدلاء**
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	**والجاهلون لأهل العلم أحياء**[٣]

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

٨) تعظيم حرمة المسلم:

حرمة المسلم عند الله تعالى عظيمة، فدمه حرام، وماله حرام، وعرضه حرام، فلا يحل لأحد أن يحط من قدره أو أن يهينه بوجه من الوجوه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ

(١) تبيين كذب المفترى.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي.

(٣) نُسب إلى عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١١،١٢].

وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(١).

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(٢).

وقال ﷺ: «لا يُشرْ أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان يَنزِع في يده فيقع في حفرة من النار»(٣).

نظر ابن عمر يومًا إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»(٤).

ومن علامات تعظيم الله:

٩) تعظيم المساجد وتوقيرها:

المساجد بيوت الله وحق بيوت العظيم أن تكون عظيمة.

قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ﴾ [النور: ٣٦،٧٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الترمذي.

وتعظيم المساجد إنما يكون بـ:

١-عمارتُها بذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن ومجالس العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ [التوبة: ١٨].

٢-ومن تعظيم المساجد: تنظيفها وتطيبها وتهيئتها للعبادة.

٣-ومن تعظيم المساجد: ألا يحضرها الأطفال الصغار غير المميزين إلا مع أوليائهم.

٤-ألا ترفع فيها الأصوات ولا تنشد فيها الضالات:

أما عن نشد الضالات، فقد قال ﷺ: «**من سمع رجلًا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا راد الله إليك فإن المساجد لم تُبن لذلك**»(١).

وأما عن رفع الأصوات، فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما، فقال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟»(٢).

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

١٠) ألا تجعل له الفَضْلة:

إن آفة أهل عصرنا حتى الملتزمين منهم يُعطون لله فضل أوقاتهم!!

فإذا بقِي لديه وقت يقوم الليل فيه قام وإلا تركه، وإذا بقِي لديه وقت يقول

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

الأذكار قالها وإلا غفل عنها، وإذا بقي لديه وقت حضر الدرس وتفقه في الدين وإلا لا يُشغل باله كثيرًا، وقس على ذلك، فضاع الدين بين مشاغل الحياة وكأننا خُلقنا لإقامة الحياة لا لإقامة الدين!!

والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ليس من تعظيم الله أن تُعطِيَ له الفضلة من وقتك، وإنما تعظيم الله أن تقطع له من أعز الأوقات وقتًا، ومن أعز الأموال مالًا.

فما الذي يشغلك عن الله؟ أهي الدنيا؟ والله ما خلقتَ لها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وفي الحديث الإلهي يقول الله تعالى: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يديك شغلًا ولم أسد فقرك»[1].

ومعنى «**تفرغ لعبادتي**» أي اقطع جزءًا معلومًا محددًا من وقتك لطاعة ربك، لا يُزاحم هذا الجزء شيء.

فيا إخوتاه: عظموا الله تعالى في قلوبكم تعظموا عنده.

ومن علامات تعظيم الله:

١١) ألا يُقَدَّم حقُ المخلوق على حق الخالق:

فإن تعارض حقٌ لله مع حق الزوجة أو الولد أو المدير في العمل أو المجتمع أو نحو ذلك فإن حق الله أولًا.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١]، سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم مطلعٌ على ما في صدوركم

(١) رواه أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم وصححه الألباني.

ثم يجازي على ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا سأله عن هذه الآية، فقال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أَتَوا رسول الله ﷺ أي بعد ذلك – رأو أصحابهم قد فقهوا في الدين، همُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ﴾ [التغابن ١٤][(١)].

أي احذروا أن تنشغلوا بهم عن الله، أو احذروهم أن تقدموا حقوقهم على حقوق الله.

ومن علامات تعظيم الله:

١٢) استعظام الذنب وعدم استصغاره:

إن من أراد أن يُعظم الله تعالى لا يَحتقر ذنبًا ولا يستصغر معصية «فَرُبّ جُرحٍ وقع في مقتل»[(٢)].

فقد لعن الله إبليس وأهبطه من منزل العز بترك سجدة، وأخرج آدم من الجنة بسبب لقمة، ودخلت امرأةٌ النار بسبب هرة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقَى بها بالًا يلقى بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب فكيف تأمن أن يحبسك الله في النار بسبب معصية واحدة من معاصيه!!

---

(١) الصحيح من أسباب النزول: مجدي فتحي السيد.

(٢) الفوائد: ابن القيم.

قال ﷺ: «إياكم ومحقِّرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»(١).

النظرة المحرمة، الكلمة المحرمة، اللقمة المحرمة، الجلسة في مجالس الغيبة، السيجارة....، محقَّرات يحتقرها العبد حتى تجتمع عليه فتهلكه،

قال الفضيل بن عياض: «بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله»(٢).

وقال بلال بن سعد: «لا تنظر إلى حجم المعصية ولكن انظر في حق من عصيت»(٣).

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

١٣) أن تستحيي منه في الخلوة أعظم من أن تستحيي من أكابر الناس:

فالله أحق أن يُستحيا منه....الله أحق أن يُخشى... الله أحق أن يُراقب...لأنه هو ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٩].

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الملساء.

قال ﷺ: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء يجعلها الله هباءً منثورًا» قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جَلِّهم لنا ألا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»(٤).

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح.

(٢) التوبة لأبن أبي الدنيا، شعب الايمان للبيهقي.

(٣) الزهد لابن المبارك، شعب الايمان للبيهقي، الحلية لأبي نعيم.

(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

إذا مـــا قـــال لـــي ربـــي   أمـــا اســـتحييت تعصـــيني

وتخفـــي الـــذنب عـــن خلقـــي   وبالعصـــــيان تـــــأتيني

فمـــا قـــولي لـــه لمـــا   يعـــــاتبني ويُقصـــــيني

ومن علامات تعظيم الله:

١٤) ألا تحلف إلا به:

قال ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»(١).

وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»(٢).

وإذ حلفت بالله فاحذر أن تقع في الكذب، قال ﷺ: «إن الله أذن لي أن أحدِّث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيُرد عليه: ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا»(٣).

ومن علامات تعظيم الله:

١٥) أن من حَلف لك بالله فلترض، وإن كنت على يقين أنه كاذب:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمع رسول الله ﷺ رجلًا يحلف بأبيه فقال: «لا تحلفوا بآبائكم، ومن حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرض ومن لم يرض بالله فليس من الله»(٤).

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «رأى عيس ابن مريم رجلًا يسرق فقال: أسرقت؟ قال: لا والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى آمنت بالله وكذبتُ بصري».

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٣) رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة.

(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

ومن علامات تعظيم الله:

١٦) تمجيده ومدحه والثناء عليه واللجوء إليه ودعاؤه والاستعاذة به:

قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة:٩٦].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قال:** لم يكن رسول الله ﷺ يدعُ هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة وديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»[١].

---

(١) صحيح أبي داود.

فهرس الموضوعات